فتاوى

في تفسير القرآن وعلومه

ح مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البراك، عبد الرحمن بن ناصر
فتاوى في تفسير القرآن وعلومه./ عبد الرحمن بن ناصر البراك
- ط١. . - الرياض، ١٤٤٤هـ
٣٢٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٤-٣-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨
١- الفتاوى الشرعية ٢- القرآن-مباحث عامة أ. العنوان
ديوي ٢٥٩ ٧٢٦٩/ ١٤٤٤

رقم الإيداع: ٧٢٦٩/ ١٤٤٤
ردمك: ٤-٣-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م
حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

المَملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّة
الرِّيَاض
الْجَوَّال 00966505112242
البَرِيدُ الإِلِكترُونِيُّ m@sh-albarrak.com
المَوقِعُ الرَّسمِيُّ sh-albarrak.com

إصدارات مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٨)

مختصر فتاوى
في تفسير القرآن وعلومه

تأليف
عبد الرحمن بن ناصر البراك

راجعها على الشيخ
أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر

مؤسسة وقف الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فهذه هي المجموعة الأولى من فتاوى شيخنا -حفظه الله- في باب التفسير وعلوم القرآن، وهي فتاوى كانت تُرسل في أوقات متفرقة من بعض السائلين، وكان شيخنا -حفظه الله- يجيب عنها وتُنشر بعدها في المواقع ويتداولها الناس في المنتديات قديمًا، وفي مواقع التواصل الاجتماعي حديثًا، وتميزت هذه الفتاوى بالتعظيم للكتاب والسنة والسلف الصالح، وتقديم ما دل الدليل عليه على آراء الرجال مع التماس العذر لهم، والدقة في تحرير العبارات مع سهولة الأسلوب؛ فينتفع بها العالِم وطالب العلم كل بحسبه.

واختار شيخنا -حفظه الله- أن يسمي كتابه هذا بـ «فتاوى في تفسير القرآن وعلومه»، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به، ويَكتب لشيخنا جزيل الأجر والثواب، إنه جواد كريم.

وقد سرنا في العمل على هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

١. جمع الفتاوى المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، وترتيبها بصفة إجمالية ليسهل عرضها على شيخنا -حفظه الله-.

٢. قراءة الفتاوى كلِّها على شيخنا قراءة ضبط وتكميل.

٣. تصنيف الفتاوى وتقسيمها بدقة، وترتيبها بحسب الأولوية ليسهل الرجوع إليها وهذا من صنع شيخنا -حفظه الله-.

٤. توثيق النقول التي وردت في الكتاب، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٥. ربط بعض مباحث الكتاب بكلام أهل العلم المحققين.

٦. العناية بالإحالة إلى كُتب وشروح شيخنا -حفظه الله- في المسائل التي تناولها بتوسع في مصنفاته الأخرى.

٧. ضبط الكلمات المشكلة وتشكيلها بالحركات، والعناية بعلامات الترقيم.

٨. عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، وإثباتها على رواية حفص عن عاصم إلا عند الحاجة لرواية أخرى.

٩. تخريج جميع الأحاديث والآثار الواردة في الفتاوى.

والطريقة في ذلك ما يلي:

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما نقتصر في العزو إليه إلا لفائدة؛ كأن يكون اللفظ المذكور لغيرهما.

ب- إذا كان الحديث في غير الصحيحين:

- خرجناه من مصادره الأصلية؛ كالسنن الأربعة وموطأ مالك ومسند أحمد، وغيرها من المصادر الحديثية المعتبرة.

- ننقل ما تيسر من كلام أهل العلم عليه تصحيحًا أو تضعيفًا.

ج- نذكر اسم الصحابي راوي الحديث إلا أن يُذكر في المتن، وإذا كان الحديث مرويًا عن أكثر من صحابي ذكرنا صاحب اللفظ وأشرنا إلى غيره تبعًا.

١٠. ترجمة الأعلام غير المشهورين.

١١. شرح معاني الكلمات الغريبة من المعاجم المختصة.

١٢. التعريف بالكتب غير المشهورة.

١٣. صنع فهرس للموضوعات، وقائمة للمصادر والمراجع.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذه المجموعة وما سيأتي بعدها -إن شاء الله- إنه جوادٌ كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنةُ العلميةُ

مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

للتواصل:

جوال: ٠٥٠٥١١٢٢٤٢

البريد الإلكتروني: m@sh-albarrak.com

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فهذه مجموعة من الفتاوى في التفسير وعلومه كُتبت في أوقات متفرقة إجابة لبعض السائلين، فما كان فيها من صواب فمن الله، وهو المانُّ به والهادي إليه، وما كان من خطأ فمن النفس والشيطان، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن الشيطان وتسويله، وتمت مراجعتها بعد جمعها وترتيبها، وقد اقتضى الأمر تصنيفها فبلغت: ستة عشر صنفًا، وجعلناها أقسامًا مرتبة بحسب الأولوية ليسهل الرجوع إليها، وها هي سردًا:-

الأول: نزول القرآن وجمعه وترتيبه.

الثاني: فضائل القرآن.

الثالث: الوقف والابتداء في بعض آيات القرآن.

الرابع: أحكام المصحف.

الخامس: آداب قراءة القرآن.

السادس: أحكام استماع القرآن.

السابع: طرائق في تعليم القرآن مختلفة الأحكام.

الثامن: أحكام تعليم القرآن.

التاسع: أحكام تعظيم القرآن.

العاشر: إشكالات تتعلق بقصص وأمثال القرآن.

الحادي عشر: مسائل متفرقة فيما يجوز وما لا يجوز استعماله في القرآن.

الثاني عشر: قواعد في التفسير.

الثالث عشر: مناهج المفسرين.

الرابع عشر: تعليقات على كلام بعض المفسرين.

الخامس عشر: إيضاح إشكالات ودحض شبهات.

السادس عشر: التفسير وإعراب القرآن.

وسميت هذه المجموعة: «فتاوى في تفسير القرآن وعلومه» وقد بلغت مئة وتسع وستين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

حُرر في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر صفر من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف.

***

القسم الأول: نزول القرآن وجمعه وترتيبه

السؤال (١):

توقَّفت عند الأثر الذي ورَدَ عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وفيه أنَّ القرآن فُصل عن اللوحِ المحفوظ، وأنزلَ إلى السماء الدنيا جملةً، ثم بدأ ينزل مُنجمًا عليه، ﷺ.

والذي استوقفني هو: هل اللوحُ المحفوظ هو نفسه الذي يحوي الأقدار والآجالَ والأرزاق، والتوراةَ والإنجيل والزبور، ومنه أُنزلت الألواحُ على موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وعليه يعودُ الكلام في: «رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف»[(١)]؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد؛ أما بعد:

دلَّ القرآنُ العظيم على أنَّه نفسَه موجودٌ في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج]، وأنَّه في أمِّ الكتاب، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف]، وأنَّه في كتاب مكنون، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) عن عبد الله بن عباس، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وقال ابن رجب في الجامع (١/ ٤٦٢) «طريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة»

﴿لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة]، والصحيح أنَّ الكتابَ المكنون هو اللوحُ المحفوظ، وهو أمُّ الكتاب، والمُطهَّرون هم الملائكة[(١)].

فدلَّت هذه الآيات على أن نصَّ القرآن مثبتٌ في أمِّ الكتاب؛ فإنَّه مشتملٌ على أخبار عن أمور مستقبلة من أفعال الله ومفعولاته، ومُشتمل على أوامر ونواهٍ، وخطاباتٍ عامة وخاصة، ممَّا يقعُ في حينه.

وإنزالُ القرآن جملةً من اللوح المحفوظِ إلى بيت العزة -على ما جاء عن ابن عباس[(٢)]- لا يُنافي أن يتكلم الله بما شاءَ منه في أوقات، حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، فيتلقاه جبريلُ الملكُ الموكَّل بالوحي، فيبلغه إلى محمد ﷺ[(٣)]، فجبريلُ رسول الله بوحيه وكلامه إلى الرسول من البشر، ومحمدٌ ﷺ رسولُ الله إلى الناس، وقد أُضيف القرآنُ إلى كلٍّ من جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومحمدٍ ﷺ إضافة تبليغ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ [التكوير]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [الحاقة][(٤)].

---

(١) أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله: (لا يمسه) تعود إلى الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وباذان، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والضحاك، والكلبي، وقتادة، ومقاتل، وهو اختيار الفراء والزجاج. ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٢)، والتفسير البسيط (٢١/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٩٣٧)، وتنظر روايات أخرى للأثر في: الإتقان (١/ ٢٦٨-٢٧٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧).

(٤) ينظر: التسعينية (٣/ ٩٧١)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٦٩).

والمقصودُ أنَّ اللوحَ المحفوظ هو كتابُ القدر، فهو الكتابُ المبين، كما قالَ تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، إلى قوله: ﴿وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام]. والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر ذو القعدة من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢):

أرجو منكم تبيينَ حكمِ من يقولُ بتحريف القرآن وهو مقتنعٌ بذلك تمامَ الاقتناع، والتحريفُ المقصود هنا هو ما يقوله بعضُ علماءِ الرافضة، كأن يقولوا: بأنَّ هناك كلماتٍ أُسقطت من القرآن الكريم، أو أنَّ أماكن الآيات قد تم تبديلُها وتغييرها، كما أرجو منكم تبيين حكمِ من يُؤوِّل القرآنَ ويفسره على مزاجه الخاص، كأن يُقال بأنَّ الآية: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة]، قد نزلت في حق سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه، جعلها الله في ميزان حسناتكم.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]، في هذه الآية ضمانٌ من الله بحفظ ما أنزلَه على عبده ورسوله ﷺ، وقد حقَّق الله وعدَه بأن وفَّق أصحابَ رسولِ الله ﷺ لحفظ القرآن بجمعه وكتابته وحفظه في صدورهم، وتلقَّاه التابعون عنهم فكان القرآن بذلك محفوظًا بحفظه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فمن زعمَ أنَّه قد أُسقط شيءٌ من

القرآن أو غُيِّر عمّا جاءَ عن الرسول ﷺ؛ فإنَّه كافرٌ، لأنَّ ذلك يُعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، فإذا كان أُسقط شيءٌ منه ولو سورةٌ أو آية لم يكن محفوظًا.

ومن تأولَ القرآن وفسَّرَه بحسب هواه ولم يكن عن شُبَهٍ عرضت له فإنَّه متلاعب بكلام الله؛ فيكون بذلك كافرًا، وذلك مثل تحريفات باطنية الرافضة: كقولهم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن] عليٌّ، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن] الحسنُ والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقولهم: المرادُ بـ ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد]: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغير ذلك(١).

وإنَّ تعمُّدَ تحريفِ القرآن يُشبه طريقةَ اليهود، كما أخبرَ الله عنهم بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة].

وأما من قال: إن قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة] إنَّها نزلت في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما تصدَّق بخاتمه على المسكين وهو راكعٌ؛ فهذه القصة لم تثبت، وإن ذكرها بعضُ المفسرين(٢)، وهي من وضع الشيعة الذين يريدون أن يجعلوا كثيرًا من الآيات جاءَت في شأن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

---

(١) ينظر: منهاج السنة (٣/ ٤٠٤) (٧/ ٢٤٤)، وتوضيح مقدمة التفسير لشيخنا (ص١٤٨).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٣٠)، والثعلبي (١١/ ٣٩٠).
(٣) ينظر نقض هذا الحديث سندًا ومتنًا في: منهاج السنة (٢/ ٣٠-٣٢)، (٧/ ١٠-٣١).

فيجب التنبهُ والحذرُ من تصديق الرواياتِ المكذوبة، أو الروايات التي لم تثبتْ بالأسانيد الصحيحة، ولاسيما ما يتضمنُ تأييد بعض المذاهبِ المبتدعة، وكثيرٌ ممَّا يذكر في أسباب النزول، إنما جاء في روايات ضعيفة.

وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ يعني: وهم خاضعون لربهم متذللون، فيؤدون فرائض الله من الصلاة والزكاة خاضعين، منقادين لأمر الله، مؤمنين بشرعه، مُحتسبين لثوابه، والله أعلم[(١)].

حرر في يوم الخميس التاسع من شهر ذو القعدة من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣):

وجدت على البسملة رقم (١) في سورة الفاتحةِ في بعض المصاحف، فهل معنى ذلك أنَّ البسملة آيةٌ يجب قراءتها في الصلاة مع الفاتحة؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ أجمع العلماء على أن البسملة آية من سورة النمل، وهي الواردة في كتاب سليمان: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل]، واختلفوا في البسملة المكتوبةِ أمام كل سورة:

فقال قوم: إنَّها آيةٌ من كل سورة.

---

(١) ينظر: زاد المسير (٢/ ٣٨٤)، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١).

وقال آخرون: إنَّها آيةٌ من القرآن، وليست آيةً من كل سورة، وإنَّما أنزلت للدلالة على ابتداء السورةِ، وهكذا كتبها الصحابةُ في أوائل كل سورة، إلا سورة براءة، وهذا أرجحُ الأقوال[١].

وذهبَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعةٌ من العلماء إلى أنَّ البسملة آية من سورة الفاتحة دون غيرها من السور[٢]، وهذا القولُ مع جلالة قدر قائله خلافُ ظاهر السنَّة؛ فقد ثبتَ في الصحيح[٣] من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر لم يكونوا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية، وإنَّما كانوا يُسرُّون بها، كما يدل عليه مجموع الروايات، ولو كانت البسملةُ كغيرها من آيات الفاتحة لجهروا بها.

وأقوى ما استُدل به على أنَّ البسملةَ ليست من الفاتحة الحديث القدسي الذي رواه مسلم[٤] وغيره، أنَّ النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قَالَ اللهُ تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، **قَالَ اللهُ تَعالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي- فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، ولم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٣٨) وما بعدها.
(٢) ينظر: الأم (٢/ ٢٤٤)، والمجموع شرح المهذب (٣/ ٢٤٤) وما بعدها.
(٣) أخرجه مسلم (٣٩٩).
(٤) برقم (٣٩٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والذين جعلوا البسملةَ رقم (١) من سورة الفاتحة الظاهر أنَّهم اعتمدوا مذهبَ الشافعي، فجعلوا البسملةَ آيةً من الفاتحة، والراجحُ خلافه كما تقدم، وعلى هذا: فالصحيحُ أنَّه لا تجبُ قراءة البسملة في الفاتحة، بل تُستحبُّ، واللهُ أعلم.

حرر في ضحى يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الثاني من عام تسعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٤):

علمنا مِن علمائنا -جزاهم الله خيرًا- أنَّ الصَّلاة تصحُّ بغير ذكر البسملة؛ لأنَّها ليست آية مِن الفاتحة، ومع هذا فإننا نقرأ بقراءة عاصم بن أبي النجود، التي رواها عنه حفص، وقد أُثبتت البسملةُ آية مِن الفاتحة؛ فكيف جازَ لنا أن نقرأ بهذه القراءة، وأن نصحح صلاة مَن صلى بغير البسملة؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ أجمع العلماء على أنَّ البسملة في سورة «النَّمل» مِن كتاب سليمان أنَّها آية من القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل]، وأمَّا البسملة التي في فواتح السُّور؛ فقد اختلفَ العلماءُ فيها على مذاهب[١]:

(١) تنظر حواشي الفتوى السابقة.

فقيل: إنَّها آية مِن القرآن؛ ثم هل هي آية من كلّ سورة؟ أو آية مِن الفاتحة دون غيرها مِن السور؟ أو هي آية مستقلَّة أنزلت للإيذان بنزول السورة وافتتاح السورة بها؟

وقيل: ليست آية مِن القرآن؛ وإنَّما هي مِن ألفاظ الذّكر المستحب عند ابتداء القراءة بسورة مِن سور القرآن.

ولا ريب: أنَّها آية مِن القرآن، بدليل كتابة الصَّحابة لها في المصحف؛ فأظهرُ الأقوال أنَّها آية مستقلة، لا تدخل في عد آيات السورة، ولا الفاتحة، فالفاتحة سبع آيات بدونها.

ومن الدَّليل على أنَّ البسملة ليست آية مِن الفاتحة: حديث أنس في الصحيحين «**أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين**»، وعند مسلم: «**لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها**»[(١)]، وهل ذلك لعدم قراءتها، أو للإسرار بها؟ قولان للعلماء، والأظهر: أنَّهم كانوا يسرّون بها، كالاستفتاح والتعوذ[(٢)].

وأيضا ما ثبت في «صحيح مسلم»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ تعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٣٩٩).

(٢) ينظر: المغني (٢/ ١٤٩)، وفتح الباري (٢/ ٢٢٧-٢٢٨).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِى عَبْدِى... » الحديث[(١)]، ولم يذكر «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقد نبَّه إلى ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

وقراءتُنا بقراءة حفص تقتضي أن نقرأ البسملة سرًّا أو جهرًا، وأما الحكم بوجوب قراءتها، أو عدم وجوبها في الفاتحة أو غيرها؛ فهي مسألة فقهية اجتهادية؛ فمَن يعدّها آية مِن الفاتحة يلزمه أن يقرأها، وإن تركها فقد ترك آية مِن الفاتحة، ومَن يُصحِّحُ الصَّلاةَ بدون قراءة البسملة لا يرى أنها آيةٌ مِن الفاتحة، وهو ما عليه مشايخُنا، وهو القول الصحيح؛ كما تقدم.

وعدُّ البسملة آيةً في مصحف المدينة النبوية (المطبوع برواية حفص) مبني على رأي، وعددُ آيات كل سورة مما يختلف فيه أصحاب القراءات والرسم[(٣)]، ولا ريب أن سورة الفاتحة سبع آيات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]، وجاء في التفسير أن السبع المثاني آياتُ الفاتحة[(٤)]، وأولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لما تقدم من الحديث القدسي، والآية الرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهي التي قالَ اللهُ فيها في الحديث القدسي: «**هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل**»[(٥)]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٧٧)، (٢٢/ ٣٥١)، (٢٢/ ٤٤٠).
(٣) ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص١٣٩)، والفرائد الحسان في عد آي القرآن (ص٢٧).
(٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٥) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

حرر في يوم الأحد الثاني من شهر ذو القعدة من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٥):

ما الحكمة في نظركم مِن امتزاج الموضوعات المختلفة في القرآن؟ بحيث تجد في السورة الواحدة -مثلًا- حديثًا في أصول الإيمان وفي العبادات وفي السلوك وفي قصص الماضين، فقد رأيت الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلَ عن بعض الطاعنين على القرآن قولهم: لو كانَ نزولُ القرآن على سبيل التَّفصيل والتَّقسيم، فيكون لكلّ نوع مِن أنواع علومه حيّز وقَبيل، لكان أحسنَ نظمًا، وأكثر عائدة ونفعًا. فبِمَ يجاب هؤلاء؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمَّد، أما بعد:

فإنَّ كتاب الله العزيز تنزيلٌ مِن حكيم حميد، لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفه، وقد وصفهُ الله الذي أنزله بأنَّه أحسن الحديث؛ فلا عيبَ فيه بوجه مِن الوجوه، وما ذكره السائل مِن تنوع موضوعات السورة الواحدة ليس عيبًا -كما يقولُ الطاعنون- بل يعُدُّه المنصفون مِن محاسن القرآن[١]، ويظهر ذلك بمعرفة التَّناسب بين أول السورة الواحدة وآخرها وموضوعاتها، فلا بدَّ أن توجد رابطة تجمع بين هذه الجوانب مِن الكلام، ويمكن أن يعدَّ ذلك مِن وجوه إعجاز القرآن.

---

(١) ينظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص٥٤).

وقد نبَّه عددٌ مِن العلماء على هذا المعنى، وألَّفوا فيه كتبًا، وأعظم مثال لذلك: «سورة البقرة»، وهي أطول سورة في القرآن؛ فقد تضمَّنت أنواعًا عديدة مِن الموضوعات في أبواب مختلفة مِن العلم، كأقسام الناس والقصص؛ كقصة آدم وإبليس، وقصة بني إسرائيل، والحوار مع اليهود والمشركين، والرَّد عليهم في أمر القِبلة، وذكر بعض أنواع العبادات التي هي مِن أصول الشَّرائع؛ كالصيام والحج والجهاد، وأحكام النكاح والطَّلاق، والإنفاق والمعاملات التجارية، مع ذكر أصول الإيمان في أول السورة ووسطها وآخرها؛ فخُتِمت بمثل ما بُدئت به من ذلك. والمتدبِّرُ لكتاب الله بِحُسن نظرٍ وبصيرة وإنصاف؛ يدركُ أنَّ هذه الموضوعات يربط بينها معنى اقتضى هذه الموضوعات المختلفة.

ودواعي هذا التَّنوع مختلفة؛ فمنها ما يكون مِن قبيل الاستطراد، وهو فنٌّ مِن فنون البلاغة(١)، ومنها ما يكون مِن قبيل الاعتراض، وهو فنٌّ كذلك إذا وجد ما يقتضيه، وتطبيق ذلك في سورة البقرة يطول، فينظر ما ذكره المعنيُّون بهذا الجانب. ومِن ذلك ما ذكره البقاعي في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»(٢)، وهكذا ما يذكره المفسرون حين يذكرون التناسب بين الآيات.

---

(١) تنظر: (ص ١٥٨).

(٢) ذكر فيه مناسبات ترتيب السور والآيات وعلل ترتيب وارتباط الآي بعضها ببعض، وقد أطال فيه التدبر وأنعم فيه التفكر لآيات الكتاب، قال عنه السيوطي: «جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ما تتحير منه العقول»، وكان يؤول الصفات على مذهب الأشعرية، وقد طبعته دار الكتاب الإسلامي في اثنين وعشرين =

ومما يدخلُ في كلام المعترض قصص الأنبياء؛ إذْ لم تذكر قصة النَّبي الواحد مجموعة في موضع واحد، بل جاءت متفرّقة في مواضع مبسوطةً ومختصرةً، ولا يعدُّ ذلك تكرارًا؛ إذْ يُذكر في كل موضع ما لم يُذكر في الموضع الآخر، وذلك كقصة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون؛ فقد جاءت مبسوطةً مفصلة في سورة «الأعراف وطه والشعراء والقصص»، ومختصرةً في «هود وبني إسرائيل والنمل» وغيرها، ومن الحكم في تكرار القصص:

١- تجديد ذكرها؛ لتجديد التَّذكُّر بها والاعتبار، فلو جمعت القصة في موضع واحد لما تحقق هذا الغرض المعني.

٢- التَّنويع في أسلوب عرضها بِمَا يُلقي على القصة مزيدًا مِن حسن البيان، ومزيدًا مِن الدلالات على مقاصدها، فكلمَّا مرَّ بها القارئ في موضع ازداد بها علمًا، وازداد بها اعتبارًا وذكرى، فيتعدَّد عرض القصة وتتعدد أدلَّة المعنى الواحد في القصة، واعتبِر هذا فيما دلَّت عليه قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن حقيقة سِحْر سَحَرة فرعون، كما في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف] وفي سورة طه في قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه].

وفي حكم السَّاحر كما في سورة «يونس» في قوله تعالى: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس]، وفي سورة «طه» في قوله

= مجلدًا، وطبع في دار الكتب العلمية بتحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي في ثمانية أجزاء.

تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه]، إلى غير ذلك من المعاني التي تضمَّنتها القصة.

يُضاف إلى ما تقدَّم مِن أسباب تنوّع الموضوعات في السورة الواحدة: تعدُّد أسباب النزول؛ فإنَّ كثيرًا مِن القرآن نزلَ على إثر حوادث لتقرير حُكْمِ الله فيها، والفصل بين المتنازعين، فتوضع الآيات النَّازلة على سبب في الموضع المناسب لها من سور القرآن، وبهذا جاء القرآن متناسبًا متشابهًا، يصدِّق بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض، ويعضُد بعضه بعضًا، ولهذا عُدَّ مِن أصول التَّفسير: تفسير القرآن بالقرآن، وقد ألَّف في هذا شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه الشهير: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد السابع من شهر ذي القعدة من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٦):

هل صحيحٌ أنَّه لا يجوز التنكيسُ في قراءة السورِ في الصلاة؛ كقراءة سورةِ الناس قبل سورة الفلق؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ يجوز التقديمُ والتأخير بين السُّور، وهو أن يقرأَ السورة اللاحقة قبل السابقة في ترتيب المصحفِ، سواءً في الصلاة أو خارجها.

ولكن الأولى التزامُ الترتيب بين السور، فهو الترتيبُ العثماني الذي أجمعَ عليه الصحابة وارتضَوه واتفقوا عليه.

ومن العلماء من يرى أنَّ ترتيبَ المصحفِ توقيفيٌّ ولا تجوزُ مُخالفته[١].

واللهُ أعلم.

***

السؤال (٧):

شيخنا الشيخ عبد الرحمن البراك: -حفظكم الله- ما رأيكم في توزيع هذه الورقة المرفقة ونشرها؟

نجحَ عالم سعودي يُدعى: الدكتور/ طلبة أبو هديمة، في ابتكار قصة متكاملة الأركان، مُستخدمًا ترتيب سور القرآن، حيث استهدفَ تسهيلَ حفظ أسماءِ السُّورِ على المسلمين.

وتقول القصة: إنَّ رجلًا قرأ (الفاتحة) قبل ذبْح (البقرة)، ولِيقتدي بـ(آل عمران) تزوج خير (النساء)، وبينما هو مع أهله في (المائدة) ضحّى ببعض (الأَنْعَام) مراعيًا بعض (الأعراف). وأوكلَ أمر (الأنفال) إلى الله ورسولِه معلنًا (التوبة) إلى الله أسوة بـ(يونس) و(هود) و(يوسف) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومع صوت (الرعد) قرأَ قصة (إبراهيم) و(حِجْر) ابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكانت له خلِيّة (نحْلٍ) اشتراها في ذكرى (الإسراء) والمعراج، ووضعَها في (كهف) له، ثم أمرَ ابنتَه (مريم) وابنَه (طه) أن يقوما عليها؛ ليقتديا بـ(الأنبياء) في العمل

(١) ينظر: الإتقان (٢/ ٤٠٥).

والجِد. ولما جاءَ موسم (الحج) انطلقوا مع (المؤمنين) مُتجهين إلى حيثُ (النور) يتلألأُ وحيثُ كان يوم (الفرقان) -وكم كتبَ في ذلك (الشعراء)-، وكانوا في حجِّهم كـ (النمل) نظامًا، فسطّروا أروعَ (قصصِ) الاتحاد؛ لئلَّا يُصيبهم الوهن كحال بيت (العنكبوت)، وجلسَ إليهم يقصُّ عليهم غلبة (الروم) ناصحًا لهم -كـ (لقمان) مع ابنه- أن يسجدوا (سجدة) شكرٍ لله، أن هزم (الأحزاب)، وألا يجحدوا مثل (سبأ) نِعَمَ (فاطرِ) السماوات والأرض. وصلَّى بهم تاليًا سورة (يسٓ) مستوين كـ (الصافّاتِ) من الملائكة، وما (صاد) صَيْدًا؛ إذ لا زال مع (الزُّمرِ) في الحرَم داعيًا (غافر) الذنبِ الذي (فُصِّلت) آياتُ كتابه أن يغفر له وللمؤمنين. ثم بدأت (الشورى) بينهم عن موعد العودة، مع الحذر من تأثُّرهم بـ (زخرفِ) الدنيا الفانية كـ (الدُّخان)؛ خوفًا من يومٍ تأتي فيه الأممُ (جاثيةً)، فمَرُّوا على (الأحقافِ) في حضرموت؛ لذِكْرِ (محمد) -صلى الله عليه وآله وأصحابه- لها ولأَمنِها، وهناك كان (الفتحُ) في التجارة، مما جعلَهم يبنون لهم (حُجُراتٍ)، وأسّسوا محالّ أسموها محالّ (قافْ) للتجارة، فكانت (ذارياتٍ) للخير ذروًا، وكان قبل هذا (الطّور) من أطوار حياته كـ (النّجم)، فصار كـ (القمَر) يُشارُ إليه بالبَنان بفضل (الرحمن). ووقعتْ بعدها (واقعة) جعلَت حالهم -كما يُقال- على (الحديد)، فصبرت زوجته ولم تكن (مجادلة)؛ لعلمها أنَّ الله يُعوِّضُهم يوم (الحشر) إليه، وأنَّ الدنيا (ممتحنَة)، فكانوا كـ (الصّف) يوم (الجمعة) تجاهَ هذا البلاء مجتنبين صفات (المنافقين)؛ لأنَّ

الغُبن الحقيقي غبن يوم (التغابن)، فكاد (الطلاق) يأخذ حُكْمَ (التحريم) بينهم؛ لعمق المودةِ بينهم، فـ (تبارك) الذي ألّفَ بينهم كما ألّفَ بين يونس والـ (ـنُّون).. وتذكروا كذلك يومَ (الحاقّة) في لقاء الله ذي (المعارج)، فنذروا أنفسهم للدعوة إليه، واقتدَوا بصبر أيوب و(نوح) عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وتأسّوا بجَلَدِ وحلم المصطفى؛ حيث وصلت دعوتُه إلى سائر الإنس و(الجنّ)، بعد أن كان (المزّمّل) و(المدّثّر)، وهكذا سيشهدُ مقامَهُ يوم (القيامة) كلُّ (إنسان)، إذ تفوقُ مكانتُه عند ربه مكانةَ الملائكة (المرسَلات).. فعَنِ (النّبإِ) العظيم يختلفون، حتى إذا نزعت (النازعات) أرواحَهم (عبَسَـ) ـت الوجوه، وفزعت الخلائق لهول (التكوير) و (الانفطار)، فأين يهرب المكذبون من الكافرين و(المطففين) عند (انشِقاق) السَّمَاءِ ذاتِ (البروجِ) وذات (الطّارق) من ربهم (الأعلى) إذ تغشاهم (الغاشية)؟ هناك يستبشر المشاؤون في الظلام لصلاة (الفجر) وأهلُ (البلد) نيامٌ حتى طلوع (الشمس)، وينعم أهل قيام (الليل) وصلاةِ (الضّحى)، فهنيئًا لهم (انشراح) صدورِهم! ووالذي أقسمَ بـ (التّين)، وخلق الإنسان من (علق) إن أهل (القَدْر) يومئذٍ من كانوا على (بيّنةٍ) من ربهم، فأطاعوه قبل (زلزلة) الأَرْضِ، وضمّروا (العاديات) في سَبِيلِ الله قَبْلَ أن تحل (القارِعة)، ولم يُلْهِهم (التكاثُر)، فكانوا في كلِّ (عَصْر) هداةً مهديين، لا يلتفتون إلى (الهمزة) اللمزة موكلين الأمر إلى الله -كما فعل عبد المطلب عند اعتداء أصحاب (الفيل) على الكعبة، وكان سيدًا في (قُرَيْش)-، وما منعوا (الماعون) عن أحدٍ؛ رجاءَ أن

يرويهم من نهر (الكوثر) يوم يعطش الظالمون و(الكافرون)، وتلك حقيقة (النّصر) الإلهي للنبي المصطفى وأمتِه، في حين يهلك شانؤوه، ويعقد في جِيدِ مَن آذَتْهُ حبلٌ من (مسَد)، فاللهم تقبل منا وارزقنا (الإخلاص) في القول والعمل يا ربَّ (الفلَقِ) وربَّ (الناس).

اللهم ارزقْ وارحم واغفر وانصر واشفِ كلَّ من ساهمَ في نشر الموضوع، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم، وصلَّى الله وسلم على رسوله الكريم وعلى آلِ بيته الطيبين النقيين.

الجواب:

الحمدُ لله، والصلاة والسلامُ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد: فإنَّ هذه الطريقةَ لضبط سور القرآنِ طريقةٌ هزيلةٌ تافهةٌ، تدل على تفاهة عقل مخترعها، وهي إلى الهزْل أقرب منها إلى الجِد، فحُفَّاظ القرآن لا يشتبه عليهم ترتيب سوره، كيف وهم يحفظون ترتيبَ آياته؟! والذي يقرأُ من المصحف يجد ترتيبَ السُّورِ في صفحاته سورةً بعد سورة، كما يجد أسماء السورة مجملة مرتبة (الفهرست)، وعليه فلا ينبغي نشرُ هذه الورقة، ولو على سبيل الطرفة، ومن العجب أنَّ صاحبَها مُعجبٌ بها، ولذا فهو يدعو لمن نشرها، إن كان هو الذي دعا لذلك وليس ذا بغريب من المغرورين بما يخترعون من بدعٍ وفِكَر، ولو كانت هزيلة وتافهة، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

القسم الثاني: فضائل القرآن

السؤال (٨):

الشفاءُ بالقرآن، هل هو شفاءٌ لمرض القلوب؛ كالشِّرك، والنفاق، وغيرها، أم هو شفاءٌ لأمراض عضوية؛ كالصداعِ، وألم المفاصل؟ بل إنِّي سمعت أنَّ من يقرأ القرآنَ الكريم لا يُصابُ بسرطانٍ.

الجواب:

الحمد لله؛ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس].

فأخبرَ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنَّ القرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين، ولا ريب أنَّ المقصود الأوَّل هو شفاءُ ما في الصدور: من أمراض الجهل والشِّركِ والكفر والنفاق، والأخلاقِ الرديئة: كالحسد، والغش، والكبر.

ولكنه مع ذلك شفاءٌ للأمراض الجسدية؛ كالصداعِ وسائر الأوجاع التي تعرض للبدن[١]، كما دلَّت على ذلك سنَّة الرسول ﷺ، كقوله ﷺ:

(١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).

«**لا رقية إلا من عين أو حُمة**[(١)]» رواه البخاري ومسلم[(٢)]، وقوله للذي رقَى اللديغَ بسورة الفاتحة: «وما أدراك أنها رقية» رواه البخاري ومسلم[(٣)]، وقال ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**» رواه مسلم وأبو داود واللفظ له[(٤)].

والرُّقى تكونُ بالقرآن وبالأدعية المشروعة، وأمَّا القول بأنَّ من يقرأ القرآنَ لا يُصيبه السرطان فهذا لا نجزمُ بنفيه ولا إثباته، لكن يرجى أن تكون الرقيةُ بالقرآن سببًا للشفاء من السرطان، فلا نقولُ إنَّ ذلك حتميٌّ، بل السرطان مرضٌ من الأمراض التي تعرضُ للإنسان من صالح وطالح، فالعوارضُ الطبيعية تعرضُ لسائر الناس من المؤمنين والكفار، ولكنها تكون للمسلمِ كفارة لذنوبه وسببًا في تعريضه للأجر بصبره.

---

(١) الحُمَة -بضم المهملة وتخفيف الميم وقد يشدد-: سم العقرب وشبهها، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السم منها يخرج. ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) عن عمران بن حصين، ومسلم (٢٢٠) عن بريدة، كلاهما موقوفًا. وأخرجه أحمد (١٩٩٠٨)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧) من طريق حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن عمران بن حصين مرفوعًا. وأخرجه ابن ماجه (٣٥١٣) من طريق هشيم، عن حصين، عن الشعبي، عن بريدة مرفوعًا، وهو شاذ؛ لأن هشيمًا عند مسلم، وشعبة عند الترمذي، روياه عن حصين عن الشعبي عن بريدة موقوفًا. وقد رجح المزي في تحفة الأشراف (٢/ ٧٧) أن المحفوظ حديث عمران لا حديث بريدة، بينما ذهب الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ١٥٦) إلى أنه عند حصين عن عمران وعن بريدة جميعًا.

(٣) البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مسلم (٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦) عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأمرُ المؤمن كله له خير؛ إنْ أصابته سراءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبرَ فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن، كما أخبرَ الرسول ﷺ فيما رواه مسلم(١)، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني من عام ستة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩):

هل تجوز المُفاضلةُ بين القراءات القرآنية من حيث الأبلغِ والبليغ، والأجودِ لغةً والجيد، كما هو مذهبُ بعض النحويين، وكذلك المُفاضلة بين القراءةِ الواحدة؛ كما في قول صاحبِ الجلالين(٢): إنَّ قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج] أبلغ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨﴾ [الدخان]؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ اتفق أهل السنَّة على تفاضل كلامِ الله، وذلك باعتبار لفظه ومعناه، ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، وقوله ﷺ في سورة الإخلاص: «**إنَّها تعدلُ ثلث**

(١) برقم (٢٩٩٩) عن صهيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) تفسير الجلالين (ص١٧٥٥).

القرآن»[(١)]، وقالَ لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضربَ في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**»[(٢)].

وقد درجَ العلماءُ والمفسرون على المُفاضلة بين القراءات، وهو كثيرٌ في كلام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]، وإذا كان القرآنُ قد نزلَ بلسان عربي مبين فمعلومٌ أنَّ ألفاظَه وأساليبه ودلالاته متفاوتة، ففيه الواضحُ والأوضح، والفصيحُ والأفصح، والمحكمُ والمتشابه، والمُجمل والمبيّن، ومن ذلك بناء الفعل للفاعل؛ فإنَّه أوضحُ في الدلالة على المقصود، مع أنّ الإبهام وبناء الفعلِ للمفعول قد يكون لنكتة بلاغيةٍ كما ذكرَ أهلُ العربية في أغراض حذفِ الفاعل.

ومن هذا القبيل ما ذكره صاحبُ الجلالين في المُفاضلة بين الآيتين، ولا ريب أن لسياق الكلام أثرًا في إيثار تعبيرٍ على تعبير، ولفظٍ على لفظ، فيكون كل تعبير أو لفظ أليق في موضعه من غيره.

هذا؛ والعقولُ قاصرةٌ عن الإحاطة بأسرار كلامِ الله الذي أنزله للتعبد والإعجاز؛ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف] ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ [الطور]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٢) بهذا اللفظ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وللبخاري (٥٠١٣)، (٥٠١٥)، (٦٦٣٤) نحوه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولمسلم (٨١١) نحوه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (١/ ٢٨٥)، (٦/ ٦٧٤)، (٩/ ٤٧٢).

حرر في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر ذي الحجة من عام تسعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٠):

هل يصح القول بأنَّ القرآنَ ناسخٌ للكتب السماويةِ السابقة؟

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ هذا القول فيه إجمالٌ، فإنْ أُريدَ أنَّ القرآنَ ناسخٌ لبعضِ الأحكامِ التفصيلية الواردة فيها، وناسخٌ لوجوب الرجوعِ إليها في معرفة مسائلِ الدِّين وتحكيمِهَا والحكمِ بها= فذلك صحيحٌ.

وإنْ أريد أنَّه ناسخٌ نسخًا كُليًا للكتب السابقة؛ فليس ذلك بصحيح، فإنَّ هناك أصولًا تتفق عليها الكتبُ السماوية كُلُّها، وبُنيت عليها شرائعُ الأنبياء قاطبةً، وهذه لا يدخلها النسخُ؛ كالتوحيد وأصولِ الدِّين، ومن ذلك جنسُ الصلاةِ والصيام والزكاة والأخلاق، ومثلُها الأخبار، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الخميس الثامن من شهر ذي الحجة من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١):

قال بعض المتحدثين في مقطعٍ صوتي متداول: «الاشتغالُ بالصلاة على النبي ﷺ له من الفضل ما لا يكونُ مترتبًا على تلاوة القرآن؛ وذلك أنك إذا قرأت القرآن فلك بكل حرف عشرُ حسنات، أما الصلاةُ على النبي ﷺ فإنَّك إنْ صلَّيت عليه مرةً صلى الله عليك بها عشرًا، وصلاةٌ واحدة من الله تعدلُ كلَّ الثواب»، فما رأيكم فيما قال؟

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ الصلاةَ والسلام على الرسول ﷺ ممَّا أمرَ الله به في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، وعلَّم النبيُّ ﷺ أصحابه التشهد في الصلاة وقد فرضَ عليهم، وفيه: «**السلامُ عليك أيُّها النبي ورحمةُ الله وبركاته**»[(١)]، وعلَّمهم كيف يصلون عليه: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد**»[(٢)]، والصلاةُ عليه في التشهدِ الأخيرِ قيل: ركنٌ، وقيل: واجبٌ، وقيل: سنَّةٌ. والأقربُ أنَّه واجب[(٣)].

والصلاةُ منَّا على النبي ﷺ دعاءٌ منَّا له بأن يُصلي الله عليه -وصلاة الله عليه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى[(٤)]- كما أنَّ صلاتنا على النبي

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري (٣٣٧٠) -واللفظ له-، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: المغني (٢/ ٢٢٨).
(٤) في البخاري (٦/ ١٢٠) عند حديث (٤٧٩٦) قال أبو العالية: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة».

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذِكرٌ لله تعالى، وهكذا كلُّ داعٍ فإنَّه ذاكرٌ لله، وقد ندبَ النبيُّ ﷺ إلى الصلاة والسلام عليه في مواضع: كدخول المسجد والخروج منه[(١)]، وابتداءِ الدعاء وختمه[(٢)]، بل قد جاءَ الوعيدُ لمن ذُكر عنده النبي ﷺ فلم يُصلِّ عليه[(٣)]، كما رغَّب النبي ﷺ في الصلاة عليه، ولا سيما يوم الجمعة[(٤)]، كما قالَ ﷺ: «**من صلَّى علي صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا**» رواه مسلم[(٥)]. وقالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٧٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن خزيمة (٤٥٢)، وابن حبان (٢٠٤٧).
وأخرجه أبو داود (٤٦٥) وابن ماجه (٧٧٢) وابن حبان (٢٠٤٨) وصححه عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه بشواهده ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علّان (٢/ ٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٣٧)، وأبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤) عن فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الترمذي، وابن حبان (١٩٦٠).
أما ختم الدعاء بالصلاة على النبي فقد جاء عن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «من أراد أن يسأل الله حاجته ليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة، والله أكرم أن يرد ما بينهما». وحكى النووي في الأذكار (ص١١٧) إجماع العلماء على استحبابه. ينظر: تاريخ دمشق (١٢/ ٤١)، وجلاء الأفهام (ص٤٤٨-٤٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٧٤٥١)، والترمذي (٣٥٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال الترمذي: «وفي الباب عن جابر، وأنس. هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.» وصححه ابن حبان (٩٠٨).

(٤) سيأتي ذكر لفظ الحديث.

(٥) برقم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

رواه أبو داود والنسائي[١]. وقال النبي ﷺ لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال له: أجعلُ لك صلاتي كلَّها، قالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذن تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[٢]، وحسن إسنادَه الحافظُ في الفتح[٣]. فقول أُبيٍّ: «أَجْعلُ لك صلاتي كلها» أي دعائي، أي أجعلُ بدل دعائي لنفسي صلاةً عليك، قالَ شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنَّ هذا كان له دعاءٌ يدعو به، فإذا جَعَل مكانَ دعائِه الصلاةَ على النبي ﷺ؛ كفاه الله ما أهمَّه من أمر دنياه وآخرته؛ فإنَّه كلَّما صلى عليه مرةً صلَّى الله عليه عشرًا، وهو لو دعا لآحاد المؤمنين لقالت الملائكة: «آمين، ولك بمثله»[٤]، فدعاؤه للنبي ﷺ أولى بذلك»[٥].

فعُلَمَ ممَّا تقدَّمَ أنَّ الصلاةَ على الرسول ﷺ من أفضل الدعاء وأفضلِ الذِّكر، وأما القولُ بتفضيل التعبدِ بالصلاة على النبي ﷺ على التعبد بتلاوة القرآنِ مطلقًا، فباطلٌ؛ فإنَّ ذلك لم ينقلْ عن أحدٍ من الصحابة ولا التابعين، ولا الأئمة المقتدى بهم، وهو مخالفٌ للمأثور عن السلف من الترغيب في تلاوة القرآن، والتنافسِ في ذلك، ولا سيما في قيام الليل وفي شهر رمضان، ومخالفٌ لدلالة الكتاب والسنَّة؛ فمن ذلك ثناؤه تعالى على المُتعبِّدين

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وأخرجه أيضا أحمد (١٦١٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩٠١).
(٢) برقم (٢٤٥٧)، وصححه الحاكم (٣٦٣٥)، وجوَّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٧ رقم ١٧٢٧٩).
(٣) ينظر: فتح الباري (١١/ ١٦٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٢) وابن ماجه (٢٨٩٥) -واللفظ له- من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٧٧).

بتلاوة الآيات، كقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر] الآيات، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقد أمرَ الله نبيه ﷺ والمؤمنين بقراءة القرآن والتهجد به، فقال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل] إلى قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، وقال: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، ومن السنَّة قولُه ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**» الحديث(١)، وقرنَ النبيُّ ﷺ قراءةَ القرآن بالصلاة والصيام في حديث الخوارج في الصحيح، وفيه: «**ليس قراءتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتُكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء**»(٢)، وجاءَ في الحديث عن النبي ﷺ: «**إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه**» يعني القرآن. أخرجه الحاكم وصححه عن أبي ذر ووافقه الذهبي(٣).

وأما الاستدلالُ على تفضيل التعبدِ بالصلاة على النبي ﷺ على التعبد بقراءة القرآنِ بقوله ﷺ: «**من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦-١٥٦) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) برقم (٢٠٩١) وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢٣٠٦) الترمذي (٢٩١١) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٢٦٣): «هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه»، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٥٧).

عشرًا»، فمعناه داخلٌ في عموم قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهو كذلك سبحانه يجزي الذاكرين، يذكرهم ويصلِّي عليهم، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب]، وقد استفاضت السنة بتفضيل كلمات الذكرِ الأربع: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبر، والترغيبُ في الإكثار منها مُطلقا ومقيَّدًا، ومع ذلك فتلاوةُ القرآن أفضلُ من الذِّكر المُطلَق بها، وقد جعلَ اللهُ قراءةَ الفاتحة ركنَ الصلاة في قول جمهور العلماءِ(١)، لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(٢)، وما سوى القراءة من أذكارِ الصلاة فهو إما ركنٌ أو واجبٌ أو سنَّة، على تفصيل معروفٍ بين العلماء، ولم تُشرع الصلاةُ على النبي ﷺ في الصلاة إلا في التشهد، وهي الصلاةُ الإبراهيميةُ بالصيغة التي علَّمها النبيُّ ﷺ أصحابَه.

وبعد؛ فالقولُ بتفضيل التعبد بالإكثار من الصلاةِ على النبي ﷺ على التعبد بالإكثار من تلاوة القرآنِ مُطلقًا هو مذهبُ كثيرٍ من أصحاب الطرقِ الصوفية الضالَّة؛ لذلك يبتدعُ شيوخُهم صيغًا في الصلاة على النبي ﷺ، ويجعلون لكل صيغةٍ من هذه الصيغِ اسمًا تعرفُ به، كصلاة الفاتحِ والصلاة النارية، ثم يَفْتَرون لهذه الصلوات فضائل، منها تفضيلها على قراءة القرآن، وعلى أعمال الوليِّ من أولياء الله، ولو عاشَ أزمانًا

(١) ينظر: المغني (٢/ ١٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مُتطاولة، فمن ذلك ما قيل في فضل صلاةِ الفاتح أنَّ المرةَ الواحدةَ منها تعدلُ ست مئة ألف صلاة، بل قِيل عنها إنَّها تعدلُ من القرآن ستة آلاف مرة، كما في كتاب «جواهرِ المعاني»[١] لعلي حرازم الفاسي[٢] من كتبهم[٣]، وهذا قليلٌ من كثير. هذا مع أنَّ في بعض الصلوات المبتدعة عباراتٌ شِركية، كما في قول صاحب[٤] «دلائلِ الخيرات»[٥]: «اللهم صلِّ على محمد ما سجَعت الحمائم...، ونفعَت التمائم»[٦]، وتعليقُ التمائمِ من الشِّرك، كما في الحديث[٧].

---

(١) (١/ ١٠٠).

(٢) علي حرازم بن العربي برادة، أحد أفراد الطريقة التجانية المشار إليه بالخصوصية من أهل فاس، توفي سنة (١٢١٨هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠)، وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/ ٩٨).

(٣) عنوانه الكامل: «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني»! وهو مطبوع مشهور عند الصوفية، وقد جعله في ستة أبواب: في مولد التيجاني ونشأته، ومواجده، وعلمه كرمه، وأولاده وأوراده، وأجوبته عن آيات قرآنية، وكراماته.

(٤) هو محمد بن سليمان الجزولي، أخذ عنه أحمد زروق وأحمد بن عمر الحارثي المكناسي، له «كتاب في التصوف»، و«حزب سبحان الدائم»، مات سنة (٨٧٠هـ) على الصحيح. ينظر: نيل الابتهاج (ص٥٤٥)، وشجرة النور الزكية (١/ ٣٨٠).

(٥) وهو مطبوع مشهور عند الصوفية حشاه مؤلفه بالمخالفات الشرعية من العبارات الشركية والبدعية والأحاديث الضعيفة والموضوعة واخترع صلوات على النبي ﷺ ما أنزل الله بها من سلطان، بل واخترع أحاديث في فضل هذه الصلوات. ينظر: الألفاظ الموضحات لأغلاط كتاب دلائل الخيرات لعبد الله الدويش.

(٦) في الحزب السابع في يوم الأحد (ص١٢٩).

(٧) أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، ابن ماجه (٣٥٣٠)، وصححه ابن حبان (٦٠٩٠)، والحاكم (٨٢٩٠)، (٧٥٠٥).

هذا؛ وقد تبيَّنَ ممَّا تقدَّم أنَّ ما وَرَد في المقطع الصوتيِّ متضمنٌ للمعنى الباطل الذي تبينَ وجه بطلانه، وهو تفضيلُ الصلاة على النبي ﷺ على تلاوة القرآن، فعليه لا يجوزُ تداولُ هذا المقطع، ولا يجوز اعتقادُ ما فيه من تفضيل الصلاةِ على الرسول ﷺ على تلاوة القرآن؛ فإنَّه ضلالٌ مبين، وما فاهَ به هذا الرجلُ الجاهل هو نزرٌ من الفكر الصوفي القائمِ على الغلوِّ في النبي ﷺ، فاحذروا أيها الإخوةُ من الرجال والنساء ترويج مثل هذه الدعاوى التي لا مستندَ لها، لئلا تُشاركوا الرجلَ في الضلال والإضلال. نسأله تعالى الهدى، ونعوذُ به من الضلال. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

حرر في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر شعبان من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٢):

هناك عادةٌ منتشرة بين الناس ألا وهي قراءةُ الفاتحة على روح الميِّت، يُرجى بيانُ الحكم الشرعي في هذه العادة وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ اختلف أهل العلم في إهداء القراءة للميِّت، وذهب أكثرهم إلى الجواز قياسًا على الصدقة. وذهبَ جمعٌ من أهل العلم إلى أنَّه لا تُهدى القراءة، ولا يصل ثوابها، وذلك أنَّ أمر الثواب غيبٌ لا يقطع

به الإنسان لنفسه، ولا يملك الإنسان التصرُّف فيه، وإنَّما المشروعُ فعل العبادة عن الغير كالصدقة عنه، فيُقتصر فيه على ما ورد، ولم يرد عن الرَّسول ﷺ ولا عن أحدٍ من أصحابه القراءة عن الميِّت، لا أمرًا ولا إذنًا، وهذا القول أظهر[١].

وليس لسورة الفاتحة خصوصيَّة في هذا الحكم، فلم يفرِّق المُجيزون ولا المانعون بين الفاتحة وغيرها، فتخصيصُ الفاتحة بذلك لا أصل له، والمعروف أنَّ الَّذين يستحبون قراءة الفاتحة على روح الميتِ من العامة أو من غيرهم يخصُّون ذلك ببعض الأحوال والمناسبات، مثل: قراءتها عند دفنه، أو عند الإحدادِ المُبتدع، أو عند العزاء، وهذا كلُّه بدعٌ، كالَّذين يقفون قيامًا حدادًا على ميِّت ويقرؤون الفاتحة[٢].

وينبغي أن يُعلم أنَّ استئجار من يقرأ القرآن ويُهدي ثوابه حرامٌ على المستأجِر والمستأجَر باتفاق أهل العلم؛ لأنَّ من يقرأُ القرآن بالأجرة لا ثوابَ له، فيجب الحذر من هذه العادة القبيحةِ المُنكرة، والله أعلم.

حرر في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من عام اثنين وعشرين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

---

(١) تنظر الفتوى الآتية.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٢)، (١٣/ ١٨٥، ٢٧٣) ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٢١٩).

السؤال (١٣):

رأيت في إحدى القنواتِ الفضائية شيخًا فاضلًا تكلم كلامًا جميلًا اقشعرَّت منه جلود السامعين، وذلك في محبة الرسولِ ﷺ، ولكني رأيته في ختام محاضرتِه دعا إلى قراءة الفاتحةِ على النبي ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، فهل هذا جائزٌ، أو وردَ عن السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قراءةُ الفاتحة عند ختم الدعاء بدعةٌ لا أصلَ لها من كتاب ولا سنَّة ولا من فعل الصحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ ولا من تبعهم بإحسان؛ فلا يجوز تحرِّي ذلك[١]، فإنَّ تخصيصَ الذكر أو القراءة في وقت أو حال أو مكانٍ لا يجوزُ إلا بدليل، وقراءة الفاتحة أوجبَها الله في الصلاة، وهي رقيةٌ يُرقى بها المريض، وتلاوتها عبادة كسائر سور القرآن، بل إنَّها أفضلُ سُوَرِ القرآن، ولا أذكر موضعًا يُشرع فيه قراءةُ الفاتحة على وجه الخصوص إلا ما ذُكر، ويكفي دلالةً على عِظم شأن الفاتحة أنَّ الله افترضَ قراءتها في كل ركعةٍ، فالمسلم يقرؤها سبع عشرة مرة في صلاة الفريضة، ويقرؤها في سائر النوافلِ في كل ركعة؛ إذ لا تصحُّ صلاةٌ لا فرضًا، ولا نفلًا إلا بقراءتها؛ لقوله ﷺ: «**لا صلاةَ لمن لم يقرأْ بفاتحة الكتاب**»[٢].

وأما إهداءُ ثواب قراءتها أو غيرها من القرآن للرسولِ ﷺ فبدعةٌ[٣]؛ فالرسول له مثل أجورِ جميع أمته ﷺ، وأما إهداءُ ثواب قراءةِ القرآن لغير

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٤/ ١٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.
(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٤/ ٢٣).

الرسول ﷺ فمُختلفٌ فيه بين العلماء[١]، والأظهرُ أنّه لا يجوز إهداء ثوابِ التلاوة[٢]؛ إذ لم يدلَّ عليه دليلٌ من سنّته ﷺ أو فعل صحابته، وأما استئجارُ من يتلو القرآن ويهدي ثوابه فحرامٌ باتفاق العلماء، على الآخذ والمُعطي فإنَّ الذي يأخذ الأجرةَ على التلاوة لا ثوابَ له، وليس للفاتحة خصوصيةٌ في حكم إهداء ثوابِ القراءة، فتخصيصُ ذلك بها بدعةٌ، والله أعلم.

حرر في يوم الجمعة العاشر من شهر ذي القعدة من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٤):

هل تجوز المداومة على قراءة سورة البقرة يوميًا بنيّة الشّفاء مِن المرض النّفسي؟ وكذلك أن أنفث على طفلي بعد الانتهاء منها؟

الجواب:

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمّا بعد:

فقد ورد في فضل سورة البقرة أحاديث، منها قوله ﷺ: «**إنّ الشّيطان يفرّ مِن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[٣]، وقوله ﷺ: «**اقرءوا سورة**

(١) ينظر: الروح لابن القيم (٢/ ٣٥٢).
(٢) واختاره شيخ الإسلام في أحد قوليه. ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢١)، والاختيارات (ص١٣٧).
(٣) أخرجه بنحوه مسلم (٧٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

البقرة؛ فإنّ أخذها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا تستطيعها البطَلَةُ»[١]، وهم السحرة[٢]؛ فإذا قرأها مريض -ولا سيما المريض الذي يكون مرضه بتأثير الشّيطان كالوسواس، أو قرئت عنده- فإنّه يُرجى أن ينفعه الله بها، وكذلك إذا اتّخذها المريض رقية فنفثَ على نفسه، كلّما قرأ شيئًا منها، أو قرأها على مريض رجاء الشّفاء بهذه السّورة؛ فإنّه يُرجى أن ينفع الله بذلك.

والرّقية بالقرآن وبالأدعية المأثورة مِن أعظم أسباب الشّفاء، وقد سمّى الله كتابه «شفاء»، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس]

والقرآن -وإن كان المقصودُ الأعظمُ منه شفاءُ القلوب مِن أمراض الشّهوات والشّبهات- فهو كذلك شفاء للأبدان، كيف وسورة البقرة مشتملة على آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله[٣]، وعلى الآيتين اللتين مِن خواتيم سورة البقرة، وقد ورد أنّ مَن قرأهما في ليلة كفتاه[٤].

ولكن ينبغي أن يضمّ إلى قراءة سورة البقرة أو غيرها: الدّعاء؛ فإنّه تعالى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السّوء، وقد أخبر عن

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وهو تفسير الراوي معاوية بن سلام في تمام الحديث قال: «بلغني أن البطلة: السحرة». وقال ابن الأثير: «يقال أبطل إذا جاء بالباطل» النهاية (١/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٠) عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧) عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيوب حين مسّه الضّر أنّه توجه إلى ربّه، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ [الأنبياء]، والله أعلم.

حرر في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٥):

انتشرَ الكلامُ عند بداية الحرب عن رؤيا تدعو إلى قراءة سورة الأنعام، وتُوصي بذلك أهل الخليج، وانتشرَت عبر رسائلِ الجوال، فما هو الحكم في مثل ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الدعوةُ إلى قراءة سورةِ الأنعام عندما بدأت الحربُ في العراق زعمها بعض الناس استدلالًا برؤيا قالوا إنَّها صالحة، وهذا الداعي مجهولٌ، والرؤيا صاحبها مجهولٌ، فقد يكون الداعي إلى ذلك كاذبًا، وقد يكون مكذوبًا عليه، فالرؤيا إن كانت صحيحة فليست رؤيا صالحة، بل هي من وحي الشيطان، فإنَّ الرؤيا الصالحة لا تتضمنُ تشريعًا.

فالدعوة إلى قراءة سورةِ الأنعام في وقت مخصوصٍ وحال مخصوصة دعوة إلى بدعةٍ لا أصلَ لها في شرع الله، فيجب على من قرأَ سورة الأنعام استجابة لهذه الدعوة أن يستغفرَ الله ويتوبَ إليه، ومن دعا إليها يجب عليه

أن يتوب ويستغفرَ الله، وإن كان هو المُفتري لهذه الدعوة فإثمه أعظم، وعليه أن يتوب، ويعلم أنَّه إن أصرَّ على ذلك فعليه مثل آثام من قلَّده، فيجب الاحتراسُ من هذه الدعوات المُضلَّة وأشباهها الصادرة عن المجهولين، نسألُ الله أن يعصمنا من أسباب الضلال، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الثاني عشر من شهر جمادى الآخر من عام أربع وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦):

سمعت أنَّه ورد حديثٌ عن الرسول ﷺ أنَّ قراءة سورةِ الواقعة تجلبُ الرزق؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ نعم، أخرجَ أبو عبيد في فضائل القرآن(١)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده(٢)، وابنُ الضريس في فضائل القرآن(٣)، من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا**»، وذكرَه السيوطي في الجامع ورمزَ له بعلامة الضعفِ(٤)، فالحديثُ ضعيف(٥)، والله أعلم.

---

(١) (ص ٢٥٧).
(٢) برقم (٧٢١).
(٣) برقم (٢٢٦).
(٤) برقم (٨٩٢٣) كما في التنوير شرح الجامع الصغير للمناوي.
(٥) وضعفه أحمد وأبو حاتم. ينظر: التنوير (١٠/ ٣٥٥ رقم ٨٩٢٣).

وهذا هو شأنُ أكثر الأحاديث الواردة في فضائل السُّوَر، فمنها الضعيفُ، ومنها الموضوعُ، والصحيح منها قليلٌ، كما وردَ في سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أنَّها تعدلُ ثلث القرآن[١]، وأنَّ سورةَ الفاتحة أفضلُ سورة نزلت[٢]، وما أشبهَ ذلك، والله أعلم.

***

السؤال (١٧):

أنا إلى الآن ما رزقَني ربي بزوج، وسألتُ الناس فقالوا: اقرئي سورة الذاريات، والواقعة، والبقرة، والبروج، والرحمن. ودخلت الشبكة العنكبوتية أتأكد من جوجل وكتبت: دعاءَ الزواج، وخرجَ عندي دعاءٌ بنية الزواج، وأخذتُ أقرأُ كلَّ يومٍ وبعد كل صلاة، ويقولون: إنَّه مُجرَّبٌ، وطلع في الدعاء: سورة البقرة، والحج، والواقعة، والنور، والرحمن، والملك، ويس، والذاريات، لكن يس والذاريات تُقرآن في النهار، والملك والبروج الصباح، والواقعة بعد العشاء، والبقرة تقرئينها في كل وقتٍ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ كلُّ هذه الترتيبات: سورة كذا وسورة كذا؛ لا أصلَ لها في الشرع، ولا مناسبةَ بينها وبين موضوعِ الزواج.

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٨١١)، (٨١٢) عن أبي الدرداء وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والطريقُ الشرعيُّ لتحصيل المطالبِ -مطالب الإنسان في أمر دينه ودنياه- أن يدعو ربَّه في صلاته وفي جوف الليلِ وغير ذلك من مواضع الإجابة. والله أعلم.

***

السؤال (١٨):

هل يجوزُ أن أتلو السُّور التي مِن السُّنَّة أن يقرأها الإمامُ في الصَّلاة؛ كسورتي «السَّجدة والإنسان» فجر الجمعة[١]، أو «الأعلى والغاشية» في صلاة الجمعة[٢]، في حال أنَّ الإمام لم يقرأها، مِن باب تحقيق الحكمة التي مِن أجلها شُرعت تلاوة هذه السُّور في هذا اليوم العظيم، أو أنَّ هذا يدخلُ في باب الابتداع في العبادة؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على مَن لا نبي بعده؛ أمَّا بعد:

فإنَّ المشروع للمسلم أن يعملَ بالسُّنن على وجهها كما جاءت عن الهادي الأمين ﷺ، والظَّاهر مِن السُّنَّة أنَّ ما يُشرع للمنفرد لا يلزمُ أن يُشرع للجماعة، وما يُشرع للجماعة لا يلزمُ أنَّ يُشرع للمنفرد، فقراءة «ألم تنزيل» السَّجدة و«الإنسان»، وقراءة «الأعلى والغاشية» شُرعت في صلاة جماعة، ومِن المقصود إسماعُ المصلّين وتذكيرهم ما تضمَّنته هذه السُّور مِن المعاني، وقراءةُ المنفرد لها لا يُحقق ذلك، ثم إنَّه لم يُنقل عن أحد مِن أهل العلم -فيما نعلم- استحبابُ قراءة هذه السُّور لكلِّ أحد، سواء حضرَ

(١) أخرجه البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٨) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الجماعة فجر الجمعة أو لم يحضرها، أو حضرَ صلاة الجمعة مع الإمام أو لم يحضرها، بل نصَّ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ على ما دلَّت عليه السُّنَّة مِن استحباب ذلك للإمام فقط[(١)]، ولم يقل أحدٌ: إذا لم يقرأ الإمام بهذه السُّور سُنَّ لآحاد الجماعة أن يقرأها في ذلك اليوم، فما ذكرته -أيُّها السَّائل- هو رأيٌ محضٌ لا دليل عليه، ولم تُسبق إليه، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد السابع عشر من شهر شوال من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٩):

ما رأيكم في قول أحد الفضلاء «إنَّ مِن خصائص سورة الضّحى أنَّ مَن ضاعَ منه شيءٌ فقرأها فإنَّه يجده بإذن الله» وهل مجرَّد التَّجربة أو الوقوع كافٍ في ثبوت خصيصة مِن الخصائص لإحدى سور القرآن أو آياته؟

الجواب:

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

فإنَّ خواصَّ الشَّيء ما يمتازُ به عن غيره، ومِن ذلك ما يدخلُ في تركيبه، ومنه ما يدخلُ في آثاره، وهذا ظاهر في الطَّبيعيات مثل الأدوية والأطعمة، وعلى هذا فخواصُّ الآية أو السورة ما تمتاز به عن غيرها مِن أسلوب أو

(١) ينظر: المغني (٣/ ٢٥٢)، (٣/ ١٨٢).

معنى أو أثر أو تأثير، وأما فضائل السُّور والآيات فهي ما دلَّ عليه الشَّرع مِن تفضيل للسورة والآية على غيرها، أو تعبُّدٍ بتلاوتها خاصة، أو ترتيبِ ثواب عاجل أو آجل على تلاوتها، وبهذا يظهر أن خواصَّ السُّور والآيات أعمُّ مِن الفضائل؛ فالخواصُّ منها ما يُعرف باللغة، ومنها ما قد يُعرف بالتَّجربة، وهو ما يترتَّب على تلاوتها مِن منفعة عاجلة، أي: في الدنيا مِن وقاية مِن عدو، أو هداية طريق، أو شفاء مِن داء أو عاهة.

وهذا النَّوع مِن الخواصِّ -أعني ما عُرف بالتَّجربة منها- لا ذكر له في كلام السَّلف مِن الصَّحابة والتَّابعين، وإنَّما عُرف شيءٌ مِن ذلك في كلام المتأخِّرين، لا سيما المتصوِّفة، ومستندهم فيه التَّجارب، قال في «الإتقان في علوم القرآن»[1]: «النَّوع الخامس والسبعون في خواصِّ القرآن، أفرده بالتَّصنيف جماعة... وغالبُ ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصَّالحين» اهـ.

أقول: وهذا بابٌ واسعٌ لا ينبغي الولوج فيه إلا على غاية مِن التَّحفُّظ والاحتياط، وقد أفرطَ فيه قوم فوقعَ منهم طوام في هذا الشَّأن، وصنَّف بعضُهم فيه مصنَّفات شحنها بالباطل من الدَّعاوى التي لا يقبلها العقل السَّليم، ولا يُقرّها الشَّرع القويم، كقول بعضهم: قراءة سورة «المنافقون» يزيل الرَّمد والدمامل والأوجاع، وقوله: مَن نقشَ سورة «النَّصر» وجعلها في الشَّبكة أتته السَّمك أفواجًا، ومَن نقشها على أيِّ شيء مِن آلة الحرب واستقبل بها عدوه نصره الله عليه. اهـ[2].

---

(١) (٦/ ٢١٧٦).

(٢) ينظر: قطب الإرشاد لفقير الله بن عبد الرحمن الحنفي النقشبندي (ص٧١٧)، واسم الله الأعظم: شرحه وفوائده ومجرباته لعبد الفتاح السيد الطوخي (ص٥٢).

هذا؛ وما وردَ عن بعض الثِّقات مِن هذا النَّوع، وهو شيء قليل لا يمكن القطع بأن ما حصل مِن المنفعة مِن شفاء أو هداية طريق أو صد عدو، كان بمجرَّد تلاوة الآية أو السورة أو كتابتها، بل قد يكون بسبب ما اقترنَ بذلك مِن الدُّعاء وصدق الرَّغبة وحُسن الظَّن بالله، ومع ذلك فلا مانع مِن العمل بهذا الذي جاء عن بعض الأئمة والعلماء الثِّقات.

وأما ما ذُكر في السؤال عن سورة «الضحى»: فلا أصل له ولا مناسبة، والله الهادي إلى سبيل الرشاد، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وسلَّم.

حرر في يوم الثلاثاء الثامن من شهر محرم من عام أربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢٠):

ما وردَ من الفضل في قراءة سورةِ الإخلاص ثلاث مرات وأنَّه يعدلُ قراءة القرآن كاملًا في الأجر، هل يفهمُ من الحديث مشروعيةَ تكرار السورة دائمًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ قد ثبتَ في الصحيحَين أنَّ سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ تعدلُ ثلثَ القرآن[1]، واختلفَ العلماء في معنى ذلك:

فقيل: تعدلُ ثلثَ القرآن من حيث معناها، فمعاني القرآن ترجعُ إلى ثلاثة؛ فهي إما خبرٌ، وإما طلبٌ -وهو الأوامر والنواهي-، والخبر إما

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٨١١)، (٨١٢) عن أبي الدرداء وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته، وإما خبرٌ عن المخلوقات، وهذه السورة تضمنت الخبرَ عن الله، وأُخلصت لذلك، فهي صفةُ الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقالَ بعضُ أهل العلم: بل إنَّها تعدلُ ثلثَ القرآن من حيث ثوابِ التلاوة.

والقولُ الأول هو الذي يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويختاره، وألَّف في ذلك كتابا سماه: «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[(١)].

ومما ورد في فضلها قوله ﷺ لذلك الرجل أمير السَّرية الذي كان يختم بها قراءته في الصلاة، وذكر أن الذي حمله على ذلك أنها صفة الرحمن فهو يحبها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**» متفق عليه[(٢)]، ومع ذلك لم يكن خَتْم القراءة بها مشروعًا دائما، ولم يُؤْثر أن أحدًا ممن يُقتدى به كان يتحرى ذلك، لكن من أحب أن يفعل ذلك أحيانًا جاز له ذلك.

وقد ورد استحباب قراءتها في مواضع: كما في ركعتي الفجر[(٣)]، وركعتي الطواف[(٤)]، والوتر[(٥)]، وغير ذلك.

(١) تنظر: (ص١٣٣). وهذا الوجه هو المنقول عن أبي العباس بن سريج. ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٦٣).

(٢) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر، والشاهد هو من قول محمد بن علي بن الحسين. قال الخطيب البغدادي: «وذكر قراءة هاتين السورتين خاصة في هذا الحديث ليس بمرفوع، وإنما هو حكاية جعفر بن محمد عن أبيه» الفصل للوصل المدرج في النقل (٢/ ٦٧١).

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٢٣)، وابن ماجه (١١٧١)، والنسائي (١٦٩٩) عن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه ابن حبان (٢٤٣٦)، والضياء في المختارة (١٢١٦).

أما تكرارها دائمًا والاستغناء بذلك عن تلاوة القرآن فهذا غلط، وأكثر من يفعله الصوفية، وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكتاب المذكور أنها لا تعدل تلاوة ثلث القرآن، ولا تغني عن تلاوة الثلث[١]، لكن لو كررها الإنسان في بعض الأحيان ليتدبر معناها كان حسنًا.

هذا؛ وينبغي أن يُعلم أنَّه لا بدَّ أن يُستعان على فهم السُّنن المروية بعمل الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان؛ فإنَّهم أعلمُ بمراد الله ومرادِ رسوله ﷺ وأكملُ طاعةً واتباعًا. والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين السادس عشر من شهر ذي القعدة من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

---

(١) (ص١٦١) وما بعدها.

القسم الثالث: الوقف والابتداء في بعض آيات القرآن

السؤال (٢١):

نسمعُ من بعض القراء الكبار بعض الوقفات والبداءات في كلام الله تُفيد معنى جديدًا صحيحًا، ومن أمثلة ذلك:

١- الوقفُ على قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ثم يبدأ: ﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر].

٢- الوقفُ على قوله: ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، ثم يبدأ: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ [القصص: ٢٥]، فصفةُ الاستحياء في الأول للمشيِ وفي الثاني للقول.

٣- الوقف على قوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أي: أن نعم، لم يمسسك بشر، ثم يبدأ: ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أو يبدأ: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

٤- الوقف على قوله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات]، ثم يبدأ: ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات]، أي: أنت من علاماتها.

٥- الوقفُ على قوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ﴾ [الواقعة: ٦٤] ثم يبدأ: ﴿نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾ [الواقعة].

٦- الوقفُ على قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦]، ثم يبدأ: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ [مريم: ٤٦].

٧- الوقفُ على قوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]، ثم يبدأُ ﴿ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]، وهكذا في آيات أُخر.

والسؤالُ: ما حكمُ الوقف والابتداء اللذين يُفيدان معنى جديدًا صحيحًا سواء أكان متبادرًا أم غير متبادرٍ، وهل يتسعُ الخلافُ في هذا؟ وهل نقولُ بأنَّ الجميعَ مرادٌ لله، وأنَّ الله تعالى تكلَّم به على هذه الصفة؟ أو يحتملُ أن يكون تكلَّمَ به على هذه الصفة؟ وهل تجوزُ القراءةُ به ولفتُ النظر إليه؟ وما حكمُ البداءة المُخلَّة بالإعراب، مثل الوقفِ على قوله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]، ثم البدءُ بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ [هود]؟ أفيدونا أثابكم الله؛ فقد وقعَ الخلاف، وانتشرَ، وكثرَ السؤال عن هذا؛ خصوصًا أنَّه في قراءة بعضِ القرَّاء الكبار.

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛ أما بعد: فإنَّ القراءة بهذه الطريقةِ المذكورة لا تجوز؛ والوقفُ والابتداء من أحكام القراءةِ، فيجبُ أن يُتَّبع فيها ما درجَ عليه علماء القراءات، وما يتفقُ مع مُقتضى اللسانِ العربي، وما ذكرَ في السؤال من الأمثلة، منه ما لا يفيد معنى جديدًا، بل يُخالف قاعدةَ اللسان العربي، ويتضمن الزيادة في القرآن.

أولًا: قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر: ١٦]، الجملة استفهام، وقاعدة اللغة أنها لا تعاد جملة الاستفهام في الجواب، فإذا قال القارئ:

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ثم قال: ﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر]، زادَ في القرآن جملةً؛ مرةً في السؤالِ ومرةً في الجواب؛ إذ يكون التقديرُ: لمن الملكُ اليوم؟ الملكُ اليومَ لله الواحد القهار.

ثانيًا: وكذا قوله تعالى: ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، فإنَّ إعادة الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ يتضمنُ أنَّها تمشي على استحياء، وقالت ما قالت على استحياء، وهذا معنىً محدث، لم يدلَّ عليه القرآن، ويلزمُ منه أن يكون المعنى: مشَت على استحياء، وقالَت على استحياء، والتقدير: تمشي على استحياء، على استحياء قالت[1].

ثالثًا: وكذلك قوله تعالى عن مريم: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ [آل عمران: ٤٧]، الوقفُ على اسم الإشارة، ثم الابتداءُ بقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ [آل عمران: ٤٧] يتضمن استعمالَ اسم الإشارة في معنيين؛ أولهما: قول مريم: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وهذا معنىً مُحدث، لم يقلْ به أحدٌ من المفسرين، والمراد من اسم الإشارة المعنى الثاني، وهو الإشارة إلى خلق المسيح.

رابعًا: وقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات]، إعادة ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ٤٣﴾ [النازعات]، يتضمنُ معنى محدثًا لم يُرد من الآية، وهو أنَّ الرسول ﷺ -شخصه أو بعثته- ذكرى للساعة[2]، ويزعمُ من يقرأ كذلك

---

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا (ص٤٣٦).

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف (٦/ ٣١١)، واستحسنه السمين الحلبي في الدر المصون (١٠/ ٦٨٣) ثم قال «أنه يخالف الظاهر ومُفكِّكٌ لنظم الكلام»

أن معنى «ذكرى» علامة، وهذا خلافُ ما يقتضيه سياق الكلام، وهو أنَّ الرسولَ ﷺ ليس في شيء من العلم بموعد الساعة.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾ [الواقعة]، الاستفهامُ في الآية للإنكار؛ فتفيدُ الآيةُ نفي الزرع عن المخاطَبين، وإضافته إلى الله العظيم، فالوقفُ على الضمير ثم الابتداءُ به لا يفيد معنى جديدًا، بل يؤدي إلى الزيادة في القرآن بتكرارِ الضمير، والتطويل المنافي للفصاحة.

سادسًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦]، الوقف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ ثم إعادة جملة النداء يتضمن دعوى باطلة في خبر الله عن أبي إبراهيم، وهو أنَّه قال: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ مرتين؛ مرةً مع جملة الاستفهام الإنكاري، ومرةً مع جملة التهديد، والله إنما ذكر جملة النداء مرةً واحدة، كما أنَّه يتضمنُ الزيادة في القرآن، وليس فيه معنىً جديدًا، وجملةُ التهديد لا تفتقرُ إلى إعادة جملة النداء.

سابعًا: قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف] وردت الآية لبيان من هو خيرٌ، وهو اللهُ الواحد القهار، وفي الوقت نفسه تفيد أنَّ الله هو الواحد القهار، وإعادةُ الجملة يتضمن أنها جوابٌ لاستفهام عن تعيين الواحدِ القهار، وهذا معنى مُحدَث في الآية، كما يتضمنُ الزيادة في القرآن؛ فإنَّ مُقتضى الوقف والابتداء المذكور يجعلُ التقديرَ: أأربابٌ متفرقون خيرٌ أم الواحدُ القهار، اللهُ الواحدُ القهار.

ثامنًا: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]، من يُعيد المجرور ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يريد أن تكون جملة مستأنفة؛ فيجب الرفع،

ومعلوم أن هذا لا يجوز في الآية، وإنما يريد بناء الوصف ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ [هود: ١٩]، وكان الذي ينبغي إذا وقف اضطرارًا أن يُعيد حرف الجر ﴿عَلَى﴾، مع أنَّه لا مُوجب لإعادة المجرور، ولا الجار والمجرور، وليس في الوقفِ على ﴿ٱلظَّالِمِينَ﴾ إشكال، كالوقف على «المصلِّين» من قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

والحاصل: أنَّ الحاملَ على هذه الطريقة هو الاستحسان، وهو أصلُ البدعِ في الدِّين، فالواجبُ ترك هذه الطريقة، ومناصحةُ من يقرأ بها. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الأول من شهر ربيع الآخر من عام اثنين وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢٢):

إمامُ المسجد عندنا إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام] يَقِفُ عند ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثُم يستأنِفُ مِنْ قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وأُحِسُّ أنَّ المعنى يتغيرُ على هذا الوقف، فهل وقفُهُ صحيح؟ وآمل بيانَ المعنى على هذا الوقف إنْ كان صحيحًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام] أحسَنُ ما قيل فيه أنه كقوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ أيْ: معبودٌ في السماء ومعبودٌ في الأرض[١]؛ لأنَّ الاسمَ الشريفَ (الله) هو بمعنى الإله، كما قال ابن عباس: «الله: ذو الألوهية والمَعبودية على خَلْقه»[٢].

فعلى هذا يكون (الله) بمعنى الإله، فيكون معنى الآية: وهو الإلهُ في السماوات وفي الأرض؛ أي: المعبودُ في السماوات وفي الأرض، وجملة ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبرٌ ثانٍ، وعلى هذا فالجار والمجرور ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بـ (الإله) الذي هو معنى (الله)، فيكون الوقفُ عند قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، وحينئذٍ فلا إشكالَ في الآية.

ولا يصحُّ أن يتعلق الجار والمجرورُ بقوله: ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾؛ لأنَّ سِرَّ العبادَ المُخاطَبين وجهرَهُم لا يكون في السماوات.

وكذلك لا يصحُّ الوقف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لأنَّه يلزمُ منه أنَّ الله معبودٌ في السماوات دون الأرض، أو يكون المرادُ الإخبارَ عن عُلُوِّه تعالى، وهذا المعنى صحيح، فتكون كقوله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧].

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص٢٩٢-٢٩٣)، وجامع المسائل (٣/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١/ ١٢١).

تنبيه:

قال شيخنا: «الصواب: «المعبودية»، وليس «العبودية» لأنك إذا قلت: «العبودية» يتضمن أن الله عبدٌ!».

وهو المثبت في نسخة محمود شاكر لتفسير الطبري (١/ ١٢٣ رقم ١٤١).

ولكنَّ المتدبِّرَ لهذا النوع مِنْ نصوص العلو في الكتاب والسنة يجد أنها لم يَرِدْ فيها لفظُ السَّماء إلا بالإفراد، كما في الآيتين، وكما في حديث الجارية وحديث: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**»[١]، والمرادُ بالسماءِ العلُوُّ، ولم يأتِ بلفظ السماوات إلا في هذا الموضع المسؤول عنه، وهو محل نزاع.

وأمَّا الإخبارُ عن مَنْ في السماوات أو ما في السماوات، فالمراد به في جميع الآيات: مَن في السماوات وما في السماوات من المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١]، وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٤١]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحج: ١٨]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٥٥]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٦٦]، وكلُّ هذه العمومات لا يدخلُ فيها الرَّبُّ سبحانه.

وعلى هذا؛ فلا تقلْ في الإخبار عن علوه سبحانه: إنَّ الله تعالى في السماوات، بل في السماء، وعلى هذا جرى السلف، فيقولون: اللهُ في السماء، ولا يقولون: اللهُ في السماوات، ومن شواهد ذلك قول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته: «وإن كان إلهُكُم اللهَ الذي في السماء فإن إلهكم حي لا يموت»[٢]، وقالَ الإمامُ أبو حنيفة: «إنَّ اللهَ في السماء دون

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٠٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأصله في البخاري (١٢٤٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأرض»[١]، وقال مالك: «اللهُ في السماء، وعلمُه في كل مكان»[٢]، وقال ابن قتيبة: «الأممُ كلُّها عربيها وعجميها تقول: إنَّ اللهَ تعالى في السماء»[٣]. وقالَ عثمان بن سعيد الدارمي: «اتفقَت الكلمةُ من المسلمين والكافرين أنَّ الله في السماء»[٤].

ونظائرُ ذلك في كلام السلف كثيرٌ. وإذا أرادوا الإخبارَ عن علوه تعالى، وذكروا السماواتِ بلفظ الجمع، قالوا: فوق السماوات، كما قالَ ابن المبارك لما قِيل له: بماذا نعرفُ ربنا؟ قال بأنَّه فوق سماواتِه على عرشه بائنٌ من خلقه[٥]. والله أعلم.

تنبيه: ذكرَ ابنُ كثير[٦] ثلاثةَ أقوال في الآية، ثالثها: أنَّ الوقفَ عند قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وذكر أنَّه اختيارُ ابن جرير، وبعد التأملِ في كلام ابن جرير لم نجده عَرَضَ هذا القول فضلًا عن أنَّه يختاره[٧].

❊❊❊

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠٥).
(٢) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (١٦٩٩).
(٣) تأويل مختلف الحديث (ص٣٩٥).
(٤) النقض على المريسي (ص١٥٦).
(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٦٢).
(٦) (٣/ ٢٤٠).
(٧) ينظر: تفسير ابن جرير (٩/ ١٥٥).

السؤال (٢٣):

هل يجوزُ أن يقفَ القارئ على ﴿إِذًا﴾ من قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [الأنعام]؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الذي يظهرُ لي أنَّه لا ينبغي الوقوفُ على ﴿إِذًا﴾؛ لأنَّه يؤدي إلى أن يقولَ القارئ بعد وقوفه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [الأنعام]، وهذا قبيحٌ، والجملتان مبنيتان على قوله: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٦]، المعنى: إن اتبعت أهواءكم قد ضللْتُ وما أنا من المهتدين[١].

وإن احتاجَ القارئُ إلى الوقف فعليه أنْ يُعيدَ الآية: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [الأنعام]، والله أعلم.

***

(١) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (ص١٣١).

القسم الرابع: أحكام المصحف

السؤال (٢٤):

ما قول شيخنا -أمتع الله به- في وضع علامة على المصحف -خط أو نحوه- ليعرف الحافظ أخطاءه، فينتبه لها وقت المراجعة؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، أما بعد:

فإنَّ المصحف أعظم كتاب تجبُ العناية به، وتجبُ صيانته عمَّا يدنِّسه أو يشوِّهه، ووضع علامات خطِّيَّة عند كل كلمة أو آية يحصل فيها خطأ مِن القارئ مع أنها قد تكثر؛ ممَّا يشوِّه ورقة المصحف، وهذا يَكره النَّاسُ فعلَه في كتبِ العلمِ، فكيف بالمصحف العظيم المشتمل على كلام ربِّ العالمين؟! فعندي أنَّه لا ينبغي وضع هذه العلامات.

ولعلاج الأخطاء في الحفظ أو التلاوة وسائل أخرى، كإثبات رقم السورة ورقم الآية في ورقة خارجية يرجع إليها الحافظ فيتنبَّه لموضع الخطأ عنده[١] وتعاهدُ القرآن الذي أوصى به النَّبي ﷺ هو الطريق الأمثل لتلافي الخطأ والنسيان. والله أعلم.

---

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة -المجموعة الثانية- (٣/ ٥٢) الفتوى رقم (١٨٦١٨).

حرر في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة من عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢٥):

نرى بعض النَّاس يُقبلون المصحف بعد التّلاوة، فهل هذا العمل مشروع؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لا أصلَ لهذا العمل[(١)]، وليس بطاعة ولا عبادة، ومَن يعتقد أنَّه عبادة فهو مخطئ، ومَن انتهى مِن القراءة مِن المصحف فليضعه في مكانه باحترام ويرفعه عن الامتهان، أما مَن يقبِّل المصحف تعبيرًا عن حبّه بحكم العادة فلا بأس به، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك ديدنًا وعادة دائمة، والله أعلم[(٢)].

حرر في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر شوال من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

(١) روى الدارمي (٣٣٩٣) عن ابن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول: «كتاب ربي، كتاب ربي». وهذا أثر منقطع، وإن صح فهو محتمل، فغاية ما فيه أنه وضعه على وجهه؛ ولذا قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٥): «القيام للمصحف وتقبيله لا نعلم فيه شيئا مأثورًا عن السلف، وقد سئل الإمام أحمد عن تقبيل المصحف، فقال: ما سمعت فيه شيئا».
ينظر: الآداب الشرعية (٢/ ٢٨٣)، والبدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم (ص٣٠٣).

(٢) ينظر: فتاوى ابن باز (٩/ ٢٨٩)، (٢٤/ ٣٩٩)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ١٥٢).

السؤال (٢٦):

هل يجوزُ أن يُمكَّنَ الطفلُ من مسِّ المصحفِ من غير طهارةٍ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ نعم يجوز أن يُمكَّنَ الصبيُّ من مسِّ المصحفِ إذا كان المقصودُ أن يتعلَّم، بأن كان مُميِّزًا ويراد منه أن يقرأَ في المصحف؛ لأنه غيرُ مكلَّفٍ(١).

وينبغي تدريب الصغارِ المميزين على التطُّهر، لا من أجل القراءةِ في المصحف فحسب -فإنَّ هذا حسنٌ- ولكن من باب التربيةِ على الأمر المشروع، كما يؤمَرُ بالصلاة تدريبًا عليها، وإن لم تكن واجبةً عليه قبل البلوغ، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة من عام خمسة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢٧):

ما حكم قراءة القرآن من جهاز الجوالِ بدون طهارة؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، والصلاةُ والسلام على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد:

(١) ينظر: الفروع (١/ ٢٤٢-٢٤٣).

فمعلومٌ أنَّ تلاوة القرآن عن ظهر قلبٍ لا تشترط لها الطهارة من الحدث الأصغرِ، بل من الأكبر، ولكن الطهارة لقراءة القرآن ولو عن ظهر قلب أفضل؛ لأنَّه كلامُ الله، ومن كمال تعظيمه ألَّا يُقرأ إلا على طهارة.

وأما قراءته من المصحف؛ فتشترطُ لها الطهارة، لما جاءَ في الحديث المشهور: «**لا يمسُّ القرآنَ إلا طاهرٌ**»[(١)]، ولما جاءَ من الآثار عن الصحابة والتابعين[(٢)]، وإلى هذا ذهبَ جمهورُ أهل العلم، وهو أنَّه يحرمُ على المُحدِثِ مسُّ المصحف، سواءٌ كان للتلاوة أو غيرها[(٣)].

والذي يظهرُ أنَّ الجوال ونحوه من الأجهزة التي يُسجَّل فيها القرآن ليس لها حكمُ المصحف؛ لأنَّ حروفَ القرآن وجودها في هذه الأجهزة يختلفُ عن وجودها في المصحف، فلا تُوجد بصفتها المقروءة، بل تُوجد على صفة ذبذبات ورموز تتكوَّن منها الحروف بصورتها عند طلبها، فتظهرُ على الشاشة وتزولُ بالانتقال إلى غيرها، وعليه فيجوزُ مسُّ الجوال، وكذا الشريطُ الذي سجِّلَ فيه القرآن، وتجوزُ القراءةُ من الجوال، ولو من غير طهارة، هذا هو المستقرُّ عندي.

(١) أخرجه مالك (٦٨٠) عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، والدارقطني (٤٣٧) عن ابن عمر مرفوعًا، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٧ / ٣٣٨-٣٣٩): «وقد روي مسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح العمدة (٤/ ٢٣): «وهذا الكتاب -وذكر هذا فيه- مشهور مستفيض عند أهل العلم، وهو عند كثير منهم أبلغ من خبر الواحد العدل المتصل، وهو صحيح بإجماعهم».

(٢) ينظر: السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٢٦٤-٢٦٦).

(٣) ينظر: المغني (١/ ٢٠٢).

ولكن هاهنا تنبيهٌ؛ وهو أنَّ القراءةَ في المصحف أفضلُ؛ لأنَّ القرآن كلُّه مكتوبٌ فيه بحروف ظاهرة، وفي الاعتمادِ على قراءة الجوال دائمًا هجرٌ للمصحف، والقراءةُ من المصحف أقربُ إلى تعظيم تلاوة القرآن؛ لأنَّه أبعد عن التعلُّق بهذه الآلة -وهي الجوال-، ومعلومٌ أنَّه يسجل فيه القرآن وغيره من صور وفضولِ كلام، فيختلطُ فيه حينئذ الحقُّ والباطل، وهذا يجعلُ القارئَ من الجوال ينتقلُ من التلاوة إلى النظرِ فيما يتذكره من المقاطع المكتوبة أو المصورةِ أو الصوتية، أو ينتقلُ إلى البحث عن بعض المستجدات، أو الأخبار الطارئة والرسائلِ الوافدة؛ فلذلك كلِّه كانت القراءة من المصحف أقربُ إلى الخشوع والإقبال على التلاوة، وعدمِ الانقطاع عنها، فلا تعدلْ عن المصحف يا عبد الله. نفعنا الله بكتابه وفتحَ علينا بفهمه واتباعه، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الخميس التاسع عشر من شهر محرم من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٢٨):

ما حكم وضعِ المصحف في جهاز الجوالِ والدخول به إلى دورات المياه؟

الجواب:

الحمد لله؛ الأمرُ واسع في هذا؛ فليس للمصحف وجودٌ حقيقي في الهاتف الجوال؛ لأنَّ المصحف في الجوال عبارة عن ذبذبات، فوجود

المصحف داخل الجهاز ليس كالمصحف المكتوب مكونٌ من مواد، بل إذا ضغطت على النظام في الجهاز تكوَّنت هذه الحروف، وظهرت على الشاشة؛ فهي داخلُ الجهاز ليست كهيئتها في المصحف أو في الشاشة إذا ظهرت.

أما لو كان المصحفُ مفتوحًا في الجوال وصفحةُ المصحف ظاهرةٌ على الشاشة فهنا لا يجوز الدخولُ به في المراحيض وبيوتِ الخلاء؛ لأنَّه يأخذُ حكمَ المصحف حينئذ. والله أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الأول من عام ستة وعشرين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

السؤال (٢٩):

علمنا أنَّ لفضيلتِكم فتوى بجواز قراءة القرآنِ من الهاتف الجوالِ دون طهارة من الحدث الأصغرِ، فهل للحائضِ أن تقرأ القرآن -كذلك- من الجوال ومن جهاز الآيباد؟

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ الذي استقرَّ عليه الرأي عندي جوازُ قراءةِ القرآن للمُحدِث حدثًا أصغر من الجوال، فليس للجوالِ المُخزَّن فيه القرآن حكمُ المصحف، لوجود الفرقِ بين الحروف في المصحف والجوال؛ فإنَّ حروف القرآن وجودها في الجوال يختلفُ عن وجودها في المصحف، فلا توجد بصفتها المقروءة، بل توجدُ في الجوال على صفة

ذبذباتٍ تتكونُ منها الحروف بصورتها عند طلبها، فتظهرُ على الشاشة وتزولُ بالانتقال إلى غيرها، فالجوالُ أشبهُ بالمرآة تظهرُ عليها صورةُ صفحةٍ من القرآن.

وبناءً على ذلك وبناءً على جواز قراءة الحائضِ للقرآن عن ظهر قلب -على القول الراجح[١]- فإنَّه يجوزُ للحائض أن تقرأَ القرآنَ من الجوال، وكذا جهاز «الآيباد»، فإنَّه مثل الجوال، بخلاف المصحفِ، فإنَّه لا يجوز للحائض مسَّه، فإذا كان لا يجوزُ للمُحدِث حدثًا أصغرَ مسَّ المصحف فالحائضُ والجنبُ من باب أولى. والله أعلم.

***

السؤال (٣٠):

هل حملُ «التَّفسير الميسَّر» والقراءة فيه يُشترط له الطَّهارة؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على مَن لا نبي بعده؛ أمَّا بعد:

فالظَّاهر لي أنَّ المصحف الذي في حواشيه «التَّفسيرُ الميسر» هو مصحفٌ، له حكم المصاحف، ومثله «المختصر في التَّفسير»، فهذه مصاحف فيها القرآنُ كاملًا، وسوره وآياته متَّصلة في صفحاتها، وتُقصد للقراءة فيها، وقد ذهبَ جمهورُ أهل العلم إلى تحريم مسِّ المُحدثِ للمصحف، وإن كان حدثُه أصغر[٢]، وإضافةُ التَّفسير في الحواشي: لا تُخرجه عن حقيقة المصحف وحكمه، وإن غلَّب مصدّرو هذه المصاحف جانبَ التَّفسير، فجعلوا الاسم

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٤٥٩-٤٦٠)، ومجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٦٤).
(٢) تنظر: (ص ٦٤).

له، والاسمُ المطابقُ لهذه المصاحف: «القرآنُ الكريم والتَّفسير الميسَّر»، أو «القرآن الكريم والمختصر في التَّفسير».

وأمَّا ترخيصُ الفقهاء في مسِّ كتبِ التَّفسير، فهو مُعلَّل بأنَّ آيات القرآن فيها متفرقة، ويتخللها التَّفسير، لذلك لا يُسمى شيءٌ منها «مصحفًا»، ولا تُقصد للتّلاوة، إذ لا تتيسَّر التّلاوةُ فيها، والله أعلم.

حرر في يوم السبت الخامس من شعبان من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣١):

رَجُل عنده مصحفٌ مخطوط منذُ ثلاثة قرون، وقد دُفِع إليه فيه مبلغ كبير، فهل له بيعه؟

الجواب:

الحمدُ الله والصلاة والسلام على نبينا محمد؛ أما بعد: الظاهر أنَّ هؤلاء الذين يشترون هذه المصاحفَ القديمةَ والمخطوطةَ؛ لا يشترونها إلا لأنها بمنزلة التُّحَفِ التي تُزيَّنُ بها المجالس، ويباهون بها، وفي ذلك امتهانٌ للمصحف. ثمَّ إِنَّ القرآن لم ينزلْ لهذا، بل أُنزلَ للتدبر والعملِ به.

ولذا فعندي أن بيع هذا المصحف لهذا الغرض حرامٌ، وإذا كان بعضُ الفقهاء يَرَون حُرمة بيع المصحف بإطلاق - أي حتى بيعه من أجل القراءة فيه[1] - فكيف يُقال بمن باعه أو ابتاعه على أنَّه تُحفة، فلا شكَّ أنَّ تحريمَهُ هنا مِنْ باب أولى.

---

(١) ينظر: المغني (٦/ ٣٦٧)، والفروع وتصحيح الفروع (٦/ ١٣٦).

والذي أرى لهؤلاء إذا استغنوا عن هذه المصاحف القديمة أنْ يُحْرقوها ويدفنوها صيانة لها. نعم، لو كان المصحف قديمًا قِدمًا ظاهرًا، بحيث يكون وثيقة يستفاد منه في علوم القرآن؛ كالوقف، والابتداء، ونحو ذلك؛ فلا بأس ببيعه، لكن يُباع إلى جهة موثوقٍ بها، تُعنى بشؤون المصاحف، كمجمع الملك فهد لطباعة المصحفِ بالمدينة، واللهُ أعلم.

***

السؤال (٣٢):

ظهرَ في الأسواق مصاحفُ مُلوَّنة الكتابة، لُوِّنَت فيها بعض الآيات تبعًا للموضوعات، وبعضُها لُوِّنَت فيه أسماءُ الله الحسنى، لتظهر فيها الأسماءُ بأشكال هندسيةٍ متميزة، وجعلوا ذلك لونًا من ألوان الإعجاز، وسموه الإعجازَ التوافقي، فما تقولون في ذلك؟ حفظكم الله.

الجواب:

الحمدُ لله؛ هذا عملٌ مُحرَّم؛ لأنَّه عبثٌ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، تجعل حروفه وكلماته موضعًا للزخارف كما تزخرف الحيطان والثياب، وما ذكروه من التوافق في كتابة أسماءِ الله إنَّما حصل بمُعالجتهم ذلك في طريقة كتابة المصحف، ولو كان هذا التوافقُ أصيلًا في رسم المصحف، وهو لونٌ من ألوان الإعجاز، لراعاه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فهذا الرسمُ التوافقي ودعوى أنَّه نوعٌ من الإعجاز؛ بدعةٌ ودعوى لا دليلَ عليها، والمعتمَدُ في رسم المصحفِ كتابة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. وأما

ما جاءَ عن السلف من شكل حروف المصحفِ ونقطها فشيء تناقلته القرونُ بالرضا والقَبول، والحاجةُ ماسةٌ إليه[(١)].

لهذا أرى أنَّه يجب التحذيرُ من تداول هذه المصاحفِ التي وردَ وصفها في السؤال، وننصحُ كلَّ من اقتنى منها نسخةً أن يُحرقها، والله أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخر من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣٣):

ما حكم وقف المصحف عن الميت والقراءة فيه في شهر رمضان وغيره بنيّة نفع الميت، وإشراكه في الأجر، ما رأيكم في هذا العمل؟ وهل المقصود في الحديث: «أو صدقة جارية» مِن الميت أو مِن غيره؟ بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمدُ لله، وصلّى الله وسلّم على رسول الله، أمّا بعد:

فإنّ ظاهر الحديث المشار إليه، وما فيه مِن الأمور الثّلاثة المذكورة أنّ المراد بها: ما كان مِن عمل الميت؛ لقوله ﷺ: «**انقطعَ عنه عملهُ إلّا مِن ثلاثة**»[(٢)]، وقد اختلفَ العلماء[(٣)] فيما يصل إلى الميت مِن سعي غيره

(١) ينظر: الإتقان (٦/ ٢٢٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) تنظر: (ص ٣٩) وما بعدها.

مِن الأحياء، والصّحيح أنّ ما يصل إليه هو أثرُ الدّعاء، وثواب الصّدقة، والحج، على خلاف فيما يصل إليه مِن ثواب الحج؛ أهو ثواب النّفقة أو ثواب فعل المناسك، وكذا الصّوم الواجب؛ لقوله ﷺ: «**مَن ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه**»(١).

وأمّا وقف المصحف أو غيره مِن كتب العلم: فهو مِن نوع الصّدقة، ويرجى أن يصل إلى الميت أجر ثمن المصحف، وأمّا أجر التّلاوة فللتالي، لا للميت الذي وقف المصحف عنه؛ لأنّ الراجح عندي أنّ تلاوة القرآن كالصّلاة لا تفعل عن الميت، ولا يهدى ثوابها؛ لأنّ ذلك لم يرد عن الرّسول ﷺ ولا عن أحد مِن أصحابه، والذي أوصي به لنفع الميت هو كثرة الدّعاء؛ لأنّه الذي جاء عن الأنبياء، قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وأمر الله بذلك نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر شعبان من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

السؤال (٣٤):

أنا معلمةُ قرآن في دار تحفيظ القرآن، ولديَّ دارِسات من جنسيات غير عربية، وأُلقِّنهم القرآنَ تهجيًا، ويكتبْنَّه بلغاتهم، فهل هذا جائزٌ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ كتابة الآيات للحفظ والاستشهادِ بخطوط غير عربية، ثم تنطقُ بالعربية هذا جائزٌ، فإنَّ الحروفَ مكتوبةٌ يُراد بها الدلالة على الحروف منطوقةً، والواجبُ قراءةُ القرآن باللسان العربيِّ كما نزل.

وأمَّا كتابته: فالأولى أن يُكتب بالحروف العربيةِ، وعلى هذا درجَ المسلمون، ولكنْ إذا لم يتيسر ذلك فلا بأسَ أن يُكتب بخطوط أخرى يُحسنها كتابةً ونطقًا مَنْ يريد تعلم القرآن وتلاوةَ القرآن، واللهُ أعلم.

❊❊❊

القسم الخامس: آداب قراءة القرآن

السؤال (٣٥):

إذا كنت أقرأُ القرآن ثم سلَّم عليَّ أحدٌ أو سألني زميلي عن شيء وأردت العودَ إلى القراءة، فهل يلزمني الاستعاذة؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الظاهر -والله أعلم- أنَّ ما ذكرته من السلام والكلامِ عارضٌ لا يقطعُ اتصال القراءة؛ كالتوقفِ للتفكير في شيء، أو النظر إلى شيء، فيبقى حكمُ الاستعاذة عند أوَّل القراءة، ما لم يطلْ الفصلُ عرفًا، فإن طالَ الفصلُ فالعود إلى القراءة ابتداءٌ ثانٍ، فتشرعُ الاستعاذة في هذه الحال، كالأولِ، والله أعلم.

***

السؤال (٣٦):

دخَلَ واعظٌ إلى المسجد بعد الأذان وأنا أقرَأُ القرآن، فهل الأفضَلُ أنْ أكملَ القراءَةَ، أمْ أطبقَ المُصحَفَ وأَسْتمعَ إلى الواعِظ؟

الجواب:

الحمدُ لله وحْدَه، وصلى الله وسلم على مَنْ لا نَبِيَّ بعدهُ، أمّا بعد:

فإن الأَوْلى -والله أعلم- أنْ تتوقَّفَ عن القراءة رجاء أنْ تنتفِعَ بموعظة هذا الواعظ، ولِئَلَّا يُساء بك الظَّنُّ، فيُظَنَّ أنَّك لا تَعْتَدُّ بهذا الواعِظِ ولا بموعظته، وصيانةُ العِرْض مطلوبة، ولا يخفى أنَّ الإنسان ينتفعُ كثيرًا مما يستمع إليه من المواعظ التي يتكلم بها بعض المجتهدين في الدعوة إلى الله، ولا سيما من يستمد كلامه من مواعظ القرآن وسنة الرسول ﷺ، ففيهما من الأوامر والنواهي ما يستوجِبُ وقوفَ المسلم عندها، وعرْضَ حاله وعمله عليها، وفيهما من الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار مما تَلِين له القلوبُ الحيَّة، وإذا جرى ذلك على لسان واعظٍ صادق ومُذكِّرٍ قديرٍ على البيان، وأصغى إليه المستمعُ بقلب حاضر؛ كان لذلك أثرٌ عظيمٌ في نفسه، مما يدعوه إلى محاسبة نفسه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات].

لذلك ينبغي للمسلم أن يُبادر إلى الحضور إلى المساجد، ليتزود من نوافل الطاعات؛ من صلاةٍ، وذكرٍ، وتلاوةِ قرآن، وتَعَلُّمِ علمٍ نافع مما يُلْقى في المساجد من الدروس؛ فالمساجد بيوت الله، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ [النور]، وقال ﷺ: «**لا يقعُدُ قومٌ يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ إلا حفتهم الملائكةُ، وغشيتهم الرَّحمة، ونزلت عليهم السَّكينةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده**» رواه مسلم[١]، وعند أبي داود[٢]: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِن بيوت الله تعالى**» الحديث.

(١) برقم (٢٧٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) برقم (١٤٥٥).

وإلقاءُ الدروسِ وتعلُّمُ العلمِ هو مِنْ تَدارُسِ القُرآن، قال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(١)، وإنَّ تعليمَ القرآن وتَعَلُّمَهُ شاملٌ لِتَعَلُّمِ حروفه ومعانيه. والله أعلم.

حرر في يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الأول من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣٧):

إذا شغلني تدبُّرُ بعض الآيات بتكرارها في صلاة النافلة عن إتمام الورد، مما فوَّت عليَّ ختم القرآن في رمضان، فهل يعدّ هذا قصورًا ونقصًا؟ وهل الأفضل إذا مرَّتْ بي آية أثَّرت فيَّ أنْ أتجاوزها حتى لا أخلّ بختمتي؟ خاصَّة أن هذا يتكرر معي كثيرًا، بحيث يقضي وقتًا طويلًا ولا يقرأ إلا شيئًا يسيرًا.

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أمَّا بعد:

فإنَّ تلاوة القرآن وتدبُّر القرآن مطلبان للمؤمن؛ فالتّلاوة طريق للتَّدبُّر، وفي كثرة التّلاوة الاستكثارُ مِن الحسنات، وفي التَّدبُّر توصُّلٌ إلى العلم بمقاصد القرآن، ولكن لابدَّ مِن التَّوسط في كلٍّ منهما؛ فلا يُفَوَّت أحدهما بالآخر، وتختلف الأحوال؛ فتارة يترجَّح التَّوقفُ عن التلاوة للتَّدبر في معنى دقيقٍ، وتارة تترجَّح التّلاوةُ اغتنامًا لفضل الزمان، أو اغتنامًا للنشاط، أو بقصد التَّعاهد للحفظ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وليُعلم أنَّ التَّدبُّر المطلوب اقترانه بالتلاوة لا يعوق عنها، فما هو إلا عقلُ المعاني الظاهرة كالذي يتعلق بأسماء الله وصفاته وآياته، أو ما يتعلق باليوم الآخر والوعد والوعيد، وهذا متيسّر دون الحاجة إلى التوقف الطويل، وأما التَّدبُّر الذي يستدعي التوقف أو التكرار فينبغي أن يكون قليلًا، أو يؤجَّل استكمالُه لوقت يخصص لمراجعة ما يشتبه، وبما ذكرتُه أرجو أن يتحقق لطالب هُدى القرآن مطلوبُه مِن الأمرين بعونه تعالى. والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على محمَّد.

حرر في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣٨):

المعروفُ أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يقولَ قالَ الله تعالى ثم يأتي بمعنى القرآن، ولكن نجدُ في أشعار الشعراء مثل ذلك، كقول حسان:

وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ

فهل هذا جائزٌ في الشعر دون غيره؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد: فإنَّ القولَ والكلامَ المُضاف إلى الله هو ما تكلم به

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومنه آيات القرآن، سواء أُضيف إليه بصيغة الفعل؛ كقالَ ويقول، أو بالمصدر أو بالكلام؛ مثل: هذا قولُ الله، وكلامُ الله.

إذا عُلم ذلك فلْيُعلم أنه لا يجوز أن يضافَ إليه سبحانه معنى آية بما يقتضي أنَّ هذا اللفظ مما تكلَّم اللهُ به، ولهذا لا تجوزُ نسبةُ شيء من تفسير القرآن أو ترجمة القرآن إلى الله بما يدلُّ على أنَّه كلامُه أو قوله، مثل أن يُقال: قالَ الله لنبيه ﷺ: إنِّي أعطيتك الكوثر فصلِّ لي، وانحرْ لي؛ فمُبغضُك أبتر، فهذا الكلامُ هو ما تدلُّ عليه السورة، لكنه ليس كلامَ الله، بل هو تعبيرٌ عمَّا فُهم من معنى كلام الله، ولهذا لا يوجدُ في كلام أحدٍ من السلف من المفسرين وغيرهم ولا من المُتأخرين من يُضيف تفسيره إلى الله، فلا يقول: قالَ الله، ولا يقول الله، ثم يأتي بكلامه هو في تفسيرِ الآية، ولم نجدْ من ذلك إلا شيئًا نادرًا في بعض الشعر، كالبيت الذي وردَ في السؤال على أنَّه من شعر حسَّان بن ثابت إنْ صحَّ ذلك عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١]، ولا تقوم به حجَّةٌ على جواز هذا الأسلوبِ إلا إذا ثبتَ أنَّه أنشده الرسولَ ﷺ، وأقرَّه عليه، وغير حسَّان من الشعراء من باب أولى، فلا يقبلُ شعر شاعر سلكَ هذا السبيل.

وقد تنازعَ أهلُ العلم في رواية الحديث بالمعنى، ثم نسبةُ ذلك إلى الرسول ﷺ، والراجحُ جوازُه لمن له علمٌ باللغة العربية وبما يُحيل المعنى[٢]، ولم يتنازع العلماءُ في روايةِ آياتِ القرآن بالمعنى مضافة إلى الله قولًا وكلامًا، كما في المثال المُتقدِّم، ولكن يُخبَر عن معنى الآية

(١) ديوانه (١/ ١٨).
(٢) ينظر: فتح المغيث (٣/ ١٢٠-١٣٣).

من غير إضافة إلى الله بـ«قال» أو «يقول»، أو أنَّه من كلام الله؛ كما تقول: أخبر الله بكذا، وأمر بكذا، ونهى عن كذا، ونحو ذلك، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الآخر من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٣٩):

ما حكم هز الرأس عند تلاوة القرآن؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فمن فعله على أنه حسَنٌ، واتخذَه دينًا؛ فهذا بدعةٌ، ومن فعله للنشاط وليحركَ نفسَه ولا يلتزمْ به؛ فلا بأس به.

لكنْ نقلَ أبو حيان عن الزمخشري[١]: «أنَّه لما نَشَر موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الألواح وفيها كتابُ اللّه تعالى لم يبقَ شجرٌ ولا جبلٌ ولا حجر إلا اهتزَّ؛ فلذلك لا ترى يهوديًّا يقرأُ التوراة إلّا اهتزَّ وأنغضَ لها رأسه» انتهى.

قالَ أبو حيان معقبًا: «وقد سَرَت هذه النزعةُ إلى أولاد المسلمين فيما رأيت بديار مصر؛ تراهم في المكتب إذا قرؤوا القرآن يهتزون ويُحرِّكون رؤوسهم، وأما في بلادنا بالأندلس والغربِ فلو تحرّك صغيرٌ عند قراءة القرآن أدَّبه مؤدّبُ المكتب، وقال له: لا تتحركْ فتُشبِهَ اليهود في الدراسة» انتهى من البحر المحيط[٢].

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٥٢٩).

(٢) (٥/ ٢١٨).

نقول: وعلى هذا فيجبُ تركُ هذه العادة؛ لأنَّها عادةٌ وافدة، ليست من عمل السلفِ الذين يُقتدى بهم. وعلى ما ذكره أبو حيان والزمخشري يكون فعلُها من أنواع التشبهِ بالكفار، ولو لم يعلم القارئ أنها من عادة اليهود، ولم يقصد التشبهَ بهم، وما ذكره الزمخشري أصله عند ابن جرير[١] رواه بسنده عن أبي بكر بن عبد الله، وعلى كل حال فهو من الإسرائيليات التي لا تصدَّق ولا تكذَّب ولا يعوَّل عليها في العمل. والله أعلم.

حرر في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الأول من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٤٠):

هل يجوزُ للجنب إمرارُ القرآن على قلبه دون لسانه؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ نعم يجوز، فهذا لا يعدُّ قراءةً للقرآن، الذي يُفكِّرُ في الآيات أو يمرُّها على قلبه لا يُعد قارئًا للقرآن، ولو أن أحدًا فكَّرَ في الصلاة في سورة الفاتحة ما صحَّت صلاته. والله أعلم.

***

(١) (١٠/ ٥٤٤-٥٤٥).

السؤال (٤١):

ذكرَ أحدُ الإخوة أنَّ المسلمَ عندما يقرأ آياتٍ فيها دعاءٌ -كآيات سورة الفرقان مثلًا، أو آل عمران- أنَّه يستحضر نيَّتين: نيةُ قراءة القرآن، ونيةُ الدعاء، كأنَّه يدعو بها الآن، ويرجو إجابةَ ما يدعو. أشكلَ عليَّ هذا الأمر لأنَّنا نقرأُ القرآن نتعبدُ بتلاوته على أنَّه كلامُ الله تعالى وليس دعاءً.

فسؤالي هل يشرعُ أن يجمعَ المُصلي بين النيتين؛ نيةُ تلاوةِ القرآن والدعاءِ في نفس الوقت؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ ينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ آياتٍ متضمنةً لأدعية أرشد الله إليها أو أخبر بها عن أنبيائه وعباده الصالحين أن يقصدَ بها الدعاءَ منه لنفسه، مع نية التلاوةِ التي هي الأصلُ، كالآية الأخيرةِ من سورة البقرة، وآخر آل عمران، وآخرِ الفرقان وغيرها، فيجتمعُ في ذلك النيتان: التلاوةُ والدعاء.

والدليلُ على اجتماع النيَّتين ما شُرعَ للمُصلِّي في قراءة الفاتحة، فإنَّه يطلبُ من المُصلي أن ينوي النيتين: التلاوةَ والدعاء، في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾، ولهذا شُرعَ لقارئ الفاتحة في الصلاة أنْ يقولَ إذا فرغَ منها: آمين، أي: اللهم استجب.

وقد تنفردُ في هذه الأدعية نيةُ التلاوة إذا لم يستحضر القارئُ نيةَ الدعاء.

وقد يجبُ أن تنفردَ فيها نيةُ الدعاء، كما لو دعا بها في الركوع أو السجود؛ فإنَّ قراءةَ القرآن في الركوع والسجود منهيٌّ عنها، فلا يجوز

للمُصلي إذا دعا بهذه الأدعية في الركوعِ أو السجود أن يقصد بها التلاوة، لقوله ﷺ: «**ألا وإني نُهيْتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا**»(١).

وقد لا تُستحبُّ نية الدعاء، كما إذا كان المطلوب لا يُناسب حال التالي؛ كقول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقولِ زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، وقول إبراهيم: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾ [الشعراء].

فبناءً على ما تقدَّم، فما نقلَه السائل عن بعض الإخوةِ صحيح. والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين السابع عشر من شهر ربيع الآخر من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٤٢):

أنا معلمةُ قرآن وعندي طالبةٌ من دولة عربية، قراءتها وتجويدُها ممتاز جدًا لكن تنطق بعض الحروف بلهجتها: الذال زاي، والثاء سين، وقد حاولت معها دون جدوى، فهل أُعطيها الدرجةَ كاملة أم أَنقصها؟

الجواب:

الحمد لله؛ أعطيها الدرجةَ كاملةً، هذا مُستطاعُها، ولكن ينبغي ألاَّ تُترَكَ مُعالجةُ المشكلة، ينبغي التدريبُ على النطق السليم؛ وهذا يأتي

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بالتمرين والمحاولةِ، وهو مُتيسِّرٌ إن شاءَ الله تعالى، أسألُ الله لك ولها الإعانة. والله أعلم.

***

السؤال (٤٣):

شخصٌ جعلَ يقلدُ أداء بعض القراء للقرآن بكلماتٍ ليس من القرآن، فهل فعلُه كفرٌ؟

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فعل هذا الرجل ليس بكفر؛ لأنَّه لا يقصد بذلك الاستهزاءَ بالقرآن، بل ولا يريد إيهام السامع أن ما يقوله من القرآن، ولكنه يريدُ محاكاةَ صوت فلان وقراءتِه بكلام ليس من القرآن، وحينئذٍ؛ فإن كان يستهزئُ به أو لا يرضى المحاكَى صوتُه بذلك، فهو من الاعتداء على شخصه، فلا تجوزُ محاكاته لحقه، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الآخر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٤٤):

كثُرَ في الآونةِ الأخيرة عددٌ من المقرئين، والذين يتلون القرآن بطريقة بكائيةٍ -تشبه البكاء-، ممَّا يُفقدُ التلاوة حلاوتها، وتتحولُ إلى ما يُشبه العويلَ، فما رأيكم في ذلك؟ وجزاكم الله كلَّ خير.

الجواب:

الحمدُ لله؛ تلاوةُ القرآن من أفضل القربات؛ بل هي أفضلُ القربات المطلقة، ولتلاوة القرآنِ آدابٌ، منها:

- الترتيل، كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، لكن بغير إفراط، فليس من الترتيل المشروعِ التقعرُ في تلاوة القرآن، وهو ما يُسمى بالتجويد الذي فيه تشديدٌ وتكلُّف، فإنَّه ينبغي أن تكون القراءةُ قراءةً سهلةً ليس فيها تكلفٌ(١).

- ومما يتأكدُ على تالي القرآن أن يتدبرَ ما يقرأ، ويكون اهتمامه بفهم معاني القرآن.

- وممَّا يُستحبُّ له أن يُحسِّنَ صوته؛ بل ينبغي له ويتأكدَ عليه أن يُحسِّن صوته بالقرآن دون تكلُّفٍ، لقوله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**»(٢).

وأما من يخترع طريقةً تُخرجُ التلاوة عن حدِّ الاعتدال؛ كتصنُّع البكاء وتكييف القراءة على هذا الوجهِ، فهذه الطريقةُ مذمومة، وأنا لا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أعرف هذه الصفة، لكن متى ما كانت قائمةً على المُبالغة والتكلف فهي مذمومةٌ، وقد جاءَ في السؤال أنَّ هذه الطريقة تصيِّر التلاوةَ إلى نوع من العويلِ والصياح، فخيرُ الأمور أوساطُها، والله أعلم.

❋❋❋

السؤال (٤٥):

هل يجوزُ عند ختم القرآن أن أشركَ بالثَّواب والديَّ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لا تشركْ والديكَ في هذا، وإنَّما تدعو لهم، هذا هو الوارد.

حرر في يوم الثلاثاء الثاني من شهر ذو القعدة من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

❋❋❋

القسم السادس: أحكام استماع القرآن

السؤال (٤٦):

ما حكمُ مشاركة النّساء في برنامج يبثُّ في الإذاعة لتصحيح التّلاوة، وبعضهنّ يقرأُ قراءة عادية، وبعضهنَّ يترنَّمن ويتغنَّين بالقراءة أمامَ الملأ، ويسمعهنَّ الرجالُ والنساءُ؛ فما حكم ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

لا يجوزُ المشاركة في هذه البرامج؛ لأنَّ صوت المرأة فتنةٌ للرَّجل، ولاسيما إذا كانَ مع ترنُّم وتغنّ.

حرر في يوم الجمعة الرَّابع مِن شهر رمضان مِن عام اثنين وأربعين وأربعمئة بعد الألف.

***

السؤال (٤٧):

هل قراءةُ المرأة القرآن على الرجل الأجنبيِّ عنها يعدُّ من الخضوع بالقول؟ لأنَّها تُرَخِّمُ صوتَها وتُحسِّنه.

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا يخفى أن صوتَ المرأَةِ الشابَّةِ رقيقٌ بطبيعته، وفيه فتنةٌ للرَّجل، فهو يَلذُّ له سماعُ صوتِهَا، ولهذا عدَّ النبيُّ ﷺ استماعَ الأُذُن زنا، فقال: «... **والأذنان زناهما الاستماع**...»(١)، فكيف إذا قصدَتْ تزيينَ صوتها، ولو لم تقصِدْ تزيينه للرَّجل، بل تزيينه لقراءة القرآن؟! فالفتنة فيه أشد.

وعلى هذا؛ فلا ينبغي للطالبة أنْ تقرأ على الأستاذ مِنَ الرِّجال؛ سواءٌ أكان مُخصَّصًا لها، أو اختارته هي مُعلِّمًا لها، بل عليها أن تختار مُعَلِّمة. وإن بُليَتْ بمُعلِّمٍ فتقرأ قراءةً عادية، لا تتحرَّى فيها تحسينَ صوتها، وتقرأ بطريقة الحَدْر، لا بالتجويد.

وما علمْنَا من نساء الصحابة مَنْ تقرأُ القرآنَ على رجلٍ أجنبي، بل الواحدة منهنَّ تقرأ على زوجها أو على أبيها أو ابنها، ويستمعنَ القرآن مِنَ القارِئين، وأفضَلُهم الرسولُ ﷺ، كما قالتْ أمُّ هشام بنتُ حارثةَ بنِ النُّعمان، قالت: «ما حفظْتُ (ق)، إلا مِنْ فِيْ رسولِ اللهِ ﷺ، يخطُبُ بها كلَّ جمعة». رواه مسلم(٢)، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٧-٢١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٢٤٣) وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) برقم (٨٧٣-٥١).

حرر في يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٤٨):

ممَّا يُلاحظ عند محلَّات التسجيلاتِ الإسلامية أنَّهم يضعون التلاوات القرآنية بأصوات مرتفعةٍ يسمعها المارة من بُعد، ولعل غرضهم جذبُ الزبائن، فهل فعلُهم جائز؟

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ ما يفعله كثيرٌ من العاملين في التسجيلات الإسلامية من بثِّ التلاوات القرآنية في محلاتهم بصوتٍ مرتفع ولا أحد يستمعُ للقرآن، ولكن بقصد الدعايةِ لمحلاتهم، وجذبِ الناس للشراء من هذه التلاوات وغيرها = لا شكَّ أن هذا امتهانٌ للقرآن يُنافي ما أمر الله به من الاستماع له إذا قُرئ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

وهذا العملُ من أصحاب التسجيلات فيه امتهانٌ للقرآن من وجوه:

١ - اتخاذُ تلاوة القرآن وسيلةً لكسب المال؛ والقرآنُ لم يُنزل لهذا، وإنَّما أنزله الله ليُتلى ويُستمع له ويُتدبر ويُعمل به.

٢- تلاوته في الأسواق؛ وفيها اللغوُ والصخبُ وفعلُ بعض المنكرات.

٣- تلاوته والناس مشغولون عنه بحاجاتهم؛ فلا يستمعون إليه، ومن أرادَ شراءَ بعض التلاوات فاهتمامُه بصوت القارئِ واختيار الأحسن.

ومع ذلك ففي بثِّ القرآن بصوت مرتفعٍ إحراجٌ للمتسوقين وأصحاب المحلات القريبة في الجملة، فإنَّهم يجدون حرجًا في ترك الاستماع للقرآن لانشغالهم بالبيع والشراءِ.

فلِما تقدمَ نقول: إنَّ ما يقوم به أصحابُ التسجيلات من جعل التلاوةِ وسيلة لجذب المُشترين حرام، لما فيه من امتهان القرآنِ العظيم، فاتقوا الله يا أصحابَ التسجيلات الإسلامية ولا تجعلوا همَّكم زيادةُ الدخل ولو ببعض الوسائل المحرمة، والقليلِ من الربح الحلالِ خيرٌ من المكاسب المُحرَّمة والمُشتبهة، فعظِّموا كلامَ الله ونزِّهوه وصونوه عن الامتهان، أثابَكم الله على ما تقومون به من نشر الخير، وباركَ لكم في كسبكم، والله أعلم.

حرر في يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

السؤال (٤٩):

إذا خرجتُ من المنزل أو عند النوم أُشغلُ المذياعَ أو قناةَ «المجد» على القرآن، فهل فِعلي صحيحٌ؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ ما ذكرت من تشغيلك المذياعَ أو القناة بالقرآن عند خروجك من المنزل أو عند النوم هو فعلٌ حسنٌ؛ لأنَّه يُرجى أنَّ إسماعَ القرآن في المنزل -ولو بالآلة- يطردُ الشيطان، وكذلك نومُ الإنسان وهو يستمعُ القرآن، هو نومٌ على ذِكر.

ولكن يجب أن يكون مقصودُه من الاستماع للقرآن أن ينامَ وهو يستمعُ القرآنَ، ليس المقصود أن يستمعَ لينام، وأفضلُ من ذلك أن يتلو القرآن، فينامَ وهو يتلو القرآن، فالتلاوةُ أفضل من مجرد الاستماعِ، والله أعلم.

***

السؤال (٥٠):

أنكرَ بعض الناس أن يُقال: «آيات عطرة» على آيات القرآن؛ باعتبار أنَّه تشبيهٌ للآيات بشيء محسوس. فهل هذا الإنكارُ صحيح؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قول بعض الناس: تلاوةٌ عَطِرة، وآيات عَطِرة، يعنون: طيِّبة كطيب العِطر، وهو تعبيرٌ حديث لا يُعرف في كلام المتقدمين، ومن هذا القبيل قولهم: عَطَّر المجلس بكلامه إذا تكلم بكلام طيِّب، والكلام منه طيِّب وخبيث، وأطيبُ الكلام: كلام الله، فلا غَرْوَ إذا وصفت الآيات بأنَّها عَطِرة، تشبيهًا لطيبها في مَشام الروح والعقل بطيب العطر المحسوس بحاسة الشم.

فطِيبُ التلاوة وطِيب الآيات معنويٌّ يُدرك بالعقول، وتشبيه ذلك بالطِيب المحسوس للتقريب، وهو طريقٌ مسلوك في التشبيه، ولا يلزم من ذلك التماثلُ بين المشبَّه والمشبه به، ومنه في الحديث: «**إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلى هذا فلا حرج -إن شاء الله- في قولهم: تلاوة عطرة، وآيات عطرة، ولكن الأولى وصفُ الآيات بالكريمات، والمباركات، والبيِّنات، ووصفُ التلاوة بالمباركة، والله أعلم.

حرر في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٥١):

ما حكم قول: «سبحانه» أو «سبحان الله» عند سماع الآيات التي فيها أسماء الله، إما في الصلاة أو بالمسجل؟

الجواب:

الحمد لله؛ إذا كان التسبيح من أجل ذكر اسم الله أو مرور آية تسبيح، فالأمر سهل، قل: سبحانه أو سبحان الله، لا بأس.

هذا إنْ قلته بسبب، أما إذا كنت تقصد التسبيح أصلًا، فلا تقل: سُبحانَه، بل قل: سبحان الله، أو سبحان الله بحمده. والله أعلم.

***

القسم السابع: طرائق في تعليم القرآن مختلفة الأحكام

السؤال (٥٢):

اقترحَ بعضُ الكُتَّاب مِن التَّربويين أن تكون قراءةُ القرآن في المدارس على سبيل الانتقاء منه؛ آياتٍ آياتٍ، بحسب مستويات الطلاب، وما يلائم أعمارهم، وما يحتاجون إليه في عبادتهم ومعاملاتهم، لترسخ الآيات في أذهانهم، وما عدا ذلك منه فيترك لهم خارج المدارس لقراءته في لاحق الأيَّام، فهل هذه الطريقة صحيحة؟ وهل هي أجدى من غيرها في تعليم الناشئة القرآن؟ وما هي طريقة المسلمين التي جروا عليها في سائر الأعصار والأمصار؟

بيِّنوا لنا بيانًا شافيًا، والله يتولَّاكم بعونه وتأييده وتوفيقه.

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على محمَّد، أما بعد:

فإنَّ قدوتنا في تعليم القرآن هم سلفُنا الصَّالح؛ مِن الصَّحابة والتَّابعين فمَن بعدهم مِن أجيال المسلمين المقتدِين بهم، وقد كان مِن غاية السَّلف في تعليم القرآن أن يتمَّه النَّاشئة حفظًا عن ظهر قلب، وكان ختم القرآن غايةً يتنافسُ فيها أولاد المسلمين، كما يتنافسُ طلاب الجامعات في هذا العصر لنيل الشَّهادات العالية، وكانوا يَعدُّون ختم

القرآن نعمة عظيمة ومكرمة لِمَن ينالها، ولهذا كان مبدأ طريقهم في التَّعليم هو القرآن، لا يقدّمون عليه شيئًا، فهو أول اهتماماتهم.

ومِن حكمة الله أن جعلَ القرآن سورًا طويلة وقصيرة ومتوسطة، وقد رتَّب الصَّحابة القرآن هذا الترتيب الذي هداهم الله إليه، وهو المثبت في مصاحف المسلمين، فجعلوا المفصَّل آخر القرآن، ولهذا كان المسلمون عبر القرون يبدؤون في تعليم أولادهم مِن آخر القرآن مِن قصار المفصَّل، ويرتقون بهم حتى يختموه، فكأنه سلَّم يرتقونه درجة درجة حتى يبلغوا البقرة أطولَ سورة في القرآن، وهو الذي عليه عملُ المسلمين اليوم في جميع أقطار العالم الإسلامي.

وهذا الاقتراحُ المذكور في السؤال هو مِن وحي الشَّيطان؛ لتقليل حفظة القرآن، وتقليص ما يُحفظ منه، ومِن نعم الله على هذه البلاد -المملكة العربية السعودية- أن قامَ فيه عددٌ مِن جمعيَّات تحفيظ القرآن في أنحاء البلاد تُنفَقُ عليها الأموال؛ مكافآتٍ للمدرسين وجوائز للمتفوقين، وهذه الجمعيَّات -كما يُرى- تتنافسُ في كثرة الخاتمين، وهي موضع التقدير مِن الجميع؛ مِن ولاة الأمر -وفَّقهم الله- ومِن العامَّة ومِن الخاصَّة.

أعود فأقول: إنَّ هذا الاقتراحَ المذكور بدعة محرَّمة؛ لِمَا تقدَّم مِن خروجها على ما مضى عليه المسلمون، وإليك قولَ الخبير بتاريخ المسلمين، وهو العلَّامة عبد الرحمن ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنَّه قالَ في مقدِّمته الشَّهيرة: «اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعارٌ مِن شعائر الدِّين أخَذ به أهلُ الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق فيه إلى

القلوب مِن رسوخ الإيمان وعقائده مِن آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصارَ القرآنُ أصلَ التَّعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات» اهـ(١).

وبعد؛ فلا أظنُّ هذا الاقتراح المذكور يصدر ممَّن يُحسَن به الظَّن، والواجبُ على المسؤولين على التَّعليم أن يرفضوه، وينكروا على صاحبه ويوبِّخوه، ومَن يؤيده فهو مؤيِّد للباطل، فاحذروا أيُّها المؤمنون لعلَّكم تفلحون. نسألُ الله أن يوفّق المسلمين لما فيه الخير والسَّداد، وصلَّى الله وسلَّم على محمَّد.

حرر في يوم السبت الثامن من شهر رجب من عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٥٣):

لقد انتشرَت في الآونة الأخيرة في دور التحفيظِ النسائية؛ ما يُسمَّى: بالقاعدة النورانية، ويذكرُ المؤيدون لها أنَّها الطريقةُ المثلى في تعليم القرآن للصغار والكبار، وعند البحث وجدنا أنَّ هذه الطريقة هي لتعليم القراءة والكتابةِ بحيث تركز على ست قواعد أساسية؛ وهي: ١- مخارجُ الحروف، ٢- الحركات، ٣- المدود، ٤- التنوين،٥- السكون، ٦- الشَّدة، ثم أُضيفت بعض الأمثلة الخاصة بتعليم التجويد.

(١) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٣٥٣).

ولا نُنكر أنَّ هذه القواعد الستِّ المذكورة؛ هي: التي عليها أخطاءُ الناس اليوم، وأنَّ الاعتناءَ بتصحيحها يؤدي إلى تحسين مستوى القراءة وإتقانها؛ لكن المشكلة في هذه القاعدة؛ هي: في كيفية تعليمها، مع العلم أنَّ هذه القاعدة كانت تستعمل في بلاد باكستان والهند؛ أي: لغير الناطقين باللغة العربية؛ مثال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ نقوم بَتقطيعها كالآتي: (قُلْ): قاف ضمة قُ لا م سكون - قل، (الله) ألف فتحة لام شدة - ألْ، لام فتحة لَ - أللَ، ها ضمة هُ؛ الله إلخ....

ويزعمُ المؤيدون لهذا التقطيع أنَّ فيه فوائدَ كثيرة لا حصر لها، رغم أننا نرى أن الناس تعلموا القرآن من غير أن يستعملوا هذه الطريقة منذ عهد النبي ﷺ، كما أنَّنا نعلم أن هذه الطريقة عمرها تقريبا مئة عام، وهذا بشهادة مُؤيديها، ولم نجدْ من علماء التجويد من ركَّزَ على كذا أسلوب في تعليم القرآن، رغم اهتمامهم بالمخارج والصفاتِ والحركات، وغاية ما وجدنا في هذا الباب من فتاوى أنَّه يجوزُ استعمال هذا الأسلوب عند الضرورة، ولا ضرورةَ في استعمالها عند العربِ لتمكنِهم من نطق الحروفِ والحركات بمجرد التلقي الصحيح.

وسؤالنا هو: هل يجوزُ قراءة القرآن بهذه الطريقة؟ وهل يجوزُ تطبيقُ هذه الطريقةِ على الأمثلة القرآنية أو يُكتفى بتطبيقِها على غير القرآن؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد: فقد تأملتُ بعض دروسِ القاعدةِ النورانية؛ فظهرَ لي أنَّها

طريقة حسنة في تعليم القراءةِ للصغار أو للعجم؛ لأنَّها تعلم الحركات والشَّدَّات، وتميِّز بين المتحرِّكِ والساكن، وتميز بين الحروف المتشابهة، وتعلَّم كيفيةَ النطقِ بالمتحرك والساكن والمشدَّد والمنوَّن، وقد كانت هذه القاعدةُ أو قاعدة أخرى تسمى «البغدادية»، هي: المعمولُ بها في تعليم الصبيان الحروف قبل افتتاح المدارسِ الحكومية التي اعتَمدت في تعليم الصغار طريقةً عصرية مُجتلبةً من الخارج، وهي: طريقةٌ قليلة الفائدة؛ لأنَّها تعتمد على التلقين والصورة، وتبدأُ بالكلمات المركبة، ويُعطى الطلاب مع كتاب الهجاءِ للسنة الأولى الابتدائية كتبًا أخرى، وهم لم يُحسنوا قراءة الحروف، ولهذا يتخرجُ كثيرٌ منهم من المرحلة الابتدائية، وهم لا يُحسنون القراءة فضلًا عن قراءة القرآنِ من المصحف.

وقولُ القائل: إنَّها طريقةٌ مُحدثةٌ بعد الرسول ﷺ وأصحابه على وجه الاعتراضِ ليس له وجهٌ؛ لأنَّ طرقَ التعليم ليست تعبدية، ثم إنَّ نقطَ حروف المصحف وتشكيلِها بالحركات كان في آخر القرن الأول، وقد أقرَّ ذلك علماء الأمة؛ لأنَّه من باب الوسائلِ العادية المُعينة على المقاصد الشرعية، والله أعلم.

حرر في يوم السبت السابع من شهر جمادى الأولى من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٥٤):

هل يجوزُ تقطيعُ كلماتِ القرآن في تدريس القاعدة النورانية، كقولهم في ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الأنبياء: ٣٧]: (خُلِقَ) خاء ضمة خُ لام كسرة لِـ...؟

الجواب:

الحمد لله؛ ينبغي أن تُطبقَ القاعدةُ النورانية على غير القرآن؛ أي: على جمل كالتي تُوجدُ في كتب الهجاءِ والنحو، مثل: ذهبَ محمد إلى المسجد، وزار خالد والده، وهكذا، وبهذا يحصلُ المقصود من غير تقطيع لكلمات القرآن، ثم ينتقلُ بعد ذلك إلى قراءة القرآنِ دون تقطيع لكلماته، واللهُ أعلم.

***

السؤال (٥٥):

ما حكمُ الخرائط الذهنية التي تُستخدم لحفظ القران الكريم، حيث إنَّ البعض يقول: إنَّها تساعد على تثبيت الحفظ، ويقومُ برسم خرائط للسورة مقسمة فيها الآيات، حتى -مثلًا- سورة العنكبوت يرسمُ صورة عنكبوتٍ وأذرع العنكبوت، عبارة عن محور من محاور السورة؟

جزاكم الله خيرًا، نريدُ الردَّ سريعًا، حتى يتم تعميمه على دور التحفيظ؛ حيث إنه بدأت تنتشر الخرائط بشكل كبيرٍ ومُوسَّع، والكلُّ أصبح يتفنَّنُ بها بطريقة لافتةٍ.

الجواب:

الحمد لله؛ من المعلوم أنَّ القرآنَ حين أنزلَ على النبي ﷺ، كان يتلقَّاه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند الوحي به إليه بحرص شديدٍ ليحفظه، حتى كان

يحرك لسانه استعجالًا لحفظه، فنهاه الله عن ذلك: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦﴾ [القيامة]، وقالَ سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، وقد وعدَه الله أن يجمعَه في صدره، وأن يقرأه الملَك، فإذا قَضى الملَك اتبع الرسولُ ﷺ قراءته، وقد حفظَ ما أُلقيَ إليه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة]، ثم إن الله يبين له معانيه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة]، وبعد ذلك يقرؤه الرسولُ ﷺ على من حضره من المسلمين ليأخذوه عنه ويهتدوا به، بل يقرؤه كذلك على من حضرَه من الكفار ليُنذرَهم به، ويُقيمَ الحجَّة به عليهم.

وكان المسلمون بمكة يحفظون ما نزلَ من القرآن عن ظهر قلبٍ في الغالب، وربما كتبَ بعضهم، وقد كان النبيُّ ﷺ يُملي على بعض أصحابه ما نزلَ، حتى يقول: «**ضعْ هذه الآيةَ في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا**»[1]، فكان من الصحابة من عُرفَ بكتابة القرآن في مكة ثم في المدينة، كما كان منهم من عُرفَ بحفظ القرآن، وكلُّهم يتنافسون في حفظ القرآن وفهم معانيه.

ثم كان التابعون فتعلَّموا القرآن من الصحابة؛ ألفاظَه ومعانيَه، كما أخرجَ ابن جرير في تفسيره[2] عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدَّثنا الذين كانوا يُقْرِؤوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عشرَ آيات، لم يُخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعملَ جميعًا».

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦) بهذا اللفظ، وأحمد (٣٩٩)، والترمذي (٣٠٨٦) بنحوه عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود -الأم- (١/ ٣٠٦)، والحديث في مسند عثمان وهو من رواية ابن عباس عنه.

(٢) (١/ ٧٤).

فمضى المسلمون جيلًا بعد جيل وعصرًا بعد عصر على الاجتهاد في حفظ القرآن؛ حفظًا في الصدور وكتابةً في المصاحف، وكان حفظُ القرآن أولَ علومهم، وأولَ ما يُعَلِّمون لصبيانهم، حتى وصل إلينا غضًّا طريًّا بريئًا من التحريف والتبديل، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر].

وكانت وسيلتُهم في حفظ القرآن وصيانته عن النسيان الإكثارَ مِن تلاوته ومدارسته، وبهذا يحصلُ تعاهدُ القرآن الذي أوصى به النبي ﷺ أمته بقوله: «**تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصِّيا من الإبل من عقلها**»[1]، وكفى بهذا سببًا لثبات القرآن في صدور الحافظين؛ شبابًا وشيبًا، رجالًا ونساءً، وقد أغنانا الله بما وصَّانا به نبينا ﷺ عن كل ما يُخترع وسيلةً للحفظ بزعم الزاعمين.

وفي هذا العصر خاصَّة أفرط الناس في ابتكار طرائقَ لتوضيح معاني الكلام، ومدارُها على الصور التي يجعلونها ترمزُ إلى ما يتضمنه الكلام، وجعلوا ذلك من وسائل التعليمِ والتفهيم، ثم جاءَ آخرون فتوسَّعوا في ذلك، وشملوا به ما يَرِد في الدروس والمواعظ من الآيات والأحاديث، فكأن هؤلاء -حسب ما صنعوه- لا يعقلون معاني ما يسمعون أو يقرؤون من الكلام إلا بهذه الرسوم التي حقيقةُ الأمر فيها اللهوُ بها عن فهم مدلول العباراتِ والكلمات، بل فوق ذلك أنها كثيرًا ما تُفهم الناظر خلافَ المراد من الكلام في نصوص الوعدِ والوعيد، إذن؛ فنتيجةُ هذه الرسوم عكسيةٌ، أي: عكسَ ما يزعمه المهتمون بها والمُعظِّمون باتخاذها طريقًا للتفهيم والتعليم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣) من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إذا علمت ما تقدم: فآخر ما بلَغنا مِن هذه الطرائق المُحدثةُ ما سموه بـ«الخرائط الذهنية»، كما وردَ في السؤال، وظاهرُ هذه التسمية -خرائط ذهنية- أي: أنَّ الحافظَ يتخيَّلها رسومًا محضةً في ذهنه، وليس لها في الخارج حقيقة، وقد لُوحظَ في الأوراق المُتضمنة لشرح هذه الطريقة أنَّها قد رسمت بخرائط حسية، ويُلاحظ في هذه الخرائط أنَّ المربعات التي كتبت فيها أسماء السور وتتفرعُ منها الأغصان، قد اشتملت على أنواع من الصُّوَر، من صورة حيوان: كالعنكبوت في سورة العنكبوت، والنملةِ في سورة النمل، ونباتِ في سورة النحل، وصورةِ إنسان في الأعرافِ وجزء عم، إلى غير ذلك، ولا ندري لِمَ لَمْ يلتزموا بمنهجهم؟! فلم يرسموا صورة بقرة في مربع سورةِ البقرة، ولا نحلةٍ في مربع سورة النحل، ولا إبلٍ وغنمٍ في مربع في سورة الأنعام، ولا مائدةٍ في سورة المائدة، إلى غير ذلك ممَّا لم يطَّرِدْ فيه منهجُهم، وهو كثيرٌ.

ولا ندري كيف يستحضرُ مَن يُلِمُّ بهذه الخرائط ما تُشيرُ إليه تلك الأغصان ذوات الألوان المختلفة التي جُعل كُل غصنٍ منها رمزًا لمجموعة مِن الآيات المتضمنة لموضوعات السورةِ المختلفة، حسب تصورِ الرسام وفهمه للآيات، وكيف يكون ذلك وسيلةً لحفظ القرآن؟ هل معنى ذلك أن يتوقف عند ابتداء كل سورة، فيُفكر في تلك الخرائط وما ترمزُ إليه؟ عجبًا! كيف يكون التوقفُ والتفكر والتخيل لهذه الخرائط سببًا لحفظ القرآن؟! بل الظاهرُ والواقع أن ذلك عائقٌ عن متابعة التلاوةِ، فضلًا عن حفظ القرآن.

ولا نُسهبُ في القول؛ فالذي ظهرَ لنا أنَّ هذه الخرائط الذهنية لحفظ القرآن بدعةٌ منكرة تشغل الفكر عن التعبد بالتلاوة والتدبر للآيات،

وتشغل الذهنَ عن تذكر الآيات التي تنساقُ تترى في صدور الحافظين، وتجري على ألسنتهم في غاية اليُسر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [الدخان]، وقالَ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر].

ويُخشى إن تمادى الأمرُ بأصحاب الخرائط الذهنية أن يطبعوا مصحفًا قد رسمَت بهوامشه هذه الخرائط، فتعظمُ المفسدة، كما فعلَ بعضهم؛ حين أصدر مصحفا ملونًا بألوان حسب الموضوعات، وقد كَتبتُ في ذلك فتوى بتحريمها صدرت في ٢٢ ذي القعدة ١٤٣٥هـ[١].

وبعد؛ فاتقوا الله يا مَن تنتسبون إلى العناية بالقرآن حفظًا وتلاوة وتفسيرًا أنْ تغلوا فتستحسنوا ما يستحدثه بعض المُتكلِّفين والمُتنطِّعين من طرائق التعليم، التي هي إلى الصد عن المقصود أقربُ منها لتحقيق المقصود، ومعلومٌ أنَّه ليس كل جديد مفيدًا ولا محمودًا، وما حدا بأهل البدع في الدين إلا ما يرونه من التجديد، لذلك كان تعلُّقهم بما ابتدعوه أعظمَ من السُّننِ التي ورثَها المسلمون عن السلفِ الصالح.

هذا؛ وممَّا يُزري بفكرة الخرائطِ الذهنية ويزهِّد فيها أنَّ مُخترعها نصرانيٌّ أو ملحد، يُدْعى: توني بوزان، إنجليزي الجنسية، فنحن في غنى عن هؤلاء.

هذا ومن أرادَ حفظَ كتاب الله فليمضِ على ما جرَت عليه الأمة من الإقبال على القرآن: تلاوةً ومراجعة ومدارسةً وقراءة في الصلوات، كما تقدَّمت الإشارةُ إليه.

---

(١) تنظر: (ص ٧٠)، وقد أعاد شيخنا –حفظه الله– تحريرها بالتاريخ المذكور. وهي مكتوبة من قبل بتاريخ: الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

نسألُ الله أن يُلهمنا رشدنا، ويهدينا سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم السبت السادس من شهر ذي الحجة من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٥٦):

ما حكمُ أن نؤلفَ قصةً لحفظ مواضعَ السجدات في المصحف؛ كأن نقول:

تزوَّجت «الأعراف» من «رعد»، وسافرا لشهر عسلٍ أحلى من عسل «النحل»، وأنجبا «إسراء» و«مريم»، ولم يكن لهما ولدٌ، فنصحهما الناس بأن يحجَّا، فـ «حجَّا» مرة، ولم يلدا ولدًا فـ «حجَّا» مرةً أخرى....إلخ.
إلى أن تنتهي السورُ التي تحوي سجدات في المصحف؟ جزاكُم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ ما ذُكرَ في هذه الطريقة المخترعة لمعرفة مواضع السجود في القرآن، وهي بناءُ ذلك على قصة، نقول: هي طريقةٌ خاطئة، وذلك لأمور:

١. أنَّ القصةَ المذكورة خياليةٌ، والقصةُ الخيالية ضربٌ من الكذب.

٢. أنَّ في القصة جانبًا مِن الهزْل، كالعُرس وشهر العسل، ممَّا يصرفُ سامع القصة عن الغاية المزعومة، وهي معرفةُ مواضعِ السجود.

٣. إنَّ الطريقة المتبعة عند المهتمين بذلك بجدٍّ هو نظمُها في أبيات، وإليك نموذجًا من ذلك ممَّا هو موجودٌ في الشبكة لناظمِه الفاضل(١):

ويَسجدُ القارئُ نَدْبًا يُذكرُ
في خمسةٍ من بعد عشرٍ تُشهرُ

في سورةِ الأعرافِ ثمَّ الرعدِ
والنحلِ والإسراء يا ذا المَجدِ

ومريمٍ، والحجُّ فيها اثنانِ
وبعد ذا بسورة الفرقانِ

والنملِ والسجدةِ ثمَّ صادِ
وفصِّلَت والنجمِ ذاك بادِ

والانشقاقِ، والأخيرةُ العلَقْ
فاسجدْ لمولاكَ اقتربْ يا مَن صَدَقْ

فهذه الأبياتُ كافيةٌ لمن يريد حفظَ مواضع السجدات، أما تلك القصةُ فلا يجوز نشرها، ولا ذكرها إلا للتحذير منها. واللهُ أعلم، وصلى الله وسلم على محمد.

حرر في يوم الثلاثاء الثمان عشر من شهر ربيع الأول من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر مقال بعنوان: «نظم السور التي فيها آيات سجود التلاوة» لمحمد آل رحاب في شبكة الألوكة.

السؤال (٥٧):

أنا اجتهدت ووضعتُ مسابقةً في القرية، وهي أنَّ كلَّ من يختمُ القرآن قراءةً فله جائزةٌ في آخر شهرِ رمضان، وحصلَ تنافسٌ كبيرٌ بين أبناء القرية، فما حكمُ ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقالَ تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود: ٧]، وأحسن العمل أخلصُه وأصوبُه، وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٤]، ومن هذه الآياتِ -وغيرها كثير- أخذَ العلماء أنَّ من شرط العملِ الصالح الإخلاص، وهو أن يريدَ العاملُ بعمله الإخلاصَ لله تعالى.

وعلى هذا فمن طلبَ الحصولَ على المال بعبادة من العبادات؛ فما أراد بعبادته وجهَ الله، ولهذا قالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن أخذَ المال للحج: من أخذ المال للحجِّ عن غيره فهو مُستعينٌ بما يُعطى على طاعة الله، أما من حجَّ ليأخذَ فهو مريدٌ بحجِّه عرَضَ الدنيا فهو ممَّن لا خلاقَ له. هذا معنى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وهو كلامٌ صحيحٌ تشهدُ له الأدلةُ من الكتاب والسنَّة.

وعلى هذا فهذه المسابقات التي تُعقد من أجل التنافس في قراءة القرآنِ إن كانت للصغار فلا بأسَ بها؛ لأنَّهم غير مُكلَّفين، وهم في سنِّ التربية بالترغيب في الأعمال الحسنةِ والتحذير من الأعمال السيئة.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٨-٢٠).

أما إجراءُ هذه المسابقة بين الكبار المكلفين؛ فالأظهرُ عندي أنَّها لا تجوز؛ لأنَّهم يقرؤون القرآن للحصول على الجائزة، وبهذا تكون عبادتُهم باطلة، ولا ثوابَ لهم؛ لأنَّهم لم يريدوا بعملهم هذا إلا عرضًا من الدنيا، فمن كانت عادته أن يقرأ في اليوم جزءًا، وبسبب المسابقةِ صار يقرأُ خمسةَ أجزاءٍ فلا يحتسب له في الثواب إلا ما أرادَ به وجهَ الله، وهو جزءٌ واحد.

وأما الذين يُقيمون هذه المسابقات باجتهاد وحسنِ نية فلهم أجرُ اجتهادهم ونيتهم، ويعذرون؛ لعدم علمِهم بالحكم.

وقد تبين ممَّا سبقَ أنَّه لا ينبغي لهم أن يفعلوا مثل هذه المسابقات؛ لما في ذلك من إفساد نياتِ القارئين، والطريق الشرعي لتنشيط الناسِ على العبادة وقراءةِ القرآن تذكيرهم بفضلها ومحبة الله لها وبعظيم أجرِ العاملين، مع حثِّهم على الإخلاص وتحقيقِ المتابعة لأمر الله ورسولِه، والله أعلم.

أما هذه المسابقةُ التي تمَّت ووقعَ السؤالُ عنها فأرى أن يدفعَ للمُستحقين ما شرطَ لهم، ويُنصحوا بأن يتصدقوا بها براءةً للذمة بعد معرفةِ الحكم.

***

السؤال (٥٨):

شيخنا الفاضل: انتشر مؤخرًا عقد دورات على النطاقين الرجالي والنسائي تستهدفُ الشباب غالبًا، ومدتها يَومٌ واحدٌ لسرد القرآن

كاملًا، أو بضعة أجزاءٍ، أو أقل أو أكثر، الدافعُ لها تثبيتُ الحفظِ وتعاهده.

فهل المشاركةُ بسرد القرآنِ في يوم -لهذا العارض- تدخل في حديث النّهي عن ختم القرآن في أقل مِن ثلاث؟ وهل ترون أنَّ مثل هذا المحفلِ لا حرجَ فيه من حيث الاجتماعِ وإظهار العملِ الجليل هذا؟ علمًا أنَّ سؤالي لأجل الانتفاع بالفتوى شخصيًا، حيث إنِّي كرهت الإقدامَ دون علمٍ، واللهُ تعالى يقول: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل].

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: فيقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]، وقال ﷺ: «**مَنْ قرأ القرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاث، لم يَفْقَهْه**» رواه أحمد وأبو داود[1]، قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بعد مراودة: «**فاقرأه في سبع، ولا تزدْ على ذلك**» متفق عليه[2].

وكان أكثرُ السلف لا يزيدون في ختم القرآن على سبعة أيام[3]، عملاً بهذه السنَّة، هذا مع قوله ﷺ -كما في الصحيحين-: «**تعاهدوا هذا**

(١) أخرجه أحمد (٦٥٥٣) بهذا اللفظ، وأخرجه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (١٣٤٧) بنحوه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الترمذي وابن حبان (٧٥٨).

(٢) البخاري (٥٠٥٤)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) نسبه النووي للأكثرين من السلف وهو عمل الإمام أحمد. ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص٥٩)، والمغني (٢/ ٦١١).

القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها»[(١)]، فينبغي لمن رزقَه الله حفظَ القرآن أن يتعاهدَه بكثرة التلاوةِ في الصلاة وخارجها، وينبغي أن يلزم المنهج الذي أرشدَ إليه النبيُّ ﷺ ابن عمرو، ومضى عليه السلفُ الأولون، فلا يزيدُ في ختم القرآنِ على سبعة أيام.

وما جاءَ عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من ختم القرآن في ليلة أو في كل يوم وليلةٍ[(٢)] هو من اجتهاد العُبَّاد، الذي غايته أن يدلَّ على الجواز، وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ.

فنقولُ للأخ السائل إذا كان حافظًا للقرآن ومتعاهدًا له بالتلاوة، وحريصًا على بقائه: عليك بلزوم ما أرشدَ إليه الناصحَ الأمين الذي بلَّغ هدى الله البلاغَ المبين.

هذا؛ ومعلومٌ أنَّ المسابقةَ بالتلاوة وختم القرآن في يوم يفوتُ معه التدبر، وقد يفوتُ معه كمالُ الإخلاص، لذلك أرى عدم الدخولِ في هذه المسابقة.

أسألُ الله أن ينفعنا وإياك بآيات كتابه، وأن يجعله لنا هدى ونورًا وشفاءً ورحمةً وبشرى، فذلك فضلُه تعالى يُؤتيه من يشاء، والله ذو الفضلِ العظيم.

حرر في يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) -واللفظ له- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: الزهد لابن المبارك (١/ ٤٥٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥١٣).

السؤال (٥٩):

عندنا في الحلقات نُجري اختباراتٍ تحريرية دوريةٍ لتقييم مستويات الطلاب في الحفظ، والطلابُ يتفاوتون في مستوياتهم وقد تظهرُ بعضُ الأخطاءِ الإملائية، فما رأيُكم في ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لا أرى أن يكون اختبارُ حفظ الطلابِ للقرآن بطريقة الكتابة؛ بل الأصلُ أن يكون اختبارهم بالتلاوة والإسماع، وهذا هو المتَّبعُ في عمل المسلمين، وإذن فلا يُحاسَبُ الطالب على خطئه في الإملاء، إلا أن يكون من المُقرَّرِ دراسةُ رسم المصحف. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد السابع عشر من شهر صفر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

القسم الثامن: أحكام تعليم القرآن

السؤال (٦٠):

ما حكمُ أخذ مُعلِّمِ تحفيظِ القرآن راتبًا؟ مع العلم أنَّ له عملًا آخر تجاريًا يأخذ عليه راتبًا.

الجواب:

الحمد لله؛ يجوزُ لمعلم القرآنِ أن يأخذَ أُجرةً على تعليمه، وهذا هو الصحيحُ في هذه المسألة، وفيها خلافٌ[1].

وممَّا اسْتَدل به المُجيزون حديثُ سهلٍ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الواهبة، قال: جاءَت امرأةٌ إلى رسول اللهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله؛ إنِّي قد وهبتُ لك من نفسي. فقالَ رجلٌ: زَوِّجْنيها. قال ﷺ: «**قد زوَّجناكها بما معك من القرآن**»[2]، فجعلَ تعليمه لها القرآنَ صَداقًا.

هذا؛ وليس أخذُ الأجرة على التعليم كأخذه على مجرد التلاوةِ؛ فالتلاوةُ لا يجوز أخذُ الأجرة عليها؛ لأنَّها عبادةٌ محضة، وأما التعليمُ فليس كذلك، بل يكون عبادةً ممَّن قَصدَ به التعبُّد، ويكون عملًا عاديًّا لمن لم يقصدْ به ذلك، كتعليم سائرِ العلوم. والله أعلم.

❊❊❊

(١) ينظر: المغني (٨/ ١٣٦)، وتكملة المجموع (١٥/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١٠)، ومسلم (١٤٢٥).

السؤال (٦١):

إذا لم يُعطَ معلم القرآن راتبًا (أجرة)؛ وترك تعليمه للقرآن بسبب ذلك، هل هذا يخل بالإخلاص؟

الجواب:

الحمد لله؛ إذا كان المعلمُ إنما تركَ تعليم القرآن لأنَّه ليس له مورد يكفيه إلا ما يأخذه من مكافأةٍ أو أجرة على التعليم أو لحاجتِه لها؛ فلا يُخِلُّ ذلك بالإخلاص.

أما إذا كان مُستغنيًا، ثم إذا لم يُعطَ الأجرة على التعليم تركَ العمل، فهذا إمَّا أن يكون عمله ناقصًا وإخلاصه ناقصًا، وإما أنَّه لم يعمل أصلًا إلا للأجرة، فهو لا يهتم بتعليم القرآنِ إلا من جهة ما يأخذه من المُكافأة، وكلُّ إنسانٍ يعلمُ حاله وحقيقة أمره من نفسه، قالَ ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيات وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**»[(١)]. والله أعلم.

حرر في يوم السبت الأول من جمادى الآخر من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) أخرجه البخاري (١) -واللفظ له-، ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال (٦٢):

هل يجوزُ لمعلم القرآن أن يقبلَ هدايا أو خدمات من بعض الطلبةِ دون طلب منه، سواء أكان يتقاضى مقابلًا للتفرغ أم لا؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ كلُّ من قام بعملٍ واجبٍ عليه فلا يجوزُ له أن يأخذ ممَّن وجبَ نفعه بذلك العمل مقابلًا على ما يُقدمه له من المنفعة، فالمعلمُ للقرآن إذا كان يأخذُ على هذه الوظيفة أجرًا من غير المتعلم فلا يجوز له أن يأخذَ من المتعلم هدية أو أن يُطالبه بتقديم خدمة؛ لأنَّه يُؤدي هذا العمل ويُقدم هذه المنفعة لقاء ما يتقاضاه من مرتَّب، أما إذا كان التعليمُ مجانًا فذلك إحسانٌ منه فلا مانع أن يأخذ من المتعلم الهديةَ ونحوها؛ لأنَّ ذلك من قبيل المكافأة على المعروف، كما قالَ ﷺ: «**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه**»[(١)].

وبهذا يعلم أنَّه لا يجوزُ لمن كان رئيسًا أو مديرًا في دائرة أو مؤسسة أن يقبل هدية من مرؤوسيه، ولا أن يقبلَ منهم خدمة يُقدمونها من أجل العلاقة الوظيفية، وأقبحَ من ذلك: أن يُطالبهم بأن يقدموا له خدماتٍ لا تجبُ عليهم بمُقتضى وظيفتهم، فإنَّ هذا من نوع استغلالِ السلطة، وقد جاءَ في الحديث: «**هدايا العمال غلول**»[(٢)] أي: أن ما يُهدى للموظفين من أجل العمل الذي هم مكلفون به من نوع الغلولِ من بيت المال.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) -واللفظ له-، وأحمد (٥٣٦٥)، والنسائي (٢٥٦٧) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الحاكم (١٥٠٢)، وابن حبان (٣٤٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٠١) عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه ابن حجر في الفتح (٥/ ٢٢١)، (١٣/ ١٦٤) وصححه بشواهده الألباني في الإرواء (٢٦٢٢).

فالواجبُ على المعلمين والإداريين ألَّا يقبلوا ما يُقدَّم إليهم من هدايا، وإذا اضطرَّ أحدٌ أن يأخذَ شيئًا مما يُهدى إليه مُراعاةً لخاطر المهدي كما يقعُ من الطالبات مع المعلمات كثيرًا، فالواجب: أن تردَ بطريقة المكافأةِ بهدية مثلها أو أفضلَ منها، وإذا كافأ الإنسانُ على الهدية خرجَ من تبعتها، وإذا كان الإهداءُ علانيةً فينبغي أن تكون المكافأةُ كذلك؛ ليبعدَ الإنسانُ نفسه عن الظنون السيئة.

فينبغي توجيهُ الطلابِ والطالبات إلى عدم الحرصِ على الإهداء، وأن يُستغنى عن ذلك بالدعاء فهو خيرٌ وأبقى، والله أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة من عام خمسة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

القسم التاسع: أحكام تعظيم القرآن

السؤال (٦٣):

ما حكمُ تعليقُ اللوحات التي تحمل آياتٍ قرآنية في غرفة المجلس أو صالة الجلوسِ؟ أرجو التكرم ببيان جملةٍ من الأدلةِ على الحكم.

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ آياتِ القرآن هي من كلام الله، وكلامُ الله حقُّه التعظيم والإكرام، ولكن تعظيمُ القرآن واحترام القرآن يجب أن يكون مقيدًا بما شرعَ الله، فليس كل ما يعدُّ تعظيمًا، أو ما يعدُّه الناس تعظيمًا يكون كذلك.

فمن يتخذُ مصحفًا كبيرًا مُذهَّبًا، ويجعله زينةً في المجلس أو الغرفة، فمثل هذا العمل لا أصلَ له، إنَّما تعظيمُ القرآن بتلاوته وتدبره، والاستماع إليه كما أمرَ الله في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

فَجَعْلُ الآيات في لوحات وتعليقها في المجالس؛ هذا من التعظيم المبتدع إن قصد به فاعله التعظيم، وإن قصد تزيين الحائط بتلك الرسوم

فذلك امتهان للقرآن، حيث يُجعل زينة للجدران، فما أنزله الله لذلك، إنما أنزله ليُتلى ويُتدبر ويعمل به.

فهذه اللوحاتُ التي تُرسَمُ وتباع ثم تعلق، أمرها دائرٌ بين البدعة وامتهان القرآن، وكلٌّ من الأمرين باطلٌ، فالواجب الإنكارُ على من فعل ذلك ممّن يخطُّها، أو يبيعها، أو يُعلِّقها.

نسألُ الله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقَنا البصيرةَ في الدين. واللهُ أعلم(١).

حرر في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخر من عام ثلاثة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٦٤):

ما حكمُ تعليقِ الآيات على الجدران للزينة وغيرها؟ وكذلك تعليقُ الأذكار، مثل: أدعيةِ دخول المسجدِ والخروج منه، والبيت، والخلاء، وكفارة المجلس، وغيرها لتذكير الناس؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ تعليقُ الآيات على الحيطان للزينة امتهانٌ للقرآن، وإن كان للتذكير وأنَّ ذلك ممَّا يُستحبُّ فهو بدعةٌ. والذي يظهرُ أنَّ تعليق الأذكار في أبوابِ المساجد، والبيت، والخلاء، وكفارةِ المجلس، وغيرها؛ أنَّ تعليق هذه الأذكار بدعةٌ؛ لأنَّه ليس ممَّا أمر به الله ورسوله ﷺ، ولم يفعله أحدٌ من

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٢/ ١٢٨).

السلف والتابعين وتابعيهم من أهل القرونِ المفضلة، ولم يندب إليه أحدٌ من أئمة العلمِ المعتبرين، مع ما هو معلومٌ من فضل الذِّكر والترغيب فيه، فكان المُقتضي قائمًا، ووسائله موجودةٌ، ومع ذلك لم يفعلوه.

ومن المعروف أنَّ الناسَ إذا ألفوا رؤيةَ هذه اللوحات لم يلتفتوا إليها إلا عند أولِ ما تُوضع ليعرفوا مضمونها، وهذا يؤكد أنَّ تعليقَ هذه اللوحات والأوراق بدعةٌ لا فائدةَ فيها.

وأما الذين يُعلِّقونها -بحسن نية- وهم لا يعلمون حكمها؛ فاللهُ يُثيبهم على نياتهم لا على عملِهم، واللهُ أعلم.

***

السؤال (٦٥):

هل يجوزُ أن أحتفلَ بأبنائي مَن يختم منهم جزءًا مِن القرآن بأن أصنعَ له طبقًا مِن الحلوى أو (الكيك) وأضع عليه مِن الشّموع بعدد الأجزاء التي حفظها، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على مَن لا نبي بعده، أمَّا بعد:

فلا مانع مِن أن تحتفلَ بحفظ أبنائك القرآن، وتقدِّم لهم الحلوى، ولكن دون شموع؛ لأنَّه لا معنى للشّموع، ثم يخشى أن يكون ذلك مِن التَّشبُّه المنهي عنه، وفيه أيضًا إضاعة للمال دون فائدة، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الثاني من شهر جمادى الآخرة من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

القسم العاشر: إشكالات تتعلق بقصص وأمثال القرآن

السؤال (٦٦):

إذا كان إبليسُ قد طُرِدَ من الجنة؛ فكيف استطاع أن يُوسوس لآدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هل دخل الجنةَ ثانية؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا سؤالٌ يذكره المفسرون، ولكن لا يقولون: إنه كان معهما في الجنة، بل يعلمون ويقولون إنه منذ عصى ربَّه وأبى السجود لآدم واستكبر وكان من الكافرين؛ حرَّمَ اللهُ عليه دخولَ الجنة.

ولكن السؤال الذي يذكره المفسرون هو: كيف استطاع أن يُوسوس لهما وقد أُمِرَ بالهبوط من الجنة[١]؟ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف].

فقيل: إنه لا يمتنع أن يُوسوسَ لهما وإن كان خارجَ الجنة.

ويحتمل: أن يكون دخل الجنةَ دخولًا عَرَضيًا لا للإقامة فيها، لكن ليتمَّ ما قدَّرهُ اللهُ من ابتلاءِ الأبوين به[٢].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٥٦١)، والتفسير البسيط (٢/ ٣٩٣).
(٢) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (١/ ٧٣) في سياق ذكره للمناقشات حول الجنة التي أُهبط منها آدم.

وقد دلَّت قصةُ آدم وإبليس على أنَّ اللهَ أسكن آدمَ وزوجَه الجنَّةَ، ونهاهما عن الأكل من الشجرة، وحذَّرهما من طاعة الشيطانِ، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه]، إلى قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه]، والواجبُ في أمور الغيب: الوقوفُ عند ما وَرَد، فلا نتكلَّفُ البحث عمَّا طوى اللهُ علمَه عنَّا.

وعلى هذا فنقول: اللهُ أعلمُ كيف تهيَّأ لإبليس أن يُوسوسَ لآدمَ وزوجه وهما في الجنة وهو قد طُرِدَ منها، بل ليس في القرآن نصٌّ صريحٌ يُوجِبُ الجزمَ بأنَّ إبليسَ كان في الجنة قبل أن يُؤمرَ بالسجود.

وعلى كلِّ حالٍ فقد نفذ قدرُ اللهِ فوسوسَ إبليسُ لآدمَ وزوجِه كما أخبر سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف]، الآيات، والله أعلم.

***

السؤال (٦٧):

كيف وسوسَ إبليسُ لآدمَ وزوجِه في الجنة، والله حرَّمَ عليه دخولها؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لقد خاض المفسِّرون في ذلك وأجابوا إجاباتٍ لا دليلَ عليها، فهي ظنونٌ وتقديراتٌ، وذلك بناءً على اعتقادِ أنَّ إبليسَ لمَّا امتنع من السجود لآدمَ ولُعن؛ حُرِّم عليه دخولُ الجنَّةِ تحريمًا قدريًّا، ولا يظهر أنَّ في النصوص ما يدلُّ على هذا، بل ظاهرُ ما ذُكر في القرآن من قصة

آدمَ وإبليس من تحذير اللهِ آدمَ من عداوة إبليس وألّا يكون سببًا في إخراجه وزوجه من الجنة؛ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه] = ظاهره أنَّ إبليسَ قادرٌ على دخول الجنةِ والوسوسة لآدم، وأقوى من هذا في الدلالة على دخول إبليس الجنة قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه]، وقد وقع مما حذّر الله منه آدمَ ما قدّره الله تعالى لتتمَّ حكمةُ الابتلاء.

وليس في النصوص ما يدلُّ على تحديد الأزمنةِ ما بين سجود الملائكة لآدم ولعنِ إبليس وإسكان آدم وزوجه وهبوطهم منها. وظاهرُ القرآنِ أنَّ آدمَ وزوجه وإبليس قد أُمروا جميعًا بالهبوط إلى الأرض في وقتٍ واحدٍ، قال تعالى في الأعراف: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤] وفي طه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه: ١٢٣]، وبهذا يزول الإشكالُ ويرتفع السؤالُ، واللهُ أعلمُ.

***

السؤال (٦٨):

لماذا أمرَ الله الملائكةَ أن تسجدَ لآدم؟ ولماذا سجدَ إخوةُ يوسف ليوسف؟ لأني أعرفُ أنَّ السجودَ يجب أن يكونَ لله.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛

أما بعد:

السجود نوعان:

- أحدهما: يكونُ تعظيمًا وتقربًا إلى من سُجِدَ لهُ، وهذا سُجودُ عبادة، ولا يكون إلاَّ لله وحده في جميع الشرائع.

- الثاني: سُجود تحيَّة وتكريم، وهذا هو السُّجود الذي أَمَر الله الملائكة به لآدم فسجدوا له تكريمًا، وهو منهم عبادة لله سبحانه بطاعتهم له؛ إذْ أمرَهم بالسجود.

وكذلك سجودُ أَبَويْ يُوسُف وإخوته له؛ هو سجود تحية وتكريم، وقد كان جائزًا في شريعتهم، وأمّا هذه الشريعة شريعة نبينا محمد ﷺ فلا يجوز السجودُ فيها لغير الله مطلقًا، ولهذا لما أراد معاذ أن يسجد للنبي ﷺ وذكر أنَّ أهل الكتاب يسجدون لعظمائهم نهاه، وقال: «**لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرْتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها**»[1].

وتحريمُ السجود لغير الله مطلقًا في هذه الشريعة هو من كمالها في تحقيق التوحيد، وهي الشريعةُ الكاملة في كُلِّ ما اشتملت عليه من الأحكام، قالَ تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣][2].

---

(١) أخرجه -بهذا اللفظ- الترمذي (١١٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «حسن غريب»، وقصة معاذ جاءت في رواية ابن أبي أوفى عند ابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان (٤١٦٢)، وورد من حديث جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم: أنس ابن مالك، ومعاذ بن جبل، وقيس بن سعد، وعائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وينظر: الإرواء (١٩٩٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٥٥-٣٥٦)، ودرء التعارض (٧/ ٢٢).

حرر في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر صفر من عام واحد وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٦٩):

المتدبِّرُ لقصص الأنبياءِ وأممهم في القرآن يُلاحظُ أنَّ الله ذكرَ عاقبةَ أكثر أقوام الأنبياء المُهلكين وما أهلكهم اللهُ به، كقومِ نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ولم تُذكَر عاقبةُ قومِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى سائر الأنبياء، فيسألُ: فما السِّرُّ في هذا؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أمَّا بعد:

فلم يعرضْ كثيرٌ مِن المفسِّرين لمضمون هذا السؤال والجواب عنه في ما رأينا، إلَّا ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنَّه ذكرَ في قصَّة إبراهيم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء] ذكرَ أنَّ الله لم يذكرْ ما عاقب به قومَ إبراهيم كما في سائر أقوام الرسل، إلَّا أنَّ الله ذكرَ أخذَه لهم مجمَلًا، كما في آية الحج في قوله: ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤﴾ [الحج]، قال: «ولم أرَ مَن فسَّرَ ذلك الأخْذَ بوجهٍ مقبول، والظَّاهرُ أنَّ الله سلَّطَ عليهم الآشوريين فأخذوا بلادهم، وانقرضَ ملكُهم وخلفهم الأشوريون» اهـ، مِن «التَّحرير والتَّنوير»[1].

---

(١) (١٧/ ١٠٧).

وقد أحسنَ ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعرّضه لهذه المسألة، ولكنَّه لم يتعرَّض لسرِّ الفرق بين قوم إبراهيم وغيره مِن الرّسل، وقد عرضَ لهذا المعنى شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب النبوات»[١]، فذكرَ ما معناه أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أشبه بنبيّنا محمَّد ﷺ في الرَّأفة والرَّحمة فهما الخليلان، وقد رفعَ الله عن هذه الأمَّة عذاب الاستئصال، إكرامًا لنبيِّها ﷺ، وهذا ما كانَ لقوم إبراهيم للشَّبه الذي بين النَّبيِّين والخليلين.

وذكرَ شيخُ الإسلام أيضًا وجهين آخرين في صرفِ عذاب الاستئصال عن قوم إبراهيم:

أحدهما: أنَّه لم يُقِمْ بين ظهرانَيهم، بل هاجرَ وتركهم، ولم يكونوا هم الذين أخرجوه، وغيرُه مِن الرُّسل أقاموا في أقوامهم حتى جاءَ أمرُ الله بإهلاكهم، فنجَّاهم الله، وأهلك أقوامهم، وهم ينظرون.

الثَّاني: أنَّ قومَ إبراهيم لم يفعلوا ما يستوجبون به العذاب، وإن كادوه بإلقائه في النَّار فقد نجّاه الله، ولم يبلغوا ما أرادوه مِن إحراقه، وذكرَ شيخُ الإسلام أنَّ عذابَ الكفار في الدُّنيا ليس هو الجزاء التَّام الذي يستحقّونه، بل هذا مدَّخرٌ ليوم القيامة، وإنَّما الذي يكون في الدنيا ما تحصل به المصلحة كالعقوبات الشَّرعية[٢]. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الرابع عشر من شهر صفر من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

(١) (١/ ٢٠١).
(٢) ينظر: النبوات (١/ ٢٠٩-٢١٠).

السؤال (٧٠):

هل كانت رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون وحده أو إليه وإلى بني إسرائيل؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، أمَّا بعد:

فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُرسل إرسالين؛ الأوَّل إلى فرعون، وهذا في القرآن أكثر وأشهر، وقد دلّ على ذلك كثيرٌ مِن الآيات، كما في: «سورة الأعراف ويونس وهود وطه والشعراء والمؤمنون وغافر والدخان والذاريات والنازعات»، ثم أُرسل بعد ذلك إلى قومه بني إسرائيل، وذكرَ ذلك في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]، ولما أُرسل إلى بني إسرائيل أُنزلت عليه التَّوراة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون]، فالتَّوراة أُنزِلَت على موسى بعد هلاك فرعون وقومه، فهي لبني إسرائيل خاصَّة، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء].

فإن قيل: إنَّ قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الفرقان] يدلّ على أنَّ موسى أوتي الكتاب -وهو التوراة- عند إرساله إلى فرعون وقومه، فالجواب: أنَّ هذا مِن باب تعديد النّعم، ولا تقتضي الواو في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ ترتيبًا مع إيتاء الكتاب، فالكتابُ أُنزِلَ بعد ذلك. والله أعلم(١).

حرر في يوم الأحد العاشر من شهر ذي القعدة من عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٧١):

يعمدُ بعضُ كتَّاب القصة وأهل الرواية إلى قصص القرآن فيصوغونها في قوالبَ قصصية حوارية بصورةٍ أدبية، وذلك لتقريبها للقراءِ ولا سيما الناشئين، مستعينين بجمع رواياتِ القصة الواحدة في القرآن، وهكذا ما جاءَ منها في الحديث النبوي، ويُضيفون إلى القصة ما تحتاج إليه من روابط فنية يستدعيها السياقُ، وهي معلومةٌ ضرورة، ولهم في ذلك أهدافٌ كريمة من كون قصصِ القرآن أصحُّ القصص وأصدقها، ولأنَّها ذاتُ مقاصد سامية في الدعوة والسلوك، فهل هذا العملُ جائزٌ شرعًا؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ القِصص التي في القرآن؛ كقصة آدم وإبليس، وقِصص الأنبياء: كنوح، وهود، وصالح، وغيرهم، وقصة موسى عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لم تُسق سياقًا تاريخيًا تُستقصى فيه كل الأحداث، وإنَّما يُذكر منها ما

(١) ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٣/ ١٣١).

يتضمنُ تقرير أصولٍ وأحكامٍ شرعية: من التوحيد والنبوةِ والمعادِ والوعد والوعيد، وسنَّة الله في نصر أوليائه وإهلاكِ أعدائه، وسير الأنبياء في الدعوة إلى الله، والصبر على ما يُلاقونه في ذلك.

وأما القصصُ التي تُصاغ بقوالب أدبية، حتى صارت كتابةُ القصة فنًّا أدبيًا، فمنها ما هو كذبٌ محضٌ، ومنها ما له أصلٌ، ويُضاف إليه معانٍ من خيال الكاتب، حتى تكون القصةُ في أصلها التاريخي في سطور، فتصاغُ في كتاب!

ومن أهم مقاصدِ هذا النوع تسليةُ القارئ، وشدُّ ذهنه لمتابعة القراءة، ولذلك يظهرُ لي -والله أعلم- أنَّه لا تجوزُ صياغة ما جاءَ في القرآن من قِصصٍ بهذه الطريقة؛ لأنَّ في ذلك إخراجًا لها عن غاياتها العليا، وإلحاقًا لها وتشبيهًا بقصص اللهوِ والتسلية.

ويلزمُ من سلوك هذه الطريقة في قصص القرآنِ خلطُ الحقِّ بغيره مما لا يُعلمُ صِدقُه، وقد يكون مما يَعلَمُ أهلُ العلم كذبَه من الروايات الإسرائيلية.

وجمع كل هذا في قالب واحدٍ متسلسلًا دون تمييز؛ هو من لبسِ الحقِّ بالباطل، وفي تقديمه للناشئة ومن في حكمهم من الجهال والعوامِ؛ ترسيخٌ لكل ما في القصة المكتوبةِ من المعاني والأحداث في عقولهم دون فرقان.

وما يذكره المُفسرون والمؤرخون من روايات يذكرونها على أنَّها أخبارٌ إسرائيلية، فتارةً يُنبهون على الكذب منها، وتارةً يذكرونها بصيغة التمريضِ والشكِّ في صدقها، واستجازوا ذلك لقوله ﷺ: «**حدِّثوا عن**

بني إسرائيل ولا حرج»[١]، وقالَ ﷺ: «**إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تُصدِّقوهم ولا تُكذِّبوهم**»[٢]، ومع ذلك فيعيبُ بعض المُحقِّقين من أهل العلمِ التوسعَ في ذِكر الرواياتِ الإسرائيلية، والاعتمادَ عليها في التفسير.

لذلك أرى أنَّه تجبُ صيانةُ قصص القرآن عن أن يُنهجَ بها نهجَ قصص اللهوِ والتسلية التي لا يتحرَّى فيها التمييزُ بين الواقعِ وغير الواقع.

يُضاف إلى ذلك أنَّه قد اتخذ هذا المنهج وسيلةً إلى تمثيل قصصِ القرآن في المسارح وصالاتِ السينما وفي وسائل الإعلامِ المسموعة والمرئية، فاتُّخذت آياتُ الله هزوًا، فنعوذُ بالله من غضبه وأسبابِ عقابه.

هذا؛ ومن الأصول المقررةِ أنَّ حسْنَ قصدَ الفاعل والقائلِ لا يُسوِّغُ قوله أو فعله، لكن قد يكون عذرًا له، فلا يجوزُ الاستدلالُ بحسن نيته على جواز قولِه أو فعله، كما لا يجوزُ الاستدلالُ على جواز الشيء بما يُذكَر فيه من مصلحةٍ مُتوهَّمة أو مُحقَّقة إذا تضمنَ مفسدةً راجحة، وكلُّ البدعِ القولية والفعلية تقومُ على هذين الأصلين: حسنُ القصد، ودعوى المصلحة، والميزانُ والفرقان في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وعليهما درجَ السلفُ الصالح والتابعون لهم بإحسانٍ، سلكَ الله بنا سبيلهم، والله أعلم.

❋❋❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) -واللفظ له-، وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (٦٢٥٧) عن أبي نملة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وصححه ابن حبان، وابن تيمية في مقدمة التفسير (ص٥٧)، وبمعناه ما أخرجه البخاري (٤٤٨٥) عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام؛ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] **الآية**».

السؤال (٧٢):

ضربَ الله عَزَّوَجَلَّ مثلَيْن؛ أحدهما: مائيٌّ، والآخر: ناريٌّ، لِمَن يُحبِطُ صدقتَهُ بالرّياء، نرجو شرح المثلَيْنِ، وما المشبَّه والمشبَّه به، وما الفائدة الإعجازيَّة في ضرب المثل بالماء والنَّار؟

الجواب:

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

المشبَّه في الآية الأولى: هو الذي يُنفقُ مالَه رياءً، والمشبَّه به هو: الماءُ النَّازلُ على صفوان، والمشبَّه في الآية الثَّانية: هو المتصدِّقُ الذي يُبطلُ صدقتَهُ بالمَنِّ بعدما استحقَّ الثَّواب، والمشبَّه به: صاحبُ الجنَّة التي أصابها إعصارٌ وهو أحوجُ ما يكون إليها؛ لضعفه بالكبر وضعف ذريَّته.

والفائدةُ الإعجازيَّة: أنَّه ضربَ المثل بضدَّيْن -وهما الماء والنار- لشيءٍ واحدٍ، وهو بطلانُ صدقة المرائي، والمثلُ المائيّ في قوله: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا﴾ [البقرة: ٢٦٤] والثَّاني: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

حرر في يوم السبت الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة من عام تسعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

القسم الحادي عشر: مسائل متفرقة فيما يجوز وما لا يجوز استعماله في القرآن

السؤال (٧٣):

ما الراجحُ في وجود المجازِ في القرآن وفي اللغة؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ عندي أنَّ المجاز اصطلاح، ويقولون: لا مُشَاحَّة في الاصطلاح، والمجازُ موجودٌ في اللغة والقرآن[١]، وإذا كان موجودًا في اللغة فهو في القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء]، وليس في ذلك إشكال.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] إذا سُمِّي ما يأكلون من مال اليتامى نارًا؛ لأنه سبب لأكل النار، فهذا إذا سميناه مجازًا فلا إشكال. ومثله قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[٢].

(١) وهذا هو قول الجمهور كما في الإتقان (٤/ ١٥٠٧) ومنعه ابن تيمية وابن القيم في اللغة أصلًا. ينظر: الإيمان (ص٧٣) وما بعدها، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٦٩٠) وما بعدها، وتوسط الشنقيطي فقرر أنه واقع في اللغة دون القرآن وألف رسالته: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز».

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٤) -واللفظ له-، ومسلم (٢٠٦٥) عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ اليتامى لا يُعْطون أموالهم، إنما يُعطونها إذا خرجوا عن اليُتْم وبلغوا، وقالَ العلماء: هذا مجازٌ[١]، وهو من التعبير عن الشيء باعتبار ما كان.

فليس المُنكَر دعوى وجودِ مجازٍ في القرآن؛ ولكنَّ الإشكال دعوى أنَّ نصوص الصفات من قبيل المجاز! وهذا باطل. والله أعلم[٢].

حرر في يوم الثلاثاء الرابع من شهر جمادى الآخر من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

السؤال (٧٤):

مِنَ المعلوم: أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ أقوالَ الناسِ فيه مذكورةٌ بالمعنى لا بالنصِّ؛ فإبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لُغَتُهُ سُرْيانيَّة، وإسحاقُ عِبْرانيَّة، وهكذا، والكلامُ يُنْسَبُ إلى مَنْ قالَهُ ابتداءً، والبلاغةُ بلاغةُ الحاكِي والناقلِ، وفي التحليلِ البيانيِّ للآياتِ يقولُ المفسِّرُ: فانظُرْ كيفَ عَبَّرَ إبراهيمُ بالاستفهامِ، وتأمَّلْ كيفَ أتَى بأسلوبِ القَصْر، وعَبَّرَ بالجملةِ الاسميةِ... إلخ.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢/ ٣١٠)، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي (١/ ٤٠٢).

(٢) ينظر: المجاز بين الإبداع والابتداع لـ د. عبد المحسن العسكر.

فهل هذه النِّسْبةُ بهذه الطريقةِ خطأٌ؟ وما الصوابُ في مثلِ هذا؟ جزاكُمُ اللهُ خيرًا.

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نبيِّنا محمَّد؛ أمَّا بعدُ:

فمِنْ أصولِ أهلِ السُّنَّةِ التي يُؤمِنُونَ بها، ويُقرِّرُونها: أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، حروفُهُ ومعانيهُ، ليس كلامُ اللهِ الحروفَ دُونَ المعاني، ولا المعانيَ دُونَ الحروفِ[1].

وهذا الحكمُ شاملٌ لكلِّ نصوصِ القرآنِ: الخبريَّةِ، والطَّلَبيةِ؛ فيدخُلُ في ذلكَ الأخبارُ عَنِ الأقوامِ؛ فهي كلامُ اللهِ حروفُهُ ومعانيه، خلافًا لِمَنْ زعَمَ أنَّ أخبارَ اللهِ عَنْ أقوالِ مَنْ أخبَرَ عنهم: أنَّ المَعَانِيَ لِمَنْ أخبَرَ عنهم، والحروفَ هي كلامُ اللهِ، بل كلُّ آيِ القرآنِ الخبريَّةِ والطَّلَبيةِ كلامُ اللهِ: الحُرُوفُ والمَعَانِي، لكنَّ الأقوالَ المَحْكِيَّةَ عن الأنبياءِ والأُمَمِ أو غيْرِهم، أي: المُخبَرِ عنها، لها اعتبارَانِ:

- اعتبارُ نِسْبَتِها إلى قَائِلِيها؛ فمعانيها لهم.

- وباعتبارِ نِسْبَتِها إلى اللهِ خبرًا؛ فحروفُها ومعناها الخَبَريُّ للهِ تعالى.

فقولُهُ تعالى عن فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦]؛ فما في هذِهِ الآيةِ مِنْ قولِهِ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ مِنَ المعنى الخَبَريِّ، هو للهِ تعالى، وما في قولِ فِرعون مِنْ معنى النِّدَاءِ والطَّلَبِ، هو لِفرعونَ؛ ومراعاةً لاختلافِ النِّسْبَتَيْنِ نقولُ: «قال فِرْعَوْنُ: يا هامانُ، ابنِ لي

(١) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص١٦١).

صَرْحًا»، و«قال اللهُ عن فِرْعَوْنَ: قال: يَا هَامَانُ، ابْنِ لِي صَرْحًا»، وهكذا تقولُ: «قال إبليسُ: فَبِعِزَّتِكَ»، و«قال اللهُ عن إبليسَ: قَالَ: فَبِعِزَّتِكَ»، فالقَسَمُ مِنْ إبليسَ، والخبرُ عن القَسَمِ للهِ تعالى.

والقرآنُ أنزَلَهُ اللهُ ويَسَّرَهُ بلسانِ رسولِهِ محمَّدٍ ﷺ، بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾ [يوسف]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [الدخان].

ومعلوم: أنّ الكلام -من حيث هو-: خبر، وإنشاء؛ فالإنشاء: إمَّا أمر أو نهي أو إباحة، والخبر: إمَّا خبر عن أقوال، وإمَّا خبر عن أفعال، والمخبر: إمَّا أن يخبر عن نفسه، أو عن غيره، وهكذا هو القرآن؛ فأخباره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: إمَّا إخبار عن نفسه وصفاته، وأفعاله وأقواله، وإمّا إخبار عن خلقه في الماضي والمستقبل؛ عن أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم؛ كما أخبَرَ عَنِ الملائكةِ، وعن الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، وأقوامِهم، وفي هذِهِ الأخبارِ: إخبارٌ عن كثيرٍ مِنْ أقوالِ الرُّسُلِ وأُمَمِهِمُ التي قالوها بِلُغَاتِهم.

وهذه الأقوالُ التي أخبَرَ اللهُ بها في القرآنِ: تُضافُ إلى قائليها؛ سواءٌ كانتْ منهم خبرًا أو إنشاءً، وتكونُ دالَّةً على المَعَانِي التي قَصَدُوها، وتضافُ هذه الأقوالُ إلى اللهِ تعالى؛ باعتبارِ أنَّه أخبَرَ بها عَنْ قَائِلِيهَا؛ فهي باعتبارِ أنَّهم مُنْشِئُوها: قَوْلٌ لهم؛ لأنَّهم قَالُوهَا بلغاتهم قَاصِدِينَ لمعانيها، وهي باعتبارِ إخبارِ اللهِ بها عنهم: قَوْلٌ للهِ تعالى؛ كما تَقَدَّمَ.

ويَظْهَرُ أثَرُ ذلكَ؛ إذا أُرِيدَ ذِكْرُ شيءٍ مِنْ هذه الأقوالِ:

- فإذا ذَكَرْتَ القولَ مُخْبِرًا عن قائلِهِ، كان المرادُ: أنَّه قال هذا المعنى بلسانِهِ؛ فتقولُ: قال فِرْعَوْنُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء]، وقال إبليسُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

- وإذا ذكَرْتَهُ مُخْبِرًا عن خبَرِ اللهِ به، فإنَّكَ تقولُ: «قال اللهُ عَنْ فِرْعَوْنَ»، و«قالَ عَنْ إبليسَ».

وهكذا في كُلِّ ما أخبَرَ اللهُ به مِنْ أقوالِ أوليائِهِ وأعدائِهِ؛ كما تَقدَّمَ؛ فتقولُ: قال إبراهيمُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]، وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، وتقولُ عن هذا أيضًا: «قال اللهُ عن إبراهيمَ...».

وقِسْ على هذا كُلَّ ما ورَدَ في القرآنِ مِنْ أقوالِ العبادِ التي أخبَرَ اللهُ بها.

ومعلومٌ: أنَّ اللهَ سبحانَهُ يَعْلَمُ ما في نُفُوسِهِمْ، وهو أَعْلَمُ بِمَقَاصِدِهم ودَلَالاتِ كَلَامِهم؛ وبهذا يَظْهَرُ الفرقُ بينَ إخبارِ اللهِ عن أقوالِ العِبَاد، وبينَ إخبارِ المُتَرْجِمِ لكلامِ غيرِهِ مِنَ البَشَرِ:

- فإنَّ المُتَرْجِمَ لكلامِ غيرِهِ لا يَعْرِفُ ما في نفسِ المُتَرْجَمِ كلامُهُ؛ فهو لا يُخْبِرُ عن مُرادَاتِه، وإنما يَعْرِفُ مَعانيَ ألفاظِهِ، فيُعبِّرُ عنها باللسانِ الذي يُرادُ النقلُ إليه.

- فاللهُ سبحانَهُ أَقْدَرُ على الإخبارِ عن تلكَ المَقاصِدِ والدَّلَالاتِ باللسانِ الذي أنزَلَ به كتابَهُ القُرْآنَ العربيَّ المُبِينَ؛ فكلُّ ما تَشتَمِلُ عليه ألفاظُ القرآنِ التي أخبَرَ اللهُ بها عَنْ أقوالِ مَنْ أخبَرَ عنهم مِنَ العبادِ، ما

تَشتمِلُ عليه ألفاظُ القرآنِ مِنَ الدَّلالاتِ والمَعانِي؛ فإنَّها مدلولُ ما قَالُوهُ بِلُغَاتِهِم، وأمَّا ما في القرآنِ مِنْ فَصَاحةِ الكلماتِ - مِنَ المُفْرَداتِ والتراكيبِ، والمُحسِّناتِ البديعيَّةِ، وتنويعِ الكلامِ: بالبسطِ والاختصارِ، ومُرَاعاةِ المُناسَباتِ والسِّيَاقِ: بالتقديمِ والتأخيرِ، والحذفِ في القِصَّةِ - فذلكَ مِنْ خصائصِ اللسانِ العربيِّ الذي نزَلَ به القرآنُ.

واعتَبِرْ هذا في قِصَّةِ آدَمَ وإبليسَ، وفي قِصَّةِ يُوسُفَ، وفي سائرِ قَصَصِ الأنبياءِ؛ كما في سورةِ البَقَرةِ وآلِ عِمْرانَ، والأعرافِ وهُود، وسورةِ الكَهْفِ وطه، والشُّعَراءِ والنَّمْلِ والقَصَصِ، وكذلكَ ما أخبَرَ اللهُ به مِنْ أقوالِ المؤمنينَ والكافرينَ والمنافقينَ؛ كما في سورةِ بَرَاءة والفُرْقانِ، والأحزابِ، والفَتْحِ، والمنافقونَ.

وفي ضَوْءِ ما سبَقَ نَتدبَّرُ بعضَ ما جاءَ في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقد اشتَمَلَتْ السورةُ على الإخبارِ عَنْ أقوالِ يُوسُفَ وأبيهِ وإِخْوَتِه، والعَزِيزِ وامرأتِهِ والنِّسْوَة، والمَلِكِ والفَتَيَيْنِ، وأوَّلُ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف]؛ فكلُّ هذا الكلامِ في الآيتَيْنِ كلامُ اللهِ مُخبِرًا عن قولِ يُوسُفَ لأبيهِ، وقولِ أبيهِ له، ومِنْ جهةِ معنى ما قالَهُ يُوسُفُ وأبوهُ، هو كَلَامٌ لَهُما؛ قالوهُ بلسانِهِما؛ فتقولُ: «قال يُوسُفُ: إنِّي رأيتُ...»، إلخ، و«قال يعقوبُ: يا بُنَيَّ، لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ»، وقولُ يُوسُفَ: خَبَرٌ عن نَفْسِه، وقولُ يعقوبَ: نَهْيٌ لابنِه، وكُلٌّ مِنَ الآيتَيْنِ: خبَرٌ مِنَ اللهِ عنهما بلسانٍ عَرَبيٍّ مُبِين.

ومما ظهَرَ مِنْ خصائصِ اللِّسَانِ العربيِّ فيما أخبرَ اللهُ به عن قولِ يُوسُفَ:

١. تقديمُ العدَدِ على المعدودِ، وتقديمُ الشمسِ على القَمَر.

٢. تَكْرارُ الفِعْلِ «رَأَيْتُ»، وتذكيرُ الضميرِ في قولِه: «رَأَيْتُهُمْ».

٣. بناءُ الكلامِ على الفاصلةِ: «لي سَاجِدِينْ».

ومِنَ الخصائصِ فيما أخبرَ اللهُ به مِنْ قولِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١. ذكرُ الاسمِ المُصغَّرِ بصيغةِ التصغيرِ: «بُنَيَّ».

٢. ذكرُ ما رَأَى يُوسُفُ بما هو أَدَلُّ عليه، وهو لفظُ الرؤيا، ولم يَقُلْ: «بما رَأَيْتَ».

٣. تأكيدُ الفعلِ بالمصدرِ: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾؛ لأنَّ ذلك راجعٌ إلى الاشتقاقِ؛ وهو مِنْ خصائصِ العربيَّة.

ويَحْسُنُ هنا: أنْ نَنْقُلَ ما قالَهُ الشيخُ العالمُ الشهيرُ، محمَّدٌ الطاهرُ ابنُ عاشورٍ، في «مقدِّمةِ تفسيرِه»؛ لمناسبتِهِ للموضوعِ؛ يقولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وممَّا يَتْبَعُ هذا: أنَّ القرآنَ يَتصرَّفُ في حكايةِ أقوالِ المَحْكِيِّ عنهم؛ فيَصُوغُها على ما يقتضيهِ أسلوبُ إعجازِه، لا على الصِّيغَةِ التي صدَرَتْ فيها:

- فهو إذا حَكَى أقوالًا غيرَ عربيَّةٍ؛ صاغَ مدلولَها في صِيغَةٍ تبلُغُ حدَّ الإعجازِ بالعربيَّة.

- وإذا حَكَى أقوالًا عربيَّةً؛ تصرَّفَ فيها تَصرُّفًا يُناسِبُ أسلوبَ المُعبِّرِ؛ مثلُ ما يَحْكِيهِ عَنِ العَرَب؛ فإنَّه لا يَلتزِمُ حكايةَ ألفاظِهم، بل يَحْكِي حاصلَ كَلامِهم، ولِلْعَرَبِ في حِكَايةِ الأقوالِ اتِّسَاعٌ مَدَارُهُ على الإحاطةِ بالمعنى، دُونَ التزامِ الألفاظ.

فالإعجازُ الثابتُ للأقوالِ المَحْكِيَّةِ في القرآنِ، هو إعجازٌ للقرآنِ، لا للأقوالِ المَحْكِيَّةِ، ومِنْ هذا القَبيلِ: حكايةُ الأسماءِ الواقعةِ في القَصَصِ؛ فإنَّ القرآنَ يُغيِّرُها إلى ما يُناسِبُ حُسْنَ مَواقِعِها في الكلامِ مِنَ الفَصَاحةِ؛ مثلُ تغييرِ «شَاوُلَ»، إلى: «طَالُوتَ»، وتغييرِ اسمِ «تَارَحَ» أبي إبراهيمَ، إلى: «آزَرَ».» انتهى من «التحرير والتنوير»(١).

وبناءً على ما سبَقَ تقريرُهُ، فلا مانعَ أنْ يقولَ المفسِّرُ: «عَبَّرَ إبراهيمُ، أو غيرُهُ، بكذا مِنَ الاستفهامِ، أو غيرِهِ»؛ لأنَّ اللهَ أخبَرَ عن أقوالِهِمُ الدالَّةِ على المَعَانِي التي قصَدُوهَا؛ كما تَقدَّمَ؛ واللهُ أعلمُ، هذا؛ وما ورَدَ في السؤالِ مِنَ الجَزْمِ بأنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لُغَتُهُ سُرْيانيَّةٌ، وإسحاقَ: عِبْرِيَّةٌ -: فيه نظر؛ لأنَّه لا دليلَ عليه. وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نبينا محمَّدٍ.

حرر في يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٧٥):

القرآنُ ليس بشعر، فهل يصحُّ أن نطلق عليه أنَّه نثر؟

الجواب:

الحمد لله، معلومٌ بالضرورة تنزيهُ القرآن أن يكون شعرًا، وتنزيهُ الرسول ﷺ أن يكون شاعرًا؛ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة] ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، فمن قال: إنَّ القرآن شعرٌ فسبيله سبيلُ الكافرين المُكذِّبين، فإن كان مسلمًا كان مرتدًّا.

---

(١) (١/ ١٢٠-١٢١).

وإذا لم يكن القرآن شعرًا فهل يصح أن يسمى نثرًا؟ في هذا نظر؛ فإنَّ إطلاق النثر على ما ليس بشعر اصطلاحٌ حادث، فإنَّ الكلامَ عند العرب شعرٌ أو غير شعر، لا يقولون: شعر ونثر، والشعرُ: هو الكلامُ الموزون المُقَفَّى. وغير الشعر ليس كذلك، وهو أنواعٌ:

- فمنه الكلامُ المسجوع.
- ومنه ما يتكون من جُمل ذاتِ فواصلَ تتفق في الحرف وتختلف، وقد تكون الفاصلةُ بعد جملةٍ أو جملتين أو أكثر.

وهذا النوعُ ينطبق على أكثر آيِ القرآن؛ فإنَّ الآيةَ قد تكون اسمًا لجملة واحدة، أو جملتين، أو أكثر، بل أو لكلمة واحدةٍ، وهو كثيرٌ، وتحديد الآية توقيفي.

- ومن الكلام ما ليس له نظامٌ؛ كأكثر كلامِ الناس العام والخاص.

وبعد، فإذا عُرف أن النثر اسمٌ في الاصطلاح لما ليس بشعر صحَّ أن نقول: إنَّ القرآنَ نثرٌ؛ أي: ليس بشعر، ولكنه نثرٌ له نظامٌ يختلف بين سورة وسورة، يظهرُ ذلك في طول الآياتِ وقصرها، فربَّ سورة قصيرة أكثرُ آياتٍ مِن سورة أطولَ منها.

ومع ذلك فتركُ إطلاق اسم النثرِ عليه والاستغناءُ بسلب صفةِ الشعر عنه؛ أولى وأفضل، والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٧٦):

لديَّ سؤالٌ عن امرأة أطلقت على نفسها اسمًا في أحد المنتديات العامة، هذا الاسم أثارَ في نفسي نوعًا من الشكِّ من ناحية جوازه من عدمه، والاسم هو «أسيرة القرآن»، فما الحكمُ في ذلك؟ جزاكم الله خير الجزاء ونفعَ بكم وبعلمكم الإسلام والمسلمين.

الجواب:

الحمدُ لله؛ لا ينبغي أن تتسمى بهذا الاسم؛ لأنَّه لفظٌ مُحتملٌ لما يُحمد وما يُذم، فأسيرة القرآن تعني أنَّ القرآنَ أسرها، وما معنى أنَّ القرآنَ أسرَها؟ هل ذلك على وجه التبرُّمِ بما في القرآن من أوامر ونواهٍ تُقيد الإنسان عن الانطلاق في شهواته، أم أنَّ ذلك مقولٌ على وجه التمدّحِ بالعمل بالقرآن، فيكون ذلك من الإعجاب بالعمل والاغترار، وكلُّ هذا وذاك مذمومٌ.

فالواجبُ تركُ التكلف وتركُ الدعاوى الباطلة التي تحتملُ الغلوَّ والمبالغةَ، نسألُ الله أنْ يهدينا سواءَ السبيل، واللهُ أعلم.

حرر في يوم السبت الرابع عشر من شهر رجب من عام ثلاثة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٧٧):

نحن معلماتٌ ومن ضمن الأنشطة: أن تقوم طالبتان فتسألُ إحداهما وتجيب الأخرى بالقرآن، كقولها: السلامُ عليكم، فتجيب

الأخرى ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس] . فتقولُ الأولى: لا أرى معك طعامًا، فتُجيب: ﴿هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩﴾ [الشعراء] إلخ. وهذه المحاورةُ تُنسب إلى عبد الله بن المبارك مع عجوز لقيَها في الطريق، فهل ذلك العمل جائزٌ؟ وهل تصحُّ القصة؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛ أما بعد: قصةُ المرأة المتكلمة بالقرآن لا تُعرف إلا في بعض كتب الأدب[١]. وإن كانت هذه المرأة قد وُجدت في التأريخ حقيقة؛ فقد ابتدعت في الدين ما ليس منه، فهي مُبتدعة ضالَّة، وفي بدعتها امتهانٌ للقرآن واستعمالٌ له في غير معناه، ونقطع أنها لم تلقَ الإمام ابن المبارك، وإن قُدِّر أنها لقيته فلا بد أن يكون أنكرَ عليها.

والأقربُ أنَّ القصة لا أصلَ لها، بل هي من نسج بعض مُحترفي الأدب، ولا يَستحسنُ طريقة التكلم بالقرآن في التخاطب الذي يكون بين الناس = إلا جاهلٌ، وبناءُ الدين على الاستحسانات هو أصل كل بدعةٍ في الدين، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

وبهذا يتبينُ أنه لا يجوزُ إقامة طالبتين تتحاورْن بالقرآن، فمن فعلَه من معلمة أو طالبة وجبَ الإنكارُ عليه، والله أعلم[٢].

---

(١) ينظر: روضة العقلاء (ص٤٩-٥٠).

(٢) ينظر: شرح العمدة لابن تيمية (٣/ ٦٥٥-٦٥٦).

حرر في يوم الثلاثاء الخامس من شهر شوال من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٧٨):

هل قالَ أحدٌ من أهل العلم: إنَّ القرآن مشتقٌّ من قَرَن (بالنون) قبل أبي الحسن الأشعري؟ وهل هذا الاشتقاقُ يعتبر صحيحًا لغةً، إذا ثبت فعلًا أنه لم يقل به ابتداءً إلا الأشعري؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ القرآنُ اسم من أسماء كتابِ الله، بل هو أشهرُ أسمائه وأخصُّها به، وجمهورُ القرَّاء يقرؤونه بالهمزة مِن قرأ، وقرأه ابنُ كثير بحذف الهمزة أو بتسهيل الهمزةِ وحذف الألف[١]، وعلى هذا فقراءةُ ابن كثير راجعةٌ إلى قراءة الجمهورِ معنى واشتقاقًا، فهي مِن قَرَأَ.

وقد ظنَّ بعضهم أنَّ قُران من قَرَن، ووزنه على هذا: فُعَال، وأكثر من ذَكَرَ هذا لا ينسبه إلى معينٍ من العلماء إلا إلى الأشعري، كما في «البرهان»[٢] للزركشي، و«الإتقان»[٣] للسيوطي، وهذا القولُ غلطٌ، وذلك لوجوه:

الأول: أنَّ جمهورَ القرَّاء قرؤوه بالهمز، فردُّ قراءةَ القليل إلى قراءة الأكثر أولى.

---

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع (ص٢٩٢).
(٢) (١/ ٢٧٨).
(٣) (٢/ ٣٤٠).

الثاني: أنَّه لم يأتِ في اللغة مصدر قَرَن على وزن فُعال بضم الفاء، حسبما ذكر في المصادر، فلم يذكروا إلا قَرْنًا وقِرانًا بكسر القاف.

الثالث: أنَّه قد نصَّ بعض أئمة اللغة؛ كالزجاج(١)، وأبي علي الفارسي(٢)، على أنَّ القول بأنَّ قُران من قَرَن سهوٌ من قائله، والله أعلم.

وروى البيهقي في «مناقب الشافعي»(٣)، والخطيبُ البغدادي في «تاريخ بغداد»(٤) عن الإمام الشافعيِّ أنَّه يختارُ قراءة ابن كثير، ويرى أنَّ القُران عَلَمٌ محضٌ على الكتاب العزيز مختصٌّ به وليس منقولًا عن غيره؛ كالتوراة والإنجيل.

وليس هذا بجيدٍ؛ فإنَّه يرد عليه الوجه الأول ممَّا تقدم، وأيضًا: العَلَمُ المشتق أكملُ في الدلالة من العَلَم الجامد؛ فإنَّه يدلُّ على العلمية وزيادة، والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين السادس عشر من شهر رجب من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) نقله عنه الزركشي في البرهان (١/ ٢٧٨)، والسيوطي في الإتقان (٢/ ٣٤٠) ولم نجده في معاني القرآن وإعرابه.
(٢) المسائل الحلبيات (ص٢٩٧).
(٣) (١/ ٢٧٧).
(٤) (٢/ ٤٠٠-٤٠١).

السؤال (٧٩):

ما الذي يجوز من الاقتباس وما لا يجوز منه؟

الجواب:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على محمد، أما بعد: فإن الاقتباس هو تضمينُ الكلام -شعرًا أو نثرًا- شيئًا من القرآن أو من كلام الرسول ﷺ[(١)]، وهو شائعٌ عند الكُتَّاب والشعراء، ولكن العلماء اشترطوا شروطًا لما يصح من الاقتباس، منها ما يرجع إلى حقيقته، ومن ذلك:

الأول: ألَّا يكون في الكلام ما يدل على أن المقتبَس من القرآن أو الحديث، كقال الله أو قال الرسول ﷺ.

الثاني: أن ينتظم المقتبَسُ مع سياق الكلام، بحيث لا يكون منفصلًا كجملة اعتراضيَّة أو مستأنفة.

ومن الشروط ما يعود إلى حكم الاقتباس[(٢)]، ومنها:

الأول: سلامة الغرض من الاقتباس، ممَّا ينافي حرمة القرآن، كالسُّخرية وقصد الإضحاك.

الثاني: سلامة الكلام أو الشعر المقتبَس فيه من الأغراض التي تستدعي كلمات لا يليق مجاورة جملة القرآن لها، كالغزل والمدح المفرط والهجاء المسرف.

الثالث: ألَّا يلزم من الاقتباس زيادةٌ أو نقصٌ في المقتبَس تغير معناه أو تضاد معناه.

---

(١) ينظر: عروس الأفراح (٢/ ٣٣٢).

(٢) ينظر بعض هذه الشروط في: شرح الكافية البديعية (ص٣٢٦).

الرابع: ألَّا يؤديَ الاقتباس إلى تصيير المقتبَس من القرآن شعرًا، كما في قول دِعْبِل الخُزاعي[(١)]:

ويُخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنينا[(٢)]

وبعد: فالواجب على المؤمنين من الشعراء والكُتَّاب وغيرهم تعظيم كلام الله وصيانته عن كلِّ ما ينافي حرمته من الأقوال والأفعال، هدانا الله للقرآن وبالقرآن صراطه المستقيم. والله أعلم.

حُرِّر في يوم الأربعاء السابع من شهر ربيع الأوَّل من عام ثلاثة وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٠):

مع ظهور ما يسمَّى بـ«رسائل التَّهنئة» عبر وسائل الاتصال، ومع مطلع هذا الشَّهر المبارك -رمضان- أرسلَ إليَّ أحدُ الأصدقاء هذه الرسالة: «فَمَنْ شَهِدَ منكمُ الودَّ فَلْيَصُنْه»، فهل في هذه العبارة إشكال؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أمَّا بعد:

---

(١) هو دِعْبِل بن علي بن رزين أبو علي الخزاعي، كان شاعرا مجيدًا، إلاَّ أنه كان من غلاة الشيعة، بَذيء اللسان مولعًا بالهجو والحطِّ من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم، له ديوان مشهور، وكتاب «طبقات الشعراء»، ولد سنة (١٤٨هـ) ومات سنة (٢٤٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٩).

(٢) شعر دعبل بن علي الخزاعي (ص٢٥٧).

فهذا قولٌ منكرٌ، وليسَ هو مِن نوع الاقتباس الجائز؛ لأنَّه مضاهاةٌ لنصٍّ مِن نصوص القرآن، وتركيبٌ يضاهَى به قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكلُّ مسلمٍ يسمعُ هذه العبارة فإنَّه يَشمئِزُّ منها قلبُه، وينبو سمعُه، وربَّما اقشعرَّ جلدُه؛ لأنَّه عند سماعها يتذكَّرُ القرآن، فيَستشنعُ أن يُصاغَ قولٌ يضاهَى به كلام الله في حكم فريضة مِن فرائضه، فالواجبُ على المسلم الأدبُ مع كلام الله وتعظيمه، فإنَّ تعظيمه مِن تعظيم الله لأنَّه كلامُه، فالحذر الحذر؛ فإنَّ كلَّ لفظٍ يقوله العبدُ مستَطَرٌ، والله عند قلب كلّ عبد ولسانِه بعلمه وسمعه، والله أعلم.

حُرّر في يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨١):

قال أحدُ الكتاب: «غالبيةُ كتاباتي تدعوكم إلى القوّة والاتّزان، والاعتزاز والحبّ، والنَّقاء والعطاء والتَّسامح، مَن كانت هذه المعاني تعنيه فسوفَ يرتعُ في حسابي بين جنَّات ونَهر». فردَّ عليه أحدُهم قائلًا: «في مقعدِ صدقٍ عندَ أديبٍ مقتدر». فهل هذا يجوزُ هذا الاقتباس مِن الطَّرفين؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، أمَّا بعد:

فيُنكَرُ على الأوَّل تزكيته لكلامه وتشبيهه له بالجنَّة التي أُعدتْ للمتَّقين، ويُنكَرُ على الثَّاني تأييده له، وذكرُ الآيتين في هذا السّياق غلوٌّ في الاقتباس، فالواجبُ التَّواضع والتَّوبة والاستغفار، ولزومُ القول السَّديد. والله أعلم.

حرر في يوم السبت السابع من شهر جمادى الآخرة من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٢):

ما حكم استعمال كلمات وردت على ألسنة المشركين والكفار في ضمن كلامنا، وتكون من الجاري مجرى المثل: ارتقيت مرتقى صعبًا، كبيرهم الذي علمهم السّحر؟

الجواب:

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمّا بعد:

فالكلمات الواردة على ألسنة المشركين والكفار إذا لم تتضمّن معنى محرّمًا مِن معاني الشّرك والفسوق والعصيان: فلا بأس باستعمالها، وإن اشتملت على شيء محرّم، ولكنّها موافقة لمضرب المثل: فلا بأس باستعمالها لمطابقتها، ولا سيما إذا اشتهرت على الألسنة، فقول فرعون «كبيرهم الذي علّمهم السّحر»: كلامٌ باطلٌ مبنيّ على تكذيب فرعون

لموسى، فلا يجوز استعمال هذه المقولة في حقّ مسلم، لكن تُقال لِمَن كان إمامًا في الضّلالة؛ مِن فاجر ومبتدع ونحوهما.

وأمّا مقولة «ارتقيتَ مرتقى صعبًا» وهي في الأصل كلمة لأبي جهل قالها لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قتله[١]: فلا بأس باستعمالها فيما تصدق فيه، كمَن أراد أن يتطاول على عالم أو صالح بالطّعن فيه؛ فإنّه قد يُقال فيه: ارتقيتَ مرتقى صعبًا؛ فإنّ هذا المثل يمكن استعماله في الحسيَّات والمعنويات، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد التاسع عشر من شهر ربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٣):

فضيلة الشيخ، أحسن الله إليكم ونفعَ بعلمكم: يتحرَّجُ بعضُ البلاغيين الذين يدرِّسون بلاغةَ القرآنِ الكريم من إسناد أفعال الأساليب البلاغيةِ إلى الله جل جلاله، كأن يُقال في أسلوب الخبر: أخبرَ اللهُ، وفي أسلوب التشبيه: شبَّه اللهُ، وفي أسلوب المقابلة: قابلَ اللهُ؛ فهل في ذلك حرجٌ؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فإنَّ كلَّ فعل من الأفعال القوليةِ دلَّ القرآن على لفظه أو معناه فإنَّه يجوزُ

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦٣٦).

إسناده إلى الله، مثل: أَمَر، ونهى، وأوجبَ، ومنع، ومنه: نبَّأ، وأخبر، وكذلك كل ما أضافه الله إلى نفسه من الأفعال؛ مثل: أضلَّ وهدى، وأضحكَ وأبكى، وأغنى وأقنى، وكذلك ما جاءَ في السنَّة؛ مثل: يخفضُ ويرفع.

وممَّا وردَ معناه دون لفظه: شبَّه، وقابَل، كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ [النحل: ٧٥]، وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ [الزمر: ٢٩]، وقد تضمنهما -أعني التشبيه والمقابلة- قولُه تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]، فنقول في التفسير: شبَّه اللهُ الكافرَ بالأعمى والأصم، والمؤمنَ بالبصيرِ والسميع، وقابلَ سبحانه بين الأعمى والأصم والبصيرِ والسميع.

أما ما لم يدل القرآن على إثباته ولا نفيِه ففيه تفصيلٌ؛ فيُقال: كلُّ ما دلَّ على كمالٍ لا نقصَ فيه فإنَّه يجوزُ إسناده إلى الله، مثل: عطَف على عباده. وكلُّ ما دلَّ على نقص فلا تجوزُ إضافته إلى الله؛ مثل: حاولَ، وفكَّر، واجتهدَ، وأشفق، وكذلك ما أوهمَ نقصًا؛ مثل: تجوَّز واستعار.

وأما ما سوى ذلك مما لم يدلَّ دليلٌ على إثباته ولا نفيه، فيجبُ الإمساك عن إثباته ونفيه؛ مثل: نطَق، ويُغْني عنها: تكلَّم، واللهُ أعلم(١).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم الخميس الأول من شهر رمضان من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر مزيد بيان في: (ص ١٤٧).

السؤال (٨٤):

ما حكمُ إطلاق «التعبير القرآني» على آياتِ القرآن؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ العبارةُ: هي الصيغة التي يُدل بها على معنى من المعاني الخبرية أو الطلبية، والتعبير: هو فعلُ المُتكلِّم، يُقال: «عبَّر عن كذا»، ومدخولُ الباء هو اللفظ، ومدخول «عن» هو المعنى، والتعبيرُ يُضاف إلى المُتكلِّم المعيَّن أو جنس أهل اللسان، يُقال: «هذا تعبيرُ فلان» أو «تعبيرُ العرب»، ويُدلُّ على الإضافة الثانيةِ بالوصف النَّسَبي، فتقول: «التعبير العربي»، وقد يُضاف التعبير مجازًا إلى اللسان المتكلَّم به، أو إلى نوع من الكلام، تقول: «تعبيرُ اللسان العربي»، و«تعبيرُ القرآن»، وهذا التنوعُ في الإضافة راجعٌ إلى أن «التعبير» مصدر يُضافُ تارة إلى المتكلِّم الدالِّ بلفظه عن مراده، وإلى المتكلَّم به من باب إطلاقِ المصدر على اسمِ المفعول.

يبقى: هل تجوز إضافةُ «التعبير» إلى الله وإلى القرآن، فتقول: «عبَّر سبحانه بكذا»، و«عبَّر القرآن بكذا»، أو تقول: «التعبيرُ الإلهي» و«التعبير القرآني»، كما تقول: «أمرَ اللهُ بكذا» و«أمرَ القرآن بكذا»؟

والجواب: أنَّ المُتأمِّلَ لكلام العلماء من المُفسرين وغيرهم يرى استعمالَهم هذا اللفظ، لاسيما المُتأخرين(١)، ممَّا يدلُّ على أنَّه لا حرجَ فيه عندهم؛ لأنَّه لفظٌ يدل على معنىً صحيح، فإنَّ التعبير هو الدلالةُ

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٢٥)، والتفسير البسيط (١٥/ ٥٢٣)، (٢٠/ ٧٦).

على المعنى المراد بما يُناسب من نوع الجملِ والكلمات، واللهُ تعالى قد دلَّ عباده بكلامه على مرادِه الذي أنزله.

وإذْ لم يرِدْ لفظُ التعبير مُضافًا إلى الله في شيء من النصوص فالأولى العدولُ عنه إلى الألفاظِ الواردة؛ مثل: «ذكر»، و«بيَّن»، و«قدم»، و«أخَّرَ» و«أظهرَ»، و«أخفى»، وهذا هو الغالبُ في كلام المتقدِّمين من العلماء.

حرر في يوم الاثنين التاسع من شهر رجب من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٥):

أنكرَ بعضُ طلاب العلم عبارة: «حديثُ القرآن عن كذا» في تسمية بعضِ البحوث العلمية، كمثل: حديثِ القرآن عن القرآن، وحديثِ القرآن عن الصحابة، زعمًا أنَّ هذا من إسناد الفعلِ إلى القرآن، وقال: إنَّ العلماء بحثوا مسألةَ إسناد الأفعال إلى القرآن، -قال: القرآن- ومنعوا منها؛ ذلك لأنَّها تُوحي برأي المعتزلة في القرآن، وأنَّه مخلوقٌ. اهـ، فما قولكم في ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فإنَّ إسنادَ الأفعال إلى القرآن كثيرٌ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء]، وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾﴾ [الجن]، وقوله: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧] أي: وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم فيهن.

ونظير هذا إضافة الكلام إلى السلطان المنزَّل في قوله: ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم]، وكقوله تعالى عن كتابِ الأعمال: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون]، وقوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

ومثل إسناد الفعل إسنادُ اسم الفاعل في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد وردَ في كلام العلماء: أَمر القرآن، ونطقَ القرآن والكتاب، وما أشبهَ ذلك، كقول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «خلقِ أفعال العباد»[(١)]: «تواترت الأخبارُ عن النبي ﷺ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأن أمره قبل خلقه،

---

(١) (٢/ ١١٢).

وبه نطقَ الكتاب»، وقولُ عبد الله بن المبارك: «إذا نطقَ الكتاب بشيء وإذا جاءَت الآثارُ بشيء جسرنا عليه...» الخبر، رواه اللالكائي في «شرح أصولِ اعتقاد أهلِ السنَّة»[(١)]، وقولِ ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى»[(٢)]: «فبهذا العلمِ من النجوم نطقَ الكتاب ومضت السنة»، وقولِ شيخِ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى»[(٣)]: «فإنَّ الخوارجَ خالفوا السنَّة التي أمر القرآن باتباعها، وكفَّروا المؤمنين الذين أمرَ القرآن بموالاتهم»، وقولِ ابن القيم في «الصواعق المُرسلة»[(٤)]: «وقد نطقَ القرآنُ والسنَّة بذكر اليد مضافةً إليه سبحانه مفردة ومثناةً ومجموعة». وكلامُهم في مثل هذا كثيرٌ، والبحثُ عنه مُتيسِّرٌ.

هذا؛ ويشهدُ لما تقدم ما ورد في القرآن من إسناد الأمرِ والنهي إلى أمور معنويةٍ، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ [البقرة: ٩٣]، وقوله عن قوم شعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فعُلَمَ ممَّا تقدم كلِّه جوازُ إسنادِ الأفعال إلى القرآن، وعليه فيصحُّ أن تقول: أحلَّ القرآن كذا، وحرَّم كذا، وأمر ونهى، وأخبرَ بكذا، ومثله: تحدَّث عن كذا، ومثله: حديثُ القرآن عن كذا، ومعنى هذا كلِّه أنَّ القرآن تضمَّن هذه المعاني من الأمر والنهي، والإحلالِ والتحريم، والإخبار.

---

(١) (٣/ ٤٧٨ رقم ٧٣٧).
(٢) (٣/ ٢٤٤ رقم ١٢٨٢).
(٣) (١٣/ ٢١٠).
(٤) (١/ ٢٥٦).

هذا؛ وما ذُكرَ في السؤال من دعوى أنَّ العلماء منعوا من ذلك فهي دعوى باطلة لا مستندَ لها، وهي مردودةٌ بما تقدَّمَ من الأدلة، ولم يذكر المدَّعي شاهدًا عليه من قول أحدٍ من أهل العلم، واللهُ أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٦):

ما قولُكم -حفظكم الله- في إطلاق مصطلح «لزوم ما لا يلزم» على آيات القرآن؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد:

من أنواع البديعِ عند البلاغيين لزومُ ما لا يلزم -وهو أن يجيءَ قبل حرف الروي (في الشعر) وما في معناه من الفاصلة (في النثر) ما ليس بلازم[١]- وهو لا ريب فنٌّ بديع، يدلُّ على مقدرة الكاتب والشاعر، وسمي ذلك لزومُ ما لا يلزم؛ لأنَّ الشاعرَ أو الناثر يُلزمُ نفسه إلزامًا فنيًّا، وإنْ كان لا يلزمه حسب أصولِ الشعر والنثر، فيكسب الكلام جمالًا، وهو كذلك يدلُّ على مقدرة الشاعر أو الكاتب، ولا تظهرُ هذه المقدرة في بيتين أو ثلاثة أو جمل قليلة، بل لا يظهرُ أثرُ هذا الفن إلا مع طول

(١) ينظر: عروس الأفراح (٢/ ٣٠٧).

النفس، كما فعلَ المعري في ديوانه «اللزوميات»[(١)]، ولكن ادَّعى قومٌ وجود هذا النوع البديعيِّ في القرآن، وذكروا أنَّ منه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى]، وهذا غلطٌ لوجوه:

الأول: أنَّ لفظ اللزومِ لا يليقُ في جانب الله، فيُقال: يلزمُ أن يقول كذا، ولا يلزمُ أن يقول كذا.

الثاني: أنَّ قولهم لزومُ ما لا يلزم يُشعرُ بإرادة المُتكلِّم أن يكون اللفظُ على هذا النحو، ولا يجوزُ الجزمُ بأنَّ اللهَ أرادَ هذا التناسبُ بين تلك الجمل.

الثالث: أنَّه قليلٌ، فلم يجئ إلا في جمل يسيرةٍ، فلا يصدقُ عليه معنى لزومِ المُتكلِّم له. والله أعلم.

حرر في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٨٧):

سمعت بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] يقول: إن هذا من باب الشيء بالشيء

(١) سماه المعري في المقدمة: «لزوم ما لا يلزم»، وطبع بعنوان: «اللزوميات وشرح اللزوميات»، ومن أحسن طبعاته: طبعة الهيئة المصرية للكتاب بإشراف: حسين نصَّار في ثلاثة أجزاء، وطبعة دار النوادر في جزئين بتحقيق: أمين عبد العزيز.

يذكر، ولم أطمئن لهذه العبارة، ثم راجعت بعض كتب التفسير، فوجدت من المفسرين من يذكرها عند بعض الآيات، ولعلمي بحرصكم -جزاكم الله خيرًا- على العناية بالأساليب الصحيحةِ، والتحذير مِن ضدِّها، خصوصًا فيما يُضاف إلى الله تعالى، فإنِّي أسألكم عن الكلمة المذكورةِ، فما تقولون فيها؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فالذي أَراهُ في ذِكر هذه المقولة عند تفسير الآية المذكورة أو غيرها من الآيات، أنَّها من الكلام المُجمل الذي لا ينبغي إطلاقه؛ لاحتماله حقًّا وباطلا؛ فإنّ قوله: «يُذكر» قد يُراد به التَّذكر، وهذا المعنى لا يجوز إضافته إلى الله.

وقد يراد به ذِكْر الشيء مع الشيء المناسبِ له، وهذا المعنى صحيح، فهو تعالى يَذْكر المعاني المتناسبة بعضَها مع بعض؛ فإنَّ هذا من الحكمة في القول، ولعله يدخلُ في الاستطراد، الذي هو نوعٌ من أنواع البديع المعنوي المعروفِ عند البلاغيين[١].

ولعل من أوردَ العبارةَ المذكورة مِن الفضلاء يريد المعنى الثاني[٢]، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) تنظر: (ص ١٥٨).

(٢) ينظر: حاشية السيوطي على البيضاوي (٢/ ١٨٣)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٢).

السؤال (٨٨):

يقولُ ابنُ تيمية عن البديعِ الموجود في القرآن: «ما يُوجد في القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف]، و﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾ [العاديات: ١١]، ونحو ذلك، فلم يتكلَّف لأجل التجانس، بل هذا تابعٌ غير مقصود بالقصد الأول، كما يوجدُ في القرآن من أوزان الشعرِ ولم يقصدْ به الشعر، كقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]...» منهاج السنة: (٨/ ٥٣).

السؤال: هل يصحُّ أنْ يُقال عن شيء في القرآن: إنَّه غير مقصودٍ لذاته، وهو صادرٌ من الله؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ من المتقرِّر أنَّ مذهبَ أهلِ السنَّة والجماعة في كلام الله أنَّه سبحانه يتكلم بمشيئةٍ؛ فكلُّ ما يتكلمُ الله به فإنَّه صادرٌ عن إرادته، فكلُّ حرف أو كلمةٍ أو جملة في القرآن فاللهُ قد أرادَ التكلمَ بها.

وقد أرادَ سبحانه أن يكون هذا القرآنُ باللسان العربي، كما قالَ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [الدخان]، لذلك جاءَ القرآن موافقًا لقواعد لسان العربِ في إعرابه وتراكيبه، ودلالات مفرداتِه وتراكيبه.

وأما كونُ هذه الدلالات مرادةً لله ففيه تفصيلٌ؛ فمنها ما يُعلمُ أنَّه مرادٌ، مثل ما تدلُّ عليه أخبارُ القرآن، وما تدلُّ عليه أوامرُه ونواهيه، وكذلك كلُّ المعاني المتعلقة بالمقصود من الأخبارِ أو الشرائع، ومن ذلك:

- التقديمُ المفيد للحصر، كقولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢﴾ [آل عمران].

- ومنه الترتيبُ الزمني في بعض الأخبار، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ [الحج].

- ومنها التشبيهُ في أمثال القرآن، ونظائر ذلك كثير.

ومنها ما يُعلمُ أنَّه غير مرادٍ لله، كالآيات التي ذكرها الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من جهة موافقتها لبعض أوزانِ الشعر، لذلك لا يجوز أن يُقال: إنَّ في القرآن ما هو شعر، كما يقعُ في كلام بعض الناس ما يُوافق أوزان الشعرِ ولا يكون مقصودًا للقائل.

وكما لا يقال: إنَّ في القرآن ما هو شعرٌ؛ كذلك لا يقال: إنَّ الرسولَ ﷺ قالَ بعضَ الشعر، لقولِه ﷺ: «**أنا النبيُّ لا كذِب، أنا ابن عبدِ المطلب**»[(١)]؛ فإنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يقصدْ ما يقصده الشاعر من وزن كلامه[(٢)]، وهذا يشبهُ السجعَ غيرَ المُتكلف، بل غير المقصود، كقول الرسولِ ﷺ: «**قضاءُ الله أحقُّ، وشرطُ اللهِ أوثق، وإنَّما الولاءُ لمن أعتق**»[(٣)].

وأما ما يذكرُه البلاغيون والنحويون من علل التراكيب، تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا، وفصلًا ووصلًا؛ فمنها ما يُعلمُ أنَّه مرادٌ لله، ومنها ما يُعلم أنَّه غير مراد، ومنها ما لا يُجزمُ فيه بشيء، ولهذا فإنَّ من الغلط الجزمُ بإضافة كلِّ ما يُذكرُ من النكت البلاغيةِ في المفردات

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: فتح الباري (٨/ ٣١)، (١٠/ ٥٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (٢١٦٨) -واللفظ له-، ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

والجملِ إلى الله تعالى، فإنَّ منها ما يُعلم أنَّه مُرادٌ، مثل فواصلِ الآيات، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ [طه]، وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ [عبس].

ومنها ما يُعلمُ أنَّه غير مرادٍ لله، مثل كثيرٍ من وجوه البديع، مثل القلب؛ كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ومنه بعضُ مواضعَ من الجناس التامِّ وغير التام، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ [العاديات: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، ومثلها قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر] مع قوله: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ [المدثر]، على القول بأنَّ البشرَ في الآية الأولى جمعُ بشرة[1]، والظاهرُ فيها أنَّ المرادَ تناسبُ فواصل الآيات.

وخلاصةُ القول في هذا: أنَّ ما دلَّ الدليل على أنَّه مرادٌ لله -ممَّا يتعلَّق باللفظ أو المعنى- قيل: إنَّه مرادٌ لله، وما دلَّ الدليلُ على أنَّه ليس مرادًا لله لم يجزْ أن يقال: إنَّ الله أراد بهذا اللفظِ أو النظم كذا، وهكذا ما لم يدلَّ دليلٌ على أنَّه مراد أو غير مرادٍ لا يجوز أن يقال فيه: إنَّه تعالى أراد بهذا اللفظِ معنىً من المعاني الاصطلاحية والنكات البلاغية. والدليلُ على الإثبات في هذا أو النفي قد يكون مفهومًا من الآية التي فيها البحثُ، وقد يكون خارجيًا، مثل ما يرجع إلى ما يليقُ بالله، وما لا يليقُ بالله، كما في الشواهدِ المتقدمة. واللهُ أعلم.

***

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٣٣)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٧).

السؤال (٨٩):

أثبتَ جمهورُ العلماء أسلوب المساواة في القرآن، واستدلوا على ذلك بآيات كثيرة، كقولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ﴾ [فاطر: ٤٣] إلى غير ذلك من الآيات، ولكن بعض المعاصرين أنكرها في القرآن، واستدلَّ بقول ابن يعقوب المغربي[(١)] كما في «شروح التلخيص»[(٢)]. فما القولُ الصحيح في ذلك؟ وهل في إثبات المساواةِ في القرآنِ من حرج؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إذا كان من المعلوم أنَّ البلاغة مُطابقة الكلام لمُقتضى الحال مع فصاحتِه، وأنَّ الكلامَ باعتبار نسبة الألفاظِ إلى المعاني ينقسم إلى: إيجازٍ، وإطناب، ومساواةٍ، فإنَّ ذلك يقتضي أن يكون كلٌّ منها في موضعه هو البلاغةُ وفي غير موضعه خلافَ البلاغة.

وبهذا يُعلم أنَّ المساواة قد تكون مقبولةً وقد لا تكون كذلك، كما استظهره ابنُ يعقوب من كلام الخطيبِ القزويني[(٣)].

---

(١) ابن يعقوب المغربي: أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي: نسبة لقبيلة بني ولال بالمغرب، أخذ عن محمد بن عبد الله السوسي، وانتصب للتدريس على عهد السلطان إسماعيل بقصبة فزانة، وله مصنفات كثيرة في فنون شتى منها: «شرح التلخيص»، و«شرح لامية الأفعال»، توفي سنة (١١٢٨هـ). ينظر: شجرة النور (١/ ٤٧٨ رقم ١٣١٥)، والأعلام (١/ ٢٤١).

(٢) (٣/ ١٧٠).

(٣) ينظر: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص (٣/ ١٧٠).

وعلى هذا: فما ذهبَ إليه السَّكَّاكي في المساواة من أنها لا تحمدُ ولا تذمُّ[(١)] فليست من البلاغة في شيء، وما ذهبَ إليه ابنُ الأثير[(٢)] من نفي المساواة؛ إذ لا واسطةَ بين الإيجاز والإطنابِ عنده = كلاهما مذهبٌ ضعيف.

وإذا كانت المساواةُ في محلها من أساليب البلاغةِ فلا مانع من وجودها في القرآن كما هي موجودةٌ في كلام العربِ، والمنازعة في الأمثلة لا تُوجب المنازعةَ في وجود المساواة في القرآن، فتعيينُ نوع الأسلوب في مثال من الأمثلة يرجعُ إلى تصور من استشهدَ به، والله أعلم.

***

السؤال (٩٠):

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف] ما اختيارُ فضيلتكم في هذه الآية؛ هل هي في آدم وحواء؟ أم في ذريتهما؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الصواب: أنَّ المرادَ الشِّركُ الواقعُ من ذريتهما -والله أعلم- لكن في سياق الآية انتقالٌ من ذِكرِ الشخص إلى الجنس[(٣)]؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾ [المؤمنون]، أراد آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ثم انتقلَ إلى الإخبار عن الذرية؛ فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون].

---

(١) المفتاح (ص٣٨٧).
(٢) ينظر: المثل السائر (٢/ ٣٨٣)، وعروس الأفراح (١/ ٥٧٩).
(٣) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (ص٣٩٨)، وروضة المحبين (ص٤٠٤).

وهذا في القرآن كثيرٌ؛ أعني الانتقال من الشخص المعين إلى الجنس؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ أي آدم وحواء، ثم انتقلَ السياق إلى الإخبار عن الجنس؛ فقال: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف]، ثم اتصل الكلام: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف] فهذا كله ليس في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه قطعًا[١]، والله أعلم.

***

السؤال (٩١):

يُعبِّر كثير من المفسرين والبلاغيين بمصطلح الاستطراد عند تفصيل الأخبار وذكر الوعد والوعيد في القرآن، فهل هذا التعبير لائق بكتاب الله؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الاستطرادُ من مصطلحات الألفاظ عند أهل البلاغةِ ويعده كثيرٌ منهم من أنواع البديع المعنوي، إذن هو من محاسن الكلام، ويُفسِّرونه بالانتقال مِن معنى إلى معنًى، قال بعضهم: لم يُقصد بالأول التوصل بالثاني[٢]، وهذا القيد غير مطَّردٍ في أنواع الاستطراد، ولكن الاستطراد المعدود مِن محاسن الكلامِ هو الانتقال الذي يقتضيه المقام،

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٢٨-٦٢٩)، وابن كثير (٣/ ٥٢٨).
(٢) ينظر: الإيضاح (ص٢٦٤)، وعروس الأفراح (٢/ ٢٣٩).

ويكون فيه بين المعنَيين مناسبة، وبحسب اقتضاءِ المقام لذكر المعنى الثاني ومناسبته للمعنى الأول؛ يكون حسنُ الاستطرادِ، ومتى خلا هذا الكلامُ عن هذين الأمرين كان الكلام خروجًا عن الموضوع من غير مُوجِب، وحينئذٍ فلا يسمى استطرادًا حسب اصطلاح البلاغيين، أو يُسمَّى استطرادًا لا وجه له.

وكلُّ ما في القرآن ممَّا يُعدُّ استطرادًا فهو من أحسن أنواعِ الاستطراد؛ كالانتقال من ذكر الشخص إلى النوع، أو من ذكر الشيء إلى لازمه، أو ما يكونُ للاحتراز؛ فالأول كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣﴾ [المؤمنون]، والثاني كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم]، والثالث كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١].

وبهذا يتبين أنَّه لا حرجَ في إطلاق هذا المصطلحِ على ما وردَ في القرآن من هذا النوعِ من الكلام، والله أعلم[١].

***

السؤال (٩٢):

آيات ادُّعِيَ أنَّ فيها مبالغة بديعية؟ فما قولكم في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، أما بعد:

---

(١) ينظر: الإتقان (٥/ ١٨٤٢).

ليس في القرآن ولا السنَّة ما هو من قبيل المبالغة؛ لأنَّ معنى المُبالغة عند البلاغيين: التعبير عن الشيء بخلاف ما هو عليه؛ بادعاء بلوغِه في الوصف حدًّا مستحيلًا أو مستبعدًا، مدحًا أو ذمًّا، أو وعدًا أو وعيدًا. فالمُبالغة تكون بالتهويل تعظيمًا للحقير وتحقيرًا للعظيم، وكلامُ الله ورسولِه منزَّهٌ عن ذلك، ولا يدخل في نفي المبالغة عن القرآن والسنة صيغ المبالغة في الصرف كفعَّال، وفعول، وفعيل. فإنها تدل على كثرة الفعل من الفاعل أو كمال الوصف في الموصوف، ومن ذلك في أسماء الله: الغفَّار والرزَّاق والتوَّاب والغفور والشكور والحسيب والرقيب، والتعبير عن هذا النوع من الألفاظ بصيغة مبالغة؛ محض اصطلاح لأهل الصرف، لأنه ليس فيه من معنى المبالغة شيء.

حرر في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩٣):

قرأتُ أنَّ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود] صيغةُ مبالغة. فكيف يصحُّ ذلك في صفات الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، أما بعد:

القول بأنَّ (فعَّالًا) و(فَعُولًا) و (فَعِيلًا) صيغةُ مبالغة اصطلاحٌ لأهل اللغة؛ لأنها تدل على كثرة الفعل؛ مثل: (قتَّال) و(أَكُول) و(سَمِيع)،

فهي أبلغُ من (قاتِل) و(آكِل) و(سامِع)، ولا يقصدون بذلك تجاوز الواقع في الوصف.

فإذا قيل في أسماء الله مثل: (غفورٌ) و(غفارٌ) و(رحيمٌ بالمؤمنين) إنَّها صيغُ مبالغةٍ، فالمراد أنَّها صيغ تدلُّ على كثرة الفعل، فهي أدلُّ على ذلك من (غافر) و(راحم)، بل (غفارٌ) أدلُّ على الكثرة من (غفور).

ووصفه تعالى بأنه فعَّالٌ لما يريد يدلُّ على كمال قدرتِه على أفعاله، فكلُّ ما أراده فعَلَه، فلا يعجزه شيءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ذي الحجة من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩٤):

ما حكمُ إطلاق هذه العباراتِ في القرآن: الموسيقى، النغم، الإيقاع، والقافية؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمَّد؛ أما بعد:

فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ نزَّه كتابه عن أن يكون شعرًا وأن يكون نبيه شاعرًا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٖ﴾ [الحاقة]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، فلا يجوز التعبير عن حسن بيان القرآن وتناسب آياته وأوائل السور وخواتيمها؛ لا يجوزُ التعبير عن ذلك بالمصطلحات المستعملةِ في فن الشعرِ والغناء: كالموسيقى، والنغم، والإيقاع، والقافية؛ فإنَّ ذلك يتضمنُ تشبيهَ القرآنِ بالشعر الذي نفاه الله عن كتابه وعن رسولِه ﷺ.

مع العلم بأنَّ الموسيقى والنغم والإيقاع من صفات الأصواتِ، وليست من أوصاف الألفاظِ والكلمات، وفي اللغة العربية سعةٌ، ففيها من الألفاظ التي يُستغنى بها عن استعمال هذه المُصطلحات التي لا يليق إطلاقُها في القرآن.

وممَّا يُغني عن ذلك: التنبيهُ إلى ما في الآيات من التشبيهات الحَسَنة والمُحسِّنات البديعية: كالجناس، والسَّجع، والطباق، والمقابلة، ومناسبةِ الألفاظ لمعانيها. والله أعلم.

حرر في يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩٥):

يجنحُ جمهورُ أهل العربية والتفسير إلى تأويل ما يَرِدُ في النصوص من «أفعل التفضيل» الموصوفِ به الله تعالى، كقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧]، فيقولون: وهو هينٌ، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق]؛ أي: عالم، فما سببُ ذلك، وكيف ترونه؟ حفظكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ من المتقرِّرِ عند الجميع أنَّ الأصل في أَفْعَل التفضيل أنه يدل على اشتراك المفضَّل والمفضّل عليه في أصل المعنى. ومنه ما لا يوجد في المفضَّل عليه مِنه شيء، وهو ما يُقال فيه: «إنه على غير بابه»؛

كقوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان][١].

وما يُوصف الله به بصيغة أفعل التفضيل:

منه ما يثبتُ فيه الوصف للطرفين مع التفاضل فيكونُ جاريًا على الأصل، كما تقول: اللهُ أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وهو خيرُ الناصرين وخير الرازقين، وما أشبهَ ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانشقاق]، فإن الملائكة تعلم من أعمال العباد ما شاء الله، واللهُ أعلم بما يكتمون وما يجمعون، فأفعلُ التفضيل على بابه، وتفسير من فسره بـ(عالم) عدول عن مدلول الصيغة، ومنه قوله ﷺ: «**إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[٢].

ومن أفعل التفضيلِ المُضاف إلى الله ما ليس على بابه لعدم التفاوت في الوصف، وهو قليلٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ لأنَّه لا تفاضل في قدرة الله على كبيرٍ ولا صغير، فالكل عليه هيِّن، وكذا بدْأُ الخلق وإعادته، فليس الله على الإعادة بأقدرَ منه على البدء، فليس أحدهما بأهون على الله من الآخر، بل الكلُّ هينٌ، ولذلك قال بعض المفسرين: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: هين[٣].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل (٣/ ١٨٢-١٨٣).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (١٩٥٩٩) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي مسلم (٢٧٠٤-٤٦) بلفظ: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**».

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٥)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٢).

ومن المفسرين من قال: إنّ أفعل التفضيل جيءَ به مراعاةً لعُرف المخاطبين؛ وهو أنَّ الإعادةَ أهونُ من البداية(١).

وهذا هو الغالبُ، وإلا فقد تكون البداية أهونُ، وقد جاءَ في الحديث القدسي: «**وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته**»(٢)، والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الأولى من عام تسعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩٦):

لماذا يتكلمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآنِ الكريم بصيغة الجمع، مثال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، لماذا «نحن» أفتونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن القرآن نزلَ بلسان عربيٍّ مبين، ومن أساليب اللغة العربية أنَّ صيغة الجمع يتكلمُ بها الواحد الذي له شركاء فتدلُّ على الجمع والتعددِ، ويتكلم بها الواحدُ العظيم الذي له صفاتٌ عديدة، فلا تفيدُ تعدد المتكلم، بل هو واحدٌ لكنه عظيم، فالله تعالى في كتابه يُخبر عن نفسه تارةً بصيغة الواحد كقوله لموسى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ [طه]، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨٣)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويذكر نفسه تارةً بصيغة الجمع الدالة على عظمتِه سبحانه وتعدد أسمائه وصفاته، كما في الآية المذكورةِ في السؤال ونظائرها كثير؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ [الفتح]، ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات]؛ فلا تدلُّ هذه على تعددِ الإله بل الإلهُ واحد، ولكنه سبحانه له أسماءٌ كثيرة وكلُّها حسنى، وله صفات كثيرة وكلُّها صفاتُ كمال، فهو الإلهُ الحق، وهو واحدٌ لا شريك له، وهو العليُّ العظيم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

حرر في يوم الجمعة العاشر من شهر ذو القعدة من عام سبعة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (٩٧):

أريد أن أسألَ عن تعبير يستخدمُ في ترجمة القرآن الكريم، وهو استخدام لفظ «نحن» في الحديث عن الله سبحانه، مثل ما وردَ في سورة القدر الآية الأولى، وسورةِ الأعراف الآية السابعة وغيرها، أرجو أن تُوضِّحوا لي المقصودَ من لفظة «نحن» هل تعني أنا؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ اللهُ تعالى أنزلَ القرآن بلسان عربيٍّ مبين، فلا بدَّ في فهم القرآن من معرفة قواعد اللسانِ العربي، ومن قواعد اللسان العربي أنَّ المُتكلم يذكر نفسه بصيغة الإفرادِ كأن يقول: أنا، ويذكر نفسه بصيغة الجمعِ إذا كان عظيمًا أو يكون له شركاء، فيذكر نفسه بصيغة الجمع

باعتبار أنَّ له شركاءَ في الأمر الذي يشتركُ معهم فيه، فصيغةُ الجمع إذن يتكلم بها العظيم معبرًا عن نفسه لما له من أسباب العظمةِ، ويتكلَّم بها الواحدُ وله شركاءُ.

واللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الواحدُ الأحد فلا شريكَ له في ربوبيته ولا في إلهيته ولا في أسمائه وصفاته، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يذكرُ نفسه تارةً بصيغة الإفراد الدالة على الوحدانية، ويذكر نفسَه بصيغة الجمع الدالةِ على العظمة وتعددِ الأسماء والصفات.

وبهذا يُعلم أن صيغة الجمع مثل: «إنَّا» و«نحن» لا تدلُّ على تعدد الإله كما يظن الجاهل، وكما يتعلقُ النصراني المثلِّث بهذه الصيغةِ جاهلًا أو ملبِّسًا على من يُجادلهم من المسلمين، فإنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد بيَّن في النصوص الصريحة أنه لا إله غيره، كما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه في خطابه لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، وقالَ ذو النون في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

ولا يجوزُ للعبد أن يُخاطبَ ربَّه إلا بلفظ التوحيدِ بأسمائه، ويقول: يا الله، يا رحمن، يا حيُّ يا قيوم لا إلهَ إلا أنت، وعند ترجمةِ هذا اللفظِ المشتبه؛ لفظ: «إنَّا» و«نحن» يُترجم ويُفسَّر بأنَّه لا يدلُّ على تعدُّد الإله، بل يدلُّ على عظمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، واللهُ أعلم.

***

السؤال (٩٨):

ذكر بعضُ العلماء أنَّ هنالك فرقًا بين الفعلين (نزّل) و(أنزل)، فهل ذلك صحيح؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد؛ أما بعد:

من المشهور عند جماعة من المفسِّرين وأهل اللغة الفرق بين (أنزل) و(نزّل)؛ بأنَّ الإنزالَ لما يأتي دفعة، و(نزّل) لما يأتي متفرقًا متدرجًا(١).

وخالفهم آخرون؛ فقالوا: لا فرقَ بينهما، وإنّ كلًا من الفعلين يأتي في مكان الآخر(٢).

ولكلٍّ منهم استدلالات ببعض الشواهد من القرآن. والظاهر عندي أنّ (نزّل) أخص بالتدريج، و(أنزل) أخص بالجملة والدُّفعة، ولا يلزم من هذا الاطِّرادُ، بل ذلك يوجب أغلبية في الاستعمال، ولا يمنعُ ذلك من تعاقبهما، وهذا فيما إذا وردَ أحدهما غير مقترنٍ بالآخر، فإذا اقترنا في الذكر اختصَّ كل منهما بما هو أخصُّ به، كما في مطلع سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران]، وكما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، والله أعلم.

***

(١) ينظر: التفسير البسيط (٥/ ١٥)، والكشاف (١/ ٥٢٦)، (٢/ ١٦٣).

(٢) ينظر: الحجة للفارسي (٢/ ١٥٨-١٥٩)، والبحر المحيط (١/ ١٦٧)، (٣/ ١٦).

السؤال (٩٩):

كيف يجاب عن شبهة المعتزلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أنَّ (جَعَلَ) في اللغة بمعنى: خلق؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله سلم على من لا نبيَّ بعده، أما بعد:

فهذا قولٌ باطل؛ فـ«جعل» في اللغة تأتي بمعنى «خَلَق»، وليس منه هذه الآية، وتأتي «جعل» بمعان أخرى:

فتأتي في اللغة بمعنى شَرَع؛ تقول: جعلَ فلانٌ يتكلمُ؛ أي: شرعَ وبدأ، وليس في القرآن شيءٌ من ذلك.

وتأتي «جعل» بمعنى: صيّر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ومنه هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

وتأتي «جعل» بمعنى: شرع؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] يعني ما شرعَ من بحيرة ولا سائبةٍ ولا وصيلة.

وتأتي «جعل» بمعنى خلق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرعد: ٣][1].

حرر في يوم السبت الثالث عشر من شهر ربيع الآخر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص٢٢٨-٢٣٠).

السؤال (١٠٠):

لديَّ سؤالٌ يدور حول قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، حيث قال أحدُ العلماء: «جمَعَ لفظ الظلمات ووحّد لفظ النور لكونه أشرف»[١].

هل ارتباطُ الإفرادِ بالتشريف له أصلٌ في العربية، أو له نظائرُ في كلام العرب؟

وهل يمكن الاستدلالُ لهذا القول ببيت المتنبي مثلًا.. لمَّا قال مادحًا سيف الدولة في عيد الأضحى:

فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى
كما كنت فيهم أوحدًا كان أوحدا[٢]

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ المعنى الذي ذكره المُفسرون في حكمة جمع الظلمات وإفرادِ النور راجعٌ إلى أنَّ الظلماتِ طرائقُ الباطل، وهي كثيرة، والنورُ طريق الحق، وهو واحدٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٣]،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩)، وهو خلاف ما قرره في آية البقرة (١/ ٦٨٥) فقال: «لهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة ... إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق، وانتشار الباطل وتفرده وتشعبه».

(٢) ديوانه (ص٣٥٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٢/ ٦١٨)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٠٨-٢١٠).

قالوا: وأما المراد بقوله تعالى: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] فالمرادُ بها شرائعُ الإسلام(١).

وأما ما ذكرتَه من قول بعضهم أنَّ إفرادَ النور لشرفه، فمجردُ الإفراد لا يفيدُ الشرفَ في اللغة العربية، وأما الذي يفيدُ الشرفَ فهو الوصفُ بالوحدة، كما يُقال: وحيد عصره، وفلانٌ أوحدُ أهل زمانه، والله أعلم.

حرر في يوم الجمعة الخامس من شهر محرم من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٣)، وحادي الأرواح (١/ ١٤٧-١٤٨).

القسم الثاني عشر: قواعد في التفسير

السؤال (١٠١):

من قواعد التفسير: «لا يجوزُ حملُ ألفاظِ القرآن على اصطلاحٍ حادث» ويترتبُ على عدم تطبيقها وقوعُ الخطأ في كتاب الله جَلَّوَعَلَا.

المطلوبُ من فضيلتكم التعليقُ عليها من حيث: خطورة إهمالها، ضرورةُ التزام منهج مُفسري السلف، نماذج من هذه الاصطلاحات.

الجواب:

الحمدُ لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وقالَ سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشعراء] فهاتان الآيتان ونحوهما تدلان على أنَّ من أصولِ تفسير القرآن: تفسيرَه بالمعروف من اللسان العربي: اللغةِ العربية، فإنَّها لغةُ القرآن، فلا يُعدَلُ عنها -مع اعتبار دلالة السياق- إلا لدليل آخرَ من السنَّة أو القرآن يُوجب تقييدًا أو تخصيصًا؛ كالمعاني الشرعية: كالصلاة، والزكاةِ، والصوم، والحج.

قالَ ابنُ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «التفسير على أربعةِ أوجه: تفسيرٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعذَر أحدٌ بجهله، وتفسيرٌ لا يعلمُه إلا العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله، من ادَّعى علمه فهو كاذبٌ»[١].

(١) أخرجه بنحوه الطبري في التفسير (١/ ٧٠).

وعلى هذا فتفسيرُ ألفاظ القرآن بمعانٍ اصطلاحية حادثة هو تفسيرٌ له بغير اللسان العربي، ومصدر هذا التفسير إما الجهلُ وإما اتباعُ الهوى، وهو من التفسير بالرأي المحض، وهو خطأٌ قطعًا؛ لأنَّه لا مستندَ له، وهذا يُفضي إلى القول على الله بغير علمٍ، وتفسيرِ كلام الله بغير مرادِه، فيكون من تحريفِ الكلمِ عن مواضعه.

ومن الألفاظ التي فُسِّرت بمعنى اصطلاحيٍّ مُحدَث: «التأويل» في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]؛ فقد قيل: إنَّه صرفُ اللفظ عن الاحتمالِ الراجح إلى احتمالٍ مرجوح!

ومنها: «الخلقُ» عند الفلاسفة؛ فإنَّهم يُفسِّرونه بصدور المعلولِ عن العلة التامة؛ ليتفقَ ذلك مع قولهم بقدمِ العالم[(١)]، وهذا خلافُ معناه في اللغةِ والشرع، فإنَّ الخلق يأتي لمعنيين: التقدير، والإيجاد، أي إحداثُ الشيء بعد عدمِه، وإخراجُه من العدمِ إلى الوجود[(٢)].

وحكم السنَّة في ذلك حكم القرآن، وممَّا وقعَ من الخطأ في تفسير السُّنَّة لفظ: «القضاء» في قوله ﷺ: «**وما فاتكم فاقضوا**»[(٣)] فسَّره بعضهم بالقضاء عند الأصوليين، وهو فعلُ العبادة بعد خروجِ وقتها أو فوات محلها، وبنوا على ذلك أنَّ ما يدركه المسبوق آخرُ صلاته وما يأتي به بعدُ أولُها[(٤)]، والقضاءُ في لسان الشرع هو الفراغ من الفعل مطلقًا، كما

---

(١) ينظر في الرد عليهم: درء التعارض (١/ ٣٥١)، ومنهاج السنة (١/ ١٤٨).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٧٢٥٠)، والنسائي (٨٦١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٢١٤٥) والضياء المقدسي في المختارة (٢٠١٨).

(٤) ينظر: المغني (٣/ ٣٠٦).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

ومن ألفاظ السنَّة التي فُسِّرت بلفظ حادثٍ «القيراط»، كما في حديث «**من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط**»(١)، فقد فسَّره النبي ﷺ بأنَّه مثل الجبلِ العظيم(٢)، وفسَّره بعضُ الناس بالقيراط المصطلح عند أهل الفرائض، وهو عندهم جزءٌ من أربعةٍ وعشرين جزءًا(٣)، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الثلاثين من شهر جمادى الآخرة من عام واحد وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٠٢):

من معاني التأويل: تفسير الكلام؛ سواءٌ وافقَ ظاهرَ الكلام أم خالفه، فهل كلامُ المُفسِّرين قد يُخالف ظاهرَ الكلام؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ نعم قد تفسَّرُ الآية بخلاف ظاهرها لدليل أو قرينة؛ ومن ذلك ما في القرآن من العام المخصوصِ أو العام الذي أريد به

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥-٥٢) - واللفظ له- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) كما في تمام الحديث السابق.
(٣) ينظر: فتح الباري (٣/ ١٩٤)، والرحبية بشرح المارديني وحاشية البقري (ص١٣٦).

الخصوص، وهذا له أمثلةٌ في كتاب الله[١]؛ من ذلك ما وردَ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ فظاهر لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأولى في الآية عام يشملُ كل الناس، ولكن فُسِّر ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هنا بأنَّه نعيم بن مسعود الأشجعي الذي جاءَ ينقل للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسالة من أبي سفيان يقول له: إنَّ أبا سفيان يجمعُ لكم ليكرَّ على المدينة، فالرسولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»[٢]، وهذه الكلمة قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أُلقي في النار، وقالَها محمد ﷺ لما قيل له: إنَّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم[٣].

ومن ذلك -أيضًا- قوله تعالى في وصف ريح عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فهذا العمومُ الذي هو ظاهرُ اللفظ غير مرادٍ، بدليل الحس؛ فالريحُ لم تدمِّر السماء والأرض[٤]، بل لم تدمِّر مساكنهم؛ قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد العاشر من شهر صفر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: الرسالة للشافعي (ص٥٨).
(٢) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٧٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) ينظر: المستصفى (٣/ ٣١٩).

السؤال (١٠٣):

معلومٌ أنَّ القرآنَ ثلاثةُ أقسام: قسمٌ يعلمه الناس جميعًا، وقسمٌ يعلمُه العلماء وقسم...؟ القسمُ الذي لا يعلمه إلا الله؛ هل هذا من قول أهلِ التفويض: إنَّ الله خاطبنا بما لا نفهم؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد: ليست هذه الأقسامُ للقرآن؛ بل للتفسير، كما جاءَ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذرُ أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»[(١)].

فقوله: «تفسيرٌ تعلمُه العرب من كلامها»؛ مثل: شمس، أرض، قمر، سماء، العربُ تعرف هذا من دون تفسير.

وقوله: «وتفسير لا يعذر أحد بجهله»؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠] فإنَّه يجب على كل مسلم أن يعرفَ المراد من الصلاة والزكاة، ومثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] لابد أن يعرفَ ما المرادُ بالصيام، وأمثال هذه الآيات.

«وتفسيرٌ تعرفُه العلماء»؛ مثل دقائقِ التفسير وما يحتاجُ إلى استنباط، ومسائل تتعلق بالأحكام والمعاملات؛ مثل أحكامِ النكاح والطلاق والعِدد، وما أشبه ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١/ ٧٠).

والرابع: «وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله» وهي حقائقُ الأخبار، فقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار] نعلم أن معناها: انشقَّت بعد أن كانت مُحكمةً مصمتة، ولكننا لا نعلمُ حقيقةَ هذا الانفطار الذي يحدثُ يومَ القيامة ولا نتصورُ كنْهَه، لكن الله يعلمه(١).

أما قولُ السائل: هل القسمُ الرابع من قول أهلِ التفويض وأنَّ الله خاطبَنا في القرآن بما لا نفهم، فليس الأمر كذلك، بل خاطبَنا بما لا نحيطُ به علمًا، فالشيء قد تعلمه من جانب، ولا تعلمُه من جانب، وراجع القاعدةَ الخامسةَ في «التدمرية»(٢): أنّا نعلم ما أُخبرنا به من وجه دونَ وجه. والله أعلم.

***

(١) ينظر: توضيح مقدمة التفسير لشيخنا (ص١٩٢-١٩٣).
(٢) (ص٨٩) وبشرح شيخنا (ص٢٩٦).

القسم الثالث عشر: مناهج المفسرين

السؤال (١٠٤):

من عنده صفوة التفاسير، ويسأل: ماذا يصنعُ به، فبِمَ يُجاب؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

إن كان السائلُ الذي عنده الكتاب عاميًّا، فيستغني عنه بتفسير ابن كثير، أو بتفسير السعدي، ويدفعُ صفوةَ التفاسير إلى طالب علم ذي بصيرةٍ وتمييز لينتفعَ به(١). والله أعلم.

حرر في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير لبكر أبو زيد ضمن كتاب الردود (ص٣٠٣).

السؤال (١٠٥):

هل يجوزُ قراءةُ تفسير القرآن لغير أئمةِ السلف؛ مثل: الكشاف، أو الذين عندهم أخطاءٌ في التفسير.

الجواب:

الحمدُ لله؛ في ذلك تفصيل؛ فأمَّا الذي عنده بصيرةٌ ومعرفة بما في تلك الكتب من الاعتزاليات والأقوالِ البدعية؛ فنعم، يجوزُ له أن يقرأَ فيها.

أما مَنْ كان قاصرًا في معرفة هذه البدعِ وهذه الاعتقادات الباطلة، فيُقتصرُ على قراءةِ تفاسير السلف؛ كـ «تفسير ابنِ كثير» رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعلى كل حال؛ فالذي ينبغي لطالب العلمِ أن يتسلَّحَ بمعرفة منهج السلفِ في باب الاعتقاد؛ حتى يكونَ على بَيِّنة؛ لأنَّ كثيرًا من هذه الكتب لا تخلُو من هذه الاعتقاداتِ المُحدَثة. والله أعلم.

❋❋❋

السؤال (١٠٦):

مَن يفسِّرُ آيات الصّفات دائمًا بالتَّضمُّن، ولا ينصُّ على إثبات الصّفة، فهل جانبَ الصَّواب في ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]: بحفظٍ منَّا، وفي بعض المواضع: بمرأى منا، ولا ينصُّ على صفةِ العينِ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليقُ به؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أمَّا بعد:

فالمعتبرُ في هذا المقام هو ما يُعرفُ مِن مذهب المفسِّر؛ فإن كانَ سُنِّيًّا: فلا يضرُّه عدمُ النَّص على إثبات العينين، فهذا مفروغٌ منه عنده، فيكتفي بالمعنى المراد من هذا التَّركيب، وهو الرؤية والرعاية والحفظ، وإن كانَ مِن النُّفاة: فاقتصاره على ما تتضمَّنه الآية مِن المعنى راجعٌ إلى أنَّه لا يُثبتُ العينين، وأكثرُ مفسِّري السَّلف لا يذكرون إثبات العينين في مقام التَّفسير للآية(١)، ولكن أهل السُّنَّة يذكرون ذلك في مقام ذكر إثبات الصّفات، فيذكرون الآية دليلًا على إثبات العينين(٢)، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٠٧):

يعلمُ فضيلتُكم ما لتفسير «الكشَّاف» من شهرةٍ بين المُفسِّرين، وأنَّ كثيرًا منهم يرجعُ إليه، كما لا يخفى عليكم عقيدةُ مؤلفه الاعتزالية وشدته على أهل السنَّة، حتى قالَ ابن حجر الهيتمي: الزمخشري حاملُ راية المعتزلةِ إلى النار، فهل ترون الترحُّمَ على الزمخشري؟ وهل تُوصون بالرجوع إلى «الكشَّافِ» والإفادة منه، لا سيما في العربية؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ مذهب أهل السنَّة والجماعة في الحكم على المقالات وأصحاب المقالات يقومُ على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٦)، وتفسير البغوي (٧/ ٤٢٩).
(٢) ينظر: النقض على المريسي (ص٢١٤)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٩٦).

[الأنعام: ١٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة]، ولهذا فإنَّ أهل السنَّة لا يُقابلون طوائفَ المبتدعة بالظلم والعدوان، كما يفعلُ أولئك مع أهل السنَّة، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة: ٢]، وطائفةُ المُعتزلة هم ورثةُ الجهمية؛ حملوا عنهم بدعة التعطيلِ لصفات الله، ونتجَ عن ذلك قولهم بخلق القرآن، وهم مُؤجِّجو فتنة امتحان الناسِ بخلق القرآن، وبسببهم امتُحنَ أهلُ السنَّة، خاصة الإمام أحمد، فحاز بسبب صبره على المحنة لقب «إمام أهل السنَّة»، وقابلت المعتزلةُ الجهميةَ في باب القدر؛ فذهبوا إلى القول بنفي القدر، ونفي خلق أفعال العباد، وهذا الشيخ المسؤول عنه -الزمخشري- عفا الله عنه، قد جمعَ بين البدعتين: التعطيلِ والقدر؛ أي نفيِ القدر، وقد أفرغَ في تفسيره «الكشّاف» مضمونَ اعتقاده؛ فأوَّلَ النصوصَ المُخالفة له، أي نصوصَ الصفات ونصوص القدر، تأوّلها بما يتفقُ مع مذهبه في القضيتين، مُستعينًا بما أوتي من براعة في علوم اللسانِ العربي من نحو وبلاغة وعلمٍ بالمفردات، وقد انصرفت عنايته في تفسيره من الجانب اللغوي إلى إبراز ما في القرآن من البلاغة من وجوه المعاني والبيانِ والبديع، وهذا أهمُّ ما رفع من منزلة الكتاب، وصيَّره موردًا لكثير من المُفسرين من أهل السنَّة وغيرهم، فعُلمَ ممَّا تقدَّم أنَّ لتفسير «الكشاف» للشيخ محمود بن عمر الزمخشري وجهَين: أحدهما مُشرق، والآخرُ مظلم، فالمشرق: ما فيه من بيانٍ لفصاحة القرآنِ وبلاغته، والمُظلم: ما فيه من تحريف الآياتِ التي تُخالف مذهبه في

القدر والصفاتِ، وقد تعقَّبه في هذا بعض المُخالفين له، وقد سترَ عيب هذا الكتاب أمران:

أحدهما: قدرةُ المؤلف على التعبير الدقيق في تأويل النصوص التي يَقصدُ إلى صرفها عن ظاهرها، فطوى تحت ذلك اعتزالياته في القدر والصفات.

الثاني: هو ما أُشيرَ إليه من الوجه المشرقِ الذي جعلَ لتفسيره شهرةً بين كتب التفسير.

ومن الإنصاف أن نعترفَ للزمخشري في ثنائه على الصحابة، خصوصًا أبا بكر وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ورده على الرافضة في شأن عائشة، كما جاءَ ذلك في تفسير سورة النور(١).

فعُلمَ ممَّا تقدَّمَ أمور:

١. أنَّ الزمخشري ليس من غلاة القدريةِ الذين كفَّرهم الأئمة.

٢. أنَّه ليس من أهل الفجور؛ كبعض المُعتزلة، بل هو ناسك؛ لذلك آثرَ الجوارَ عند البيت سنين، وفرح بذلك، وألَّف هناك تفسيره، كما نصَّ عليه في المقدمة(٢).

٣. أنَّه لم يُعرف بمناوأة أحد معين من أئمة السنَّة، فيما أعلم.

٤. أنَّه لا بأس بالرجوع إلى تفسيره والإفادة منه فيما أجادَ فيه، لكن لا ينبغي ذلك إلا لمن له معرفة بعقيدة أهل السنَّة والجماعة، وخُبْرٌ بما تضمنه الكتاب من مُخالفات، ليكون منها على حذر.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٧٢) وما بعدها.
(٢) (١/ ٩٧).

٥. جوازُ الترحُّم عليه ما لم يُظن في ذلك تعظيمٌ له؛ لأنَّ من الدعاء ما ينمُّ عن التعظيم، ولعل الدعاءَ بالعفو أبعدَ عن إفهام تعظيم الرجل؛ فإنَّ الدعاءَ بالعفو يشعر بوجود مُخالفاتٍ، وبهذا يعلم:

٦. أنَّ ما قاله ابن حجر الهيتمي في الزمخشري أنَّه حاملُ لواء المعتزلة إلى النار[1]، أنَّ ذلك خطأٌ من الهيتمي عفا الله عنه، فإنَّ ذلك يتضمنُ الشهادة له بالنار، وأهلُ السنَّة لا يشهدون لمعيَّن من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار، إلا من شهدَ له الله ورسوله ﷺ[2]، عفا الله عن الهيتمي لهذه المقالة؛ فإنَّها جُرأة على الغيب.

نسألُ الله أن يهدينا صراطَه المستقيم، وأن يعصمنا من القول عليه بغير علم، إنَّه سبحانه سميعُ الدعاء.

حرر في يوم الأحد الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٠٨):

هل تنصحون طالبَ العلم المبتدئ بكتاب «في ظلال القرآن» لسيد قطب؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛ أما بعد:

---

(١) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٦٧).

(٢) ينظر: منهاج السنة (٥/ ٢٩٥-٢٩٦)، وشرح الطحاوية لشيخنا (ص٢١٩)، (ص٢٦٤).

«في ظلال القرآنِ» من كتب التفسيرِ المفيدة، لكني لا أنصحُ به للمبتدئ؛ فإنَّ فيه أشياءً قد تلتبس، كما أنَّ أسلوبَ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد لا يفهمه إلا متمرسٌ، ويُؤخذُ عليه أشياء في العقيدة وغير ذلك[١]، كغيره من كثير من المفسرين، ولكنه مع ذلك مفيدٌ من جهات أخرى، منها أنَّه يُنبِّه على مقاصد السور وأغراضها، ويُبيِّن التناسبَ بين آيات السورة وبين أولها وآخرها، و له إشاراتٌ لطيفة ومعانٍ دقيقة في التفسير، وهو مُشتملٌ على تنبيهاتٍ بديعة يفرحُ بها المتدبِّرُ للقرآن، فالمتمكِّنُ من طلاب العلم ينتفعُ بتفسير «الظلال»، لأنَّه يميزُ بين الخطأ والصواب في عباراته التي يُشير إليها. غفر الله لسيد قطب، وجزاه الله عن عمله خيرًا.

لكن المبتدئ أنصحه أن يقرأ في: «تفسير السعدي» فإنَّ أسلوبَه سهلٌ وميسر، وقد اعتنى فيه مؤلِّفه بترسيخ العقيدةِ الصحيحة، وبيان معاني أسماء الله الحسنى وصفاته، واستنباطِ الفوائد من الآيات، وغير ذلك من محاسن هذا الكتاب. والله أعلم.

***

السؤال (١٠٩):

نريد أن نعلمَ منهجيةَ الشيخ محمد راتب النابلسي، وهل تنصحون بقراءة تفسيره، وقد اتُّهِمَ بالتصوف؟

الجواب:

الحمد لله؛ أنا لا أعرفُ هذا التفسير ولا صاحبه، لكن أنت بغنى عنه، فاترك المُشكلَ إلى الواضح، فاقرأ في: «تفسير الشيخ السعدي»،

(١) ينظر: المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال لعبد الله بن محمد الدويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي «تفسير ابن كثير» رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فعلى المسلم أن ينتبهَ لكتب التفسير وغيرها؛ لأنَّها ممزوجةٌ ومشحونة بعقائد أصحابِها. والله أعلم.

***

القسم الرابع عشر: تعليقات على كلام بعض المفسرين

السؤال (١١٠):

أشكل علي -حفظكم الله- قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ۝١٢٥﴾ [النساء] حيث قال: «يعني بذلك واتخذ الله إبراهيم وليًا، فإن قال قائلٌ: وما معنى الخُلَّة التي أُعْطِيَها إبراهيم؟ قيل: ذلك مِن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ العداوة في الله والبغض فيه، والوَلاية في الله والحب فيه، على ما يعرف من معاني الخُلَّة، وأما من الله لإبراهيم: فنصرته على من حاوله بسوء» انتهى كلامه(١).

أليس هذا -أحسن الله إليكم- مِن التأويل للخُلَّة؟ علمًا أنه لم يؤول المحبة عند قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، أما بعد:

فينبغي أن يُعلم أنَّ مِن طرق التَّفسير: تفسير الشيء بلازمه، ومِن المسلَّم أن ثبوت اللازم يقتضي ثبوت الملزوم، وغاية ما يقال أنَّ ابن جرير فسَّر الخُلَّة بلازمها مِن نصرته تعالى لعبده ووليِّه وتأييده له، وإذا علمَ أنَّ منهج المفسِّر إثبات الصفات لم يُعدَّ تفسيره لصفة من الصفات

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٩).

بلازمها تأويلًا؛ إذْ يُعلم قطعًا أنه لم يقصد بذكر اللازم نفي الملزوم، وإنَّما يقصد ذلك نفاة الصفات، فيتناقضون حين يثبتون اللازم وينفون الملزوم، وابنُ جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن أئمة السُّنة، ولم يُذكر عنه انتحال نفي بعض الصفات، كما ذكر السائل أنه لم يؤوِّل المحبة في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤][1]، وبهذا يندفع توهُّم أنَّ ابن جرير ينفي الخُلَّة في حقِّ الله تعالى، حاشاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الرابع من شهر جمادى الآخرة من عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١١):

ذكرَ ابنُ كثير -عند قوله تعالى في سورة النَّحل: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ﴾ [النحل: ٢٩]- أنَّ أهلَ النَّارِ يدخلونها مِن حين موتهم بأرواحهم في قبورهم، ثم يوم القيامة تسلكُ أرواحهم في أجسادهم فينالها العذاب؛ فهل مرادُه بذلك عذاب البرزخِ وأنَّه يختارُ أنَّه معنويّ فقط؟ أو هو عذابٌ زائدٌ على عذاب القبر؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، أمَّا بعد:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٧) وما بعدها.

(٢) ينظر: الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف لـ د. أحمد العوايشة (ص٣٥٧).

فالظَّاهرُ أنَّ ابنَ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريدُ عذابَ البرزخ، وهو ما بين الموت إلى البعثِ، وهذا في حقّ الكفَّار يشملُ أمرين:

الأول: عذابُ القبرِ، وهو يتعلَّق بالرّوح والبدن.

الثاني: العذابُ في النَّار، إمَّا بدخولها، أو بالعَرْض عليها، وهذا يختصُّ بالأرواح، فإذا بُعثت الأجسادُ سلكتِ الأرواحُ فيها، ثم يُدخَلون النَّار أرواحُهم وأبدانُهم، وهذا هو الدُّخول المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، وهو ما عناهُ ابنُ كثير في قوله: «ثم يوم القيامة تسلكُ أرواحهم في أجسادهم»[(١)]، وكلُّ ذلك حسِّيٌّ لا معنويٌّ. والله أعلم.

حُرِّر في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٢):

في تفسير ابن كثير لسورة النَّازعات لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات]، قال: «بمعنى أنَّه أخرجَ ما كانَ فيها بالقوة إلى الفعل».. أشكلَ عليّ هذا الكلامُ، وزادَ الإشكال أنَّ في بعض الطَّبعات: «بالقول إلى الفعل»، فما معنى هذه الجملة حفظكم الله؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أما بعد:

(١) (٤/ ٥٦٧).

فصوابُ العبارة: «بالقوة إلى الفعل»[١]، وهذه العبارةُ معروفة عند العلماء، وجاءت كثيرًا في كلام ابن كثير وغيره مِن المفسِّرين، فقوله: «أخرجَ ما كانَ فيها بالقوَّة إلى الفعلِ»، يريدُ أنَّ الأرضَ كانت مُهيَّأة لإخراج مائها ومرعاها، وذلك قبل خلق السَّماوات، ويؤيّده قولُه تعالى في سورة فصلت: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فصلت]، وبعد خلق السَّماوات دحا الله الأرضَ، وفسَّر ذلك بقوله: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾ [النازعات]، فأنبتَ النَّبات، وفجَّر العيونَ ظاهرة مُشاهدة، بعد أن كانَ ذلك مقدَّرًا فيها.

ومِن جنس عبارة ابن كثير قولُ ابن القيم في «مدارج السَّالكين»: «وحقيقةُ الأدبِ استعمالُ الخلقِ الجميلِ، ولهذا كانَ الأدبُ: استخراجَ ما في الطَّبيعة مِن الكمالِ مِن القوة إلى الفعل» اهـ[٢].

ونزيدُ ذلك فنقول: إنَّ كلَّ ما هو مهيَّأ لشيء ومُستعد له إذا تحقَّق فيه ذلك قيل: إنَّه خرجَ مِن القوة إلى الفعل، فالإنسانُ عند خلقِ الله له كان مُهيَّأً للابتلاء، فإذا جرى عليه ذلك -أي الابتلاء- قيلَ: انتقلَ مِن القوة إلى الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، قالَ أهلُ اللغة: «نبتليه» حال مقدَّرة[٣]، فالإنسانُ مهيَّأ للابتلاء، فإذا تحقَّق فيه ذلك في الخارج كانَ مبتلى بالفعل بعد أن كانَ مُهَيَّأً له، وشواهدُ ذلك كثيرة، والله أعلم.

---

(١) وهو المثبت في تفسير ابن كثير -ط طيبة- (٨/ ٣١٦)، -وط قرطبة وأولاد الشيخ- (١٤/ ٢٤٣).

(٢) (٣/ ١٤٩).

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٢٨٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٥٩).

حرر في يوم الخميس التاسع عشر من شهر شوال من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٣):

فسَّرَ الطاهرُ ابن عاشور آياتِ خلقِ السماواتِ السبع بأنَّها الكواكبُ السبعُ السيارة التي يُشاهدها الناس (وذلك في آية ٢٩ من سورة البقرة)، وكذلك (آية ١٧ من سورة المؤمنون) بأنَّها طرائقُ سير الكواكب السبعة، والذي ذكره ابن جرير خلاف ذلك من كونها سماواتٍ سبعٍ كلُّ واحدة فوق الأخرى، كما في حديث الإسراء والمعراج في استفتاح كل سماءٍ والصعود إليها، وهذا القولُ الذي اعتمده ابن عاشور لم أرَ من السلف من ذكره، غير أنَّ ابن جزي الكلبي والفخرَ الرازي ذكروه فيما ذكروه من الأقوال.

والسؤال: هل تفسير ابنِ عاشور للسماوات السبعِ وجه من اللغة أو الشرع أو قولٌ للسلف؟ باركَ الله فيكم.

الجواب:

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد: فقد وردَ في القرآن ذكرُ السماواتِ السبعُ في تسعة مواضعَ في ثمانِ سُور، وهي: البقرةُ، والإسراء، والمؤمنون -في موضعَين منها- وفصلت، والطلاق، والملك، ونوح، والنبأ. ووُصفَت السماوات في بعض المواضع بأنَّها طِباقٌ؛ أي: بعضُها فوق بعض، كما

في سورتَي الملك ونوح، وأنَّها شِداد، كما في سورة النبأ، ووُصفت بالانشقاق والانفطارِ والطيِّ، وذكرت مقرونةً بالكواكب والنجومِ في قوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾ [الانفطار]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩﴾ [المرسلات]، وهذا يدلُّ على الفرقِ بين السماوات وبين الكواكب والنجوم.

ووصفُ السماءِ بالانفطار والانشقاقِ يدلُّ على أنَّ السماءَ جسمٌ كثيف، بل صُلب، ووَصفُ السماوات بالطباقِ يدلُّ على أنَّ بعضَها فوق بعض، وأنَّها مُتمايزة، وجاءَ في حديث الإسراء والمعراج ما يدلُّ على أنَّ السماوات سبعٌ، وذُكرت السماواتُ في هذا الحديث مرتبة؛ ابتداءً من السماء الدنيا، ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة(١).

وأما النجومُ فقد أخبرَ الله أنَّ من حكمة خلْقِها أن تكون زينةً للسماء الدنيا؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦﴾ [الصافات].

ثم يُقال: هذه النجومُ والشمس والقمر، هل هي دون السماءِ الدنيا أو داخل السماوات؟ نقول: ظاهرُ النصوص أنَّ الشمسَ والقمر في داخل السماء، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١﴾ [الفرقان]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾ [نوح].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن مالك بن صعصعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحديث الإسراء والمعراج من المتواتر: ينظر: نظم المتناثر (ص٢٠٧، رقم ٢٥٨).

وذكر علماءُ المسلمين من المفسرين وغيرهم أنَّ القمرَ في السماء الدنيا، والشمسَ في السماء الرابعة، وأنَّ ما يُعرفُ بالكواكب السبعة هي تابعةٌ للسماوات السبع، والكواكبُ السبعة هي: القمرُ، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزُحل[(١)].

وفي بعض عباراتِ شيخ الإسلام ابن تيمية ما يدلُّ على أنَّه قد يُعبر بالأفلاك عن السماوات، ومن ذلك قوله في «العقيدة التدمرية»: «وإن قُدِّر أن المراد بالسماءِ الأفلاك -يعني في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]-كان المراد: أنه عليها» ا.هـ[(٢)]، ويكثر ذلك في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أعني إطلاقَ الأفلاك على السماوات- إذا تكلَّمَ عن الفلاسفة وقولِهم بقدم العالم، كأن يقولَ: وهم القائلون بقِدم الأفلاك، أو صدورِ الأفلاك عن العلة الأولى[(٣)].

ولم يأتِ في القرآن الإخبارُ بأنَّ النجومَ في السماء، إنَّما فيه الإخبارُ عن تزيين السماء بها، وتسخيرها للاهتداء بها، ومنها الشهبُ التي ترمى بها الشياطين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

(١) ينظر: البدء والتاريخ (٢/ ١٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٣).
(٢) التدمرية (ص٨٨)، وبشرح شيخنا (ص٢٩٥).
(٣) ينظر: درء التعارض (٢/ ٣٩١)، (٣/ ٣٠١) ومنهاج السنة (١/ ١٤٨)، (١/ ٢٣٦).

وممَّا نبَّه عليه القرآن كثيرًا ما في الشمس والقمر والنجوم من الدلالات على ربوبيته تعالى وإلهيته، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت].

هذا؛ وأمّا زعْمُ ابنِ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السماوات السبعَ هي الكواكب السبعة؛ فلا يعوَّل عليه، لما يأتي:

أولا: أنَّه خلافُ ظاهرِ القرآن؛ فإنَّ القرآن دَلَّ على الفرق بين السماوات والكواكبِ والنجوم، كما سبقَت الإشارةُ إلى ذلك بأدلته.

ثانيا: أنَّه خلافُ ظاهر كلامِ السلف من المُفسِّرين وغيرهم.

ثالثا: أنَّ ابنَ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المُطَّلعين على علم الهيئةِ الحديثة، وأكثرُ الدارسين لعلم الهيئة الحديثة مُقتنعون بها، بل مُعظِّمون لها؛ فآلَ بهم الأمر إلى تفسير القرآن بما يتفقُ معها في مواضعَ كثيرة من القرآن، وهذا ما يظهرُ من منهج ابن عاشور في تفسيره، وكثيرًا ما يُصرِّحُ بعلم الهيئة، ويردُّ ما يُقرِّره إليها، ومثله لا يعتمد على كلامه في مثل هذه المسائل، مع جلالة قدره وسعةِ علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالواجبُ اعتقادُ ظاهرِ القرآن، وما دلَّ عليه كلامُ السلف، ففي ذلك العصمةُ والنجاة، ونقول كما قالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

آمنا بالله وبما جاءَ عن الله على مراد الله[١].

---

(١) أورده السلماسي في منازل الأئمة الأربعة (ص١٤٦)، وابن قدامة في لمعة الاعتقاد-بشرح شيخنا- (ص٢٣).

كما نُوصي بعدم الخوض في نظريات علمِ الهيئة الحديثة؛ فإنَّه من جنس علمِ الكلام الذي حذر منه السلفُ، وهو أقربُ إلى أن يُورث الحيرة والقلقُ من أن يورث توحيدًا ويقينًا؛ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران]، والله أعلم.

حرر في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٤):

فسَّر الأستاذ إبراهيم الأبياري رَحِمَهُ اللَّهُ[1] **في الموسوعة القرآنية (١٠/ ٣٣٨)** ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء]: **بأنَّهم الصالحون لعمارتها وتيسير أسبابِ الحياة الطيبة فيها، فهل هذا التفسيرُ صحيح؟**

الجواب:

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد: فهذا التفسيرُ للآية تفسير باطلٌ ومُحدَث يُخالف

(١) إبراهيم إسماعيل الأبياري: ولد بطنطا وتخرج بدار العلوم، واشتغل بدار الكتب المصرية بتحقيق كتب التراث بالاشتراك مع جماعة من المحققين، ثم شغل وظائف في وزارة الثقافة، له مؤلفات وتحقيقات منها: «مهذب السيرة النبوية»، وتحقيق كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه بالاشتراك، توفي سنة (١٤١٤هـ). ينظر: تتمة الأعلام (١/ ٩)، (٣/ ١)، وتكملة معجم المؤلفين (ص١١)، (ص٦٤٩).

المأثورَ عن السلف ومن تبعهم في المراد بالصالحين، ولا خلافَ بينهم في ذلك، وإن اختلفوا في المراد بالأرض في الآية، حيث قال بعضهم: المراد بها أرض الجنة، وقيل: المرادُ هذه الأرض[1]، ولكل من القولين شواهدُ من القرآن.

فأما تفسيرُ (الصالحين): بالصالحين لعمارتها؛ فهو قولٌ مبتدَع، ومُخالفٌ لشواهد القرآن؛ فالصالحون: هم المؤمنون من الأنبياء وأتباعهم، وهم الذين يُصلحون الأرض بالتوحيد والإيمان وإقامةِ دين الله، وهذا ما جرَت به سنَّة الله من استخلاف الأنبياءِ وأتباعهم بعد إهلاك أعدائهم، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥] الآية.

وهذا الاستخلافُ من الله للأنبياء والمؤمنين هو توريثُهم الأرض، كما قال تعالى بعد ما ذكر من إخراج فرعونَ وقومه ممَّا كانوا فيه من النعيم: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾ [الدخان]، والمراد بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٣/ ٤٧٥)، وزاد المسير (٥/ ٣٩٧).

فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى للنبي ﷺ وللمؤمنين: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

فهذه السُّنَّة في توريث الله أولياءه الأرضَ؛ هي التي كتبها في الزبور ومِن قبله في الذِّكر الذي هو أمُّ الكتاب؛ أي: اللوح المحفوظ(١)، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

والذين جاؤوا بهذا التفسير المُحدَث للآية مما حملَهم عليه ما قدَّره الله من تمكين كثيرٍ من الأمم الكافرةِ لكثير من الولاياتِ والقُدَر والإمكانات، ومعلومٌ أنَّ هذه الأمم ليسوا من الصالحين الصلاحَ المراد في جميع آيات القرآن، فقال هؤلاء المحدِثون لهذا التفسير: إنَّ المراد في الآية: الصالحون لعمارة الأرض بناءً وزرعًا وتدبيرًا وإدارة وإنتاجًا. وهذا مما جرى به القَدَر؛ ابتلاءً من الله واستدراجًا لهذه الأمم؛ وهم لا يُصلحون الأرض، بل يُفسدونها بالكفر والمعاصي والظلم والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] قيل: بالشرك بعد التوحيدِ، وبالكفر بعد الإيمان، وبالمعاصي بعد الطاعات(٢).

وهذا التفسيرُ المُحدَث للآية مع مخالفته للمأثور، فهو مخالفٌ لمعنى الصالحين والمُصلحين في جميع آيِ القرآن، وعددُها اثنتان

(١) وهو قول ابن جبير ومجاهد ورجحه الطبري. ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣١-٤٣٤).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٨٢)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٤٨).

وعشرون آية، ومخالف لمعنى الإصلاح في موارده في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف]، وأكذب الله المنافقين في قولهم: إنما نحن مصلحون، فقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة].

فعلم ممَّا تقدَّم أنَّ توريث الأرض مُختصٌّ بالأنبياء وأتباعهم، والتوريثُ يقتضي المِلك والاستحقاق، وأما التمكينُ والاستخلاف فإنَّه يكون للمؤمنين والكفار، فيكون كونيًا وشرعيًا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ [الأنعام: ٦]الآية، وقال عزَّوجلَّ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، وقال في الاستخلاف: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]، وقال سبحانه في الاستخلاف والتمكين للمؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] الآية.

وعلى هذا فما حصلَ للكفار أو يحصلُ من قوة أو حظوظ؛ هو استخلافٌ وتمكينٌ ابتلاءً لهم بذلك واستدراجًا وليس إرثًا؛ فإنَّ الأرضَ لله يُورثها من يشاءُ من عباده، ولا يُورثها إلا لعباده الصالحين، كما قال تعالى عن موسى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء].

وعليه؛ فالإيراث من الله شرعيٌّ، أما التمكينُ والاستخلاف فيكون شرعيًا وكونيًا كما تقدم. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر صفر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٥):

وقفتُ على كتاب واسع الانتشار، وهو مِن كتب التَّفاسير المختصرة التي أُعدت لتُترجم إلى لغات العالم، وهو لجماعة مِن أهل الاختصاص في علوم التَّفسير؛ فوجدتُ فيه أمرًا استشكلته جدًا، وهو قولهم -وفَّقهم الله- في تفسير قولِهِ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ قالوا: «دلَّتِ السُّورةُ على أنَّ كمالَ الإيمانِ يكونُ بإخلاصِ العبادةِ للهِ تعالى، وطلَبِ العونِ منه وحدَهُ دُونَ سواهُ». اهـ[١].

---

(١) المختصر في التفسير (ص١) من مركز تفسير للدراسات القرآنية.

فهل صرفُ العبادةِ والاستعانةِ للهِ يُعَدُّ مِن كمالِ الإيمانِ؟ مما يعني أنَّ صرفَ بعضِها لغيرِ اللهِ يكونُ نقصًا في إيمانِ صاحبِه، لا نقضًا له؛ أليستِ العبادةُ والاستعانةُ المشارُ إليهما في الآية: تُعَدَّانِ مِن أصولِ الإيمانِ التي لا يجوزُ صَرْفُها أو صرفُ بعضِها لغيرِ اللهِ تعالى؟! أو أنَّ المؤلفين تسامحوا في العبارة؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على مَن لا نبي بعده، أمَّا بعد:

فإنَّ المفسِّر -صاحب هذه العبارة- لم يقل: إنَّ العبادة والاستعانة مِن كمال الإيمان، بل قالَ: إنَّ الجمعَ بينهما هو كمالُ الإيمان، وهذا تعبيرٌ صحيح؛ فلا يكملُ الدِّينُ بالعبادة دون الاستعانة، ولا بالاستعانة دون العبادة، بل لابدَّ مِن الجمع بينهما، وقد انقسمَ النَّاسُ في هذين الأصلين إلى أربع طوائف، ذكرها شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في مواضع مِن مصنَّفاته[(١)].

وأسعدُ هذه الطَّوائف بالحقّ مَن جمعَ بين الأصلين عبادةً واستعانةً؛ فلا يعبدون غيره تعالى، ولا يستعينون بسواه؛ فهُم له وبه؛ فعبارةُ المفسِّر لا تقتضي أنَّ العبادة مِن كمال الإيمان، أو أنَّ الاستعانة مِن كمال الإيمان بالمعنى الذي يتبادر لأكثر النَّاس، وهو أنَّ الإيمان يصحُّ بلا عبادة، أو بلا استعانة؛ عبارة المفسِّر لا تحتمل هذا المعنى، بل مقصودُه أنَّ الجمعَ بينهما كمالُ الإيمان والدِّين، ومعناهما تحقيقُ توحيد الربوبيَّة وتوحيد العبادة؛ فهما أصلُ الدِّين، وركنُه الأعظم، وكلُّ حقيقة فكمالُها بقيام أركانها.

(١) ينظر: التدمرية (ص٢٣٤)، وبشرح شيخنا (ص٦٠٦)، ومجموع الفتاوى (١٤/ ١٠).

وبعد؛ فلا ينبغي التَّشويشُ بإثارة هذه الإشكالات حولَ لفظٍ محتملٍ، غايةُ الأمر أنَّ مَن لم يدقق في مدلولِ هذه العبارة قد يتوهَّمُ منها ما ذكرَهُ المعترضُ، وهو قصورٌ في فَهمِ مدلول اللفظ. وحقيقةُ هذه العبارة أنَّ باجتماع هذين الركنين يكونُ كمالُ الدِّين والإيمان، وبدونهما لا دين ولا إيمان، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء الرابع من شهر شوال من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

القسم الخامس عشر: إيضاح إشكالات ودحض شبهات

السؤال (١١٦):

في حديث تلقّي النَّبي ﷺ للوحي جاء تشبيهه بصلصلة الجرس على لسان النَّبي ﷺ[١]، مع أنَّ الجرس مذمومٌ في الحديث الصَّحيح ومنهيّ عنه[٢]، فكيف نجمع بين الحديثين؟

الجواب:

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

فإنَّ تشبيه المحمود بالمذموم ليس مذمومًا مطلقًا، بل المعوَّل في ذلك على وجه الشَّبه؛ فقد يكون في الشَّيء المذموم خصلة حسنة أو ظاهرة جلية تصلح للتَّشبيه بها، وفي الحديث تشبيه إلقاء الوحي بصلصلة الجرس، أي: مِن حيث وقعُه على السَّمع وتتابع الصَّوت، وهذا هو وجه الشَّبه، فهذا التَّشبيه مناسب جدًا في بيان قوة صوت الوحي وتتابعه[٣]، ألا ترى قوله ﷺ: «**إذا قَضَى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَربتِ**

(١) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

(٢) منه حديث أبي هريرة في صحيح مسلم (٢١١٣): «**لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس**»، وفيه أيضًا (٢١١٤): «**الجرس مزامير الشيطان**».

(٣) ينظر: فتح الباري (١/ ٢٠).

الملائكةُ بأجنحتِهَا خضعانًا لقوله ؛ كأنَّه سلسلةٌ على صفوان ينفُذهُم ذلك»[١]، فشبَّه وقعَ كلام الله في أسماع الملائكة متتابعًا بوقع صوت السّلسلة تجرّ على صفوان في مسمع الإنسان؛ ولهذا قال: «**ينفُذهم**»، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء الخامس من شهر ذي القعدة من عام تسعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٧):

انتشرَ مقطعٌ صوتي لبعض الملاحدة يُحاكي أسلوبَ القرآن بكلام مُهلهل فيه من كلمات القرآن شيء كثير، يُرتِّله كترتيل القرآن بحجَّة التشكيك بالقرآن، وأنَّ بالإمكان مُحاكاتَه، ومن الأسف أنَّ بعض الشباب من جهل أو غيره يُرسله إلى زملائه، وقد أنكرنا عليهم ذلك، فأجابوا: لا يوجد دليلٌ على تحريم ذلك، فما حكمُ استماعِ هذا المقطع؟ وما حكمُ إرساله؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد: فقد تحدَّى اللهُ المشركين من العرب أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، وأخبر أنهم لن يفعلوا، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١)، (٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، وتحداهم أن يأتوا بعَشر سورٍ مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، بل تحدَّى الإنس والجن متعاونين أن يأتوا بمثله، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، وأخبرَ أنَّ بعض المشركين المكذِّبين قد زعمَ أن لو شاء لقالَ مثل القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال]، ومع ذلك ما ادَّعى أحدٌ من عقلائِهم مُحاكاة القرآن، مع ما عُرفَ عنهم من الفصاحةِ والبيان باللسان العربي، ومع ما عُرفَ من حرصهم على مُعارضة القرآن، وما ذاك إلا لعجزهم، فإنَّهم لم يجدوا إلا أن يقولوا عن النبي ﷺ: شاعرٌ وكاهن ومجنون، مغالطةً منهم وتمويهًا، فإذا كان أولئك قد عجزوا عن مُحاكاة القرآن، فمن بعدهم أعجز.

وما ذكرْتَ من المقطع الذي تضمنَ كلامًا يزعمُ قائله أنَّه يُضاهي به القرآن؛ فهو كلامٌ ملفَّق من بعض كلمات القرآنِ وجمله، مخلوطٌ بكلمات وجمل ابتدأها المُفتري، وقد جرى البحثُ عن أصحاب هذه الدعوى الفاجرة، فوجدنا أنَّهم من بعض النصارى ليخدعوا جهلةَ المسلمين من الشباب الأغرار أو الكبار المريضةَ قلوبهم، وقد تصدَّى بعضُ العلماء للرد على صاحب هذا المقطع ببيان ما فيه من العيوب اللفظيةِ والمعنوية والإملائية، فارجع إليه -يا بني- واحذر أن يستهويك

الشيطان، وكلما خطرَ على قلبك أنَّ هذا الكلام مُعارضةٌ صحيحة للقرآن فاستعذْ بالله من الشيطان، وافزعْ إلى ربك، واسأله الثباتَ على دينه، وأوصيك بالإكثار من تلاوة القرآن، والإعراضَ عن النظر في المواقع التي تنشرُ الشبهات لصد المسلمين عن دينهم، وهي التي يُشرفُ عليها زنادقةٌ من المُنتسبين إلى الإسلام، أو يهودٌ أو نصارى أو ملاحدة، فكلُّهم جندُ الشيطان، قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

حفظك الله وحفظَ دينك من شياطين الإنس والجن، ونسألُه أن يهدينا وإياك صراطه المستقيم صراطَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم غير المغضوب عليهم والضالين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شوال من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١١٨):

ذكرَ اللهُ في كتابه العظيم أنَّ هذا القرآنَ هدىً ورحمةٌ ونورٌ وشفاءٌ لِمَا في الصُّدور، ونقرأُ في تراجمِ بعض العلماء والصَّالحين أنَّهم ماتوا عند سماع آية أو قراءة سورة، وألَّفَ الثَّعلبي المفسّر (ت

٤٢٧هـ) كتابًا سماه «قتلى القرآن»، وهم الذين سمعوا القرآن وماتوا بسماعه، فكيفَ نسمِّي هذه الظَّاهرة، أو كيفَ نفسِّرها، وهل لهذه الميتة فضيلةٌ بحيث يحرصُ عليها العبدُ ويتمنَّاها؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد؛ أمَّا بعد:

فإنَّ الله قد وصفَ كتابه العزيز بمعانٍ عظيمة، مثل أنَّه هدى ورحمة وشفاءٌ ونورٌ وموعظةٌ، وعمَّ بذلك النَّاس وخصّ المؤمنين، وأثنى على المؤمنين بِمَا يحصلُ لهم عند تلاوة القرآن عليهم، وتذكيرهم بآيات الله مِن زيادة الإيمان والتَّوكل عليه سبحانه، والسُّجود والخشوع والبكاء واقشعرار الجلود، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقالَ تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]،

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وهكذا كانَ الرَّسولُ ﷺ وأصحابُه، غاية ما يحصلُ لهم مِن الأحوال الظَّاهرة اقشعرارُ الجلودِ وذرفُ الدُّموع والنَّشيجُ وأزيزُ الصَّدر مِن البكاء، قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قرأتُ على النَّبي ﷺ سورة النِّساء، فلمَّا بلغتُ قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء]، قالَ: «حَسبُكَ الآن»، فالتفتُّ إليه فإذا عيناهُ تذرفان[١].

وقالَ عبدُ الله بن الشخير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أتيتُ النَّبي ﷺ وهو يُصلِّي، ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل[٢]، يعني يبكي[٣]، وكانَ عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُسمَعُ له نشيجٌ وهو يصلِّي[٤]، والنَّشيجُ صوتٌ في الحلقِ معه توجُّعٌ وبكاءٌ، فلا صراخ ولا غشي ولا موت[٥]، بل هذه الأحوالُ حدثت في العُبَّاد بعد عهد الصَّحابة، فليست أحوالًا محمودة، ولو كانت كذلك لكانَ الرَّسولُ ﷺ وأصحابُه أولى بها، فلا يشرعُ استدعاؤها، ولا تمنِّيها؛ لأنَّها عوارض

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠).

(٢) المِرجل: الإناء الذي يغلى فيه الماء وسواء كان من حديد أو غيره. ينظر: النهاية (٤/ ٣١٥).

(٣) أخرجه النسائي (١٢١٤) بهذا اللفظ، وأخرجه بنحوه: أحمد (١٦٣١٢)، (١٦٣١٧)، (١٦٣٢٦)، وأبو داود (٩٠٤)، وصححه ابن خزيمة (٩٠٠)، وابن حبان (٦٦٥)، (٧٥٣).

(٤) أورده البخاري معلقًا في «باب إذا بكى الإمام في الصلاة» عند حديث (٧١٦)، وصححه الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٣٠٠).

(٥) ينظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٥٢-٥٣).

لا كمالات، بل حالة ضعفٍ، فمَن لم تحصلْ لهم أكملُ مِن هؤلاء الذين حصلت لهم.

قالَ الإمامُ ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّما يحصلُ هذا لبعض العُبَّاد عندَ سماع القرآن والذكر لقوة الوارد وضعف المحل[١]، ومعناه أنَّه يرِد على قلوبهم مِن الشُّعور بعظمة الله ووعده ووعيده ما لا تحتمله قلوبهم، فيحصلُ لهم مِن ذلك ما يحصلُ، ولا يكونون بذلك أفضل مِن حال الرَّسول -صلَّى الله عليه- وأصحابه ومَن سارَ على هديهم، لكن هؤلاء لا ريبَ أنَّهم أفضلُ مِن أهل القسوة والغفلة، وأفضلُ منهم المؤمنون القويةُ قلوبُهم، مع اللين والإخبات عند سماع الآيات، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج].

هذا وقد جرى الاطِّلاعُ على كتاب الثَّعلبي الوارد ذكره في السؤال، فإذا هو صغيرُ الحجم قليلُ المحتوى[٢]، قد اشتملَ على جملة مِن القصص عن بعض العبَّاد الذين حصلَ لهم غشيٌ عند سماع بعض الآيات حتى ماتوا، والذي يؤخذُ على هذا الكتاب ثلاثة أمور:

أحدهما: أنَّ ما فيه مِن المحتوى منقولٌ بأسانيد لا تثبتُ بها الأخبارُ، فلا يعوَّلُ على ما ذُكِرَ في هذا الكتاب مِن الحكايات، ولا يفرح بها.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٧٥).

(٢) يقع الكتاب -دون خاتمة المحقق- في أربعين صفحة.

الثاني: عنوانُ الكتاب؛ فإنَّ مضمون العنوان يدلُّ على أنَّ القرآن يقتلُ بعض قارئيه أو سامعيه، والقرآنُ هدى ورحمة للمؤمنين، لم ينزل لموت سامعيه وتاليه.

الثالث: ما نعتَ الثَّعلبيُّ به مَن سمَّاهم «قتلى القرآن» في أوَّل الكتاب، مِن تفضيله لهم على سادات هذه الأمة، مِن خاصة أصحاب الرَّسول ﷺ كأهل بدر، وهذا جهلٌ وضلالٌ وغلوٌ في مَن عظَّمَ أمرهم مِن العباد والصَّالحين، وهم ما بين معلوم ومجهول[(١)].

إذا عُرف هذا: فلا يجوزُ أن يدَّعَى تعارضٌ بين ما وصفَ الله به كتابه مِن الرَّحمة والشِّفاء، وبينَ ما جاءَ في كتاب الثعلبي، ولا يجوز -أيضا- أن يسمَّى أحدٌ قتيلَ القرآن؛ لما حصَل له مِن الغشي والصَّعق عند سماع بعض الآيات، ولا يُغترّ بِمَا فعلَ الثَّعلبي مِن الإشادة بهؤلاء، وتأليف كتاب فيهم؛ فإنَّ الثعلبي وإنْ كانَ رجلًا صالحًا فليس هو مِن أهل العلمِ المحققين الذين يميِّزون بين الغثِّ والسَّمين، كما يدلُّ لذلك قولُ شيخ الإسلام فيه: «إنَّه حاطبُ ليلٍ»[(٢)] غفرَ الله له وعفا عنه. والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين الثاني من شهر شوال من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

(١) تنظر: (ص٥٣-٥٤).
(٢) ينظر: مقدمة التفسير بشرح شيخنا (ص١٢٨)، ومجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٧٧).

السؤال (١١٩):

هل الهدايةُ تنقسم إلى خاصة وعامةٍ؟ فقد أشكلَ عليّ قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ [يس]، مع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؟

الجواب:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: الهداية في القرآن تنقسمُ إلى هداية كونية، وإلى هداية شرعية، فأما الهدايةُ الكونية فهي عامةٌ في جميع المخلوقات، كما قالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه]، وأما الهدايةُ الشرعية فتختصُّ بالمُكلَّفين، وهي قسمان:

عامة: وهي بمعنى الهدايةِ والإرشاد، وبيانِ طريق الخير والشر، وهذه تضافُ إلى الله، وتُضافُ إلى الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ [فصلت: ١٧]، أي بيَّنَّا لهم(١)، وقالَ الله لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى].

والنوعُ الثاني من الهداية الشرعية، هي: هدايةُ التوفيقِ لقبول الحق، وإلهامِ الرشد، وشرحِ الصدر، وهي خاصةٌ بالمهتدين، وهم الذين قبلوا دعوةَ الرسل، واتبعوا ما جاءوا به.

ومن شواهد الهدايةِ الخاصة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٠٢).

وهذه الهدايةُ لا يقدرُ عليها إلا الله، فلا تُضاف إلى الرسول، ولهذا قالَ الله تعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]، واللهُ أعلم[1].

حرر في يوم الخميس الثامن من شهر شعبان من عام ثلاثة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٢٠):

قوله تعالى: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الروم: ٩] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، **وغيرها من الآيات، هل يستفادُ منها أنَّ الحضارةَ المادية والتقدمَ المادي الدنيوي لم يردْ ممدوحًا وحده؟**

الجواب:

الحمدُ لله؛ كلُّ ما يُؤتاه الناسُ من حظوظ الدنيا؛ من الأموالِ والأولاد والقُدَر والعلوم والعُمران، ما هو إلا متاعٌ في هذه الدنيا وزينةٌ يتزين بها الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص: ٦٠]، وقد بيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّ ما يُؤتاه الناس من ذلك هو فتنة؛ أي ابتلاءٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وحكمةُ الابتلاء أمرٌ مُشترك بين الناس، ولكن الناس إذا عتوا عن أمر الله، ونسَوا ذِكر الله؛ صارَ ما يُفتح لهم من حظوظهم المحبوبة مكرًا من الله بهم واستدراجًا، حتى إنَّه تعالى يُملي لهم عقوبةً على إعراضهم عما جاءت به الرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٤٥).

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

وليس في القرآن مدحٌ لحظوظ الدنيا، بل فيها امتنانٌ من الله بها باعتبار أنَّها في أصلها نِعَمٌ؛ مما يُوجبُ شكره سبحانه والقيامَ بحقه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة]، وبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ الكفارَ والمنافقين لن تُغني عنهم أموالُهم ولا أولادهم من الله شيئًا، كما في سورةِ آل عمران والمجادلة، وفي هذا ردٌّ لقولهم فيما أخبر الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ]، وأخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ القوةَ والكثرة لا تمنعُ المُكذِّبين من عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الروم: ٩] الآية، وقال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر].

فهذه الحضارةُ المعاصرة التي فتنت الكفار وكثيرًا من المسلمين النافعُ منها نعمٌ، مَنْ شكرها انتفع بها عاجلًا وآجلًا، ومن كفرها كانت وبالًا عليه وعذابًا في الحاضر والمستقبل.

وهي في جملتها ابتلاء لعموم الناس، وهي استدراجٌ للكفار، الذين عتوا وطغَوا وأفسدوا وظلموا واستكبروا، كما قالَ تعالى عن أسلافهم: عاد وفرعون ذي الأوتاد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

والحاصل: أنَّ التقدمَ المادي ما يُمدحُ منه إلا ما يُستعان به على طاعة الله، ولا يُمدحُ مطلقًا، ولكن الذين ينظرون إلى حظوظِ الدنيا بعين الإعجاب يُعجبون بهذا التقدمِ المادي ويتمنَّونه، بخلاف أهل العلم والإيمان والبصائر، كما قالَ تعالى عن مُريدي الدنيا في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص]، اللهُ أعلم.

***

السؤال (١٢١):

هل النهيُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] للتحريم؟ وكيف نجمعُ بينه وبين قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس]؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد: فالنهيُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] للتحريم، هذا هو الأصلُ، وهذا من المواضع التي يظهرُ فيها تعارضٌ مع غيرها، فاللهُ أمرَ العباد بتزكية نفوسهم ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس] على أحد التفسيرين[١]، وفي قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ ما يظهر فيه التعارضُ مع الآيات السابقة، ونظيرُ هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]؟

والجواب: أنَّ التزكيةَ في الآيات الأولى المراد بها تزكيةُ النفس بالإيمان والعمل الصالح والخلق الفاضل ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: ٣٠]، وأمَّا التزكية المنهيُّ عنها فهي ادّعاءُ الفضل والكمال مما يتضمّنُ الفخر[٢]، ومن تزكية النفس المحمودة: التواضعُ واحتقار العمل. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم السبت السادس من شهر ربيع الآخر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

❊❊❊

السؤال (١٢٢):

كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، وبين قوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»[٣]؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قد ذكرَ العلماء هذا الإشكالَ وأجابوا عنه بأنَّ المُراد بالسعي في الآية مُطلقُ المضي والذهاب، لا الإسراعَ في المشي، وقد

(١) ينظر: زاد المسير (٩/ ١٤١).
(٢) ينظر: إغاثة اللهفان (١/ ٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (٦٠٢-١٥٢) بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا لفظ الترمذي (٣٢٧)، وابن ماجه (٧٧٥)، وله روايات وألفاظ كما سيأتي.

قرئ: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾[(١)]، قالوا: عبَّر عن المضي بالسعي إرشادًا إلى صدق العزم والرغبة، وقد جاء في القرآن كثيرًا إطلاقُ السعي على العمل بجدٍّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان][(٢)].

وأما السعيُ في الحديث فالمراد به الإسراعُ في المشي، كما جاءَ في اللفظ الآخر: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا...**»[(٣)]، ومن السعي بمعنى الإسراعِ في المشي أو الطيران قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠][(٤)]، والله أعلم.

***

السؤال (١٢٣):

ما حكم ما فعلته هذه المعلمة مع طالباتها، وجزاكم الله خيرًا.

تقول المعلمة: طلبتُ مِن طالباتي تذكُّر أسوأ عملٍ عملنه وأفضلَ عملٍ صالحٍ قدَّمته. كلّ طالبة تكتبُه في ورقة صغيرة خاصة بها، ثم قلتُ لهن: هل تقبلن الآن أن يطَّلع أحدٌ على ما كتبتنه في الورقة؟ أو العكس، فأنتن تردن أن يبقى ستر الله عليكن ولا يعلمُ أحدٌ بذنوبكن، رغم أنكن

(١) قرأ بها جماعة وهي قراءة شاذة. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٣٢١).
(٢) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (ص١١-١٢).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦) -واللفظ له-، ومسلم (٦٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) ينظر: التمهيد (٢٠/ ٢٣١)، ومجموع الفتاوى (٢٢/ ١٥٩).

كتبتن أيضًا عملًا صالحًا في الورقة نفسها. فقلن: لا، بل نريد سترَ الله على الذَّنب، ونخشى على العمل الصَّالح مِن الرّياء. قلتُ لهن: أحسنتن؛ قطّعن أوراقكن لكيلا يراها أحد. انتهى ما قالته المعلمة.

سؤالي: لكن الآن كيف يقولُ المؤمنُ يوم القيامة: ﴿هَاؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩﴾ [الحاقة] وقد خلطَ عملًا صالحًا وآخر سيّئاً؟.

الجواب:

الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد: فما فعلته الأختُ المعلمة -هداها الله ووفَّقها- لعله عن حسنِ نيَّة، وغاية نبيلةٌ، وهي التَّذكير باطِّلاع الله على ما يعمله العبدُ مِن طاعة ومعصية، ثم ستره القبيحَ مِن عمله، كرمًا منه ولطفًا، وقبوله صالح العمل كرمًا منه وفضلًا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولكن الطريقة التي سلكتها المعلمة لهذه الغاية طريقة خاطئة فإنها إذا أخذت الأوراق منهن اطلعت على ما كتبنه من حسن وقبيح إجمالًا أو تفصيلًا، وإن لم تأخذ الأوراق منهن، وقد أمرتهن بتقطيعها صارت الطريقة كلها عبثًا، والعبث ليس من شأن العقلاء ثم يمكن الوصول إلى الغاية التي تقصدها المعلمة حسب ما ظهر بذكر ما يدلّ على كرمِ الرَّب جَلَّ وَعَلَا مِن الآيات والأحاديث، فذلك أبلغُ مِن الطريقة التي سلكتها المعلمة الفاضلة جزاها الله خيرًا، فإنَّ إيصال المعاني الشَّرعية بذكر أدلتها مِن الكتاب والسُّنَّة أتمّ وأبلغ، ومِن البدهي أنَّ أيَّ مسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر إذا سُئِلَ هذا السؤال الوارد في القصة أن يجيب بالنَّفي، والطريقة المذكورة لا أرى فيها منكرًا، لكن لا حاجة إليها، ولا كبير فائدة منها.

وأما قوله تعالى عن المؤمن الذي يؤتى كتابه بيمينه: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة] فإنَّ المؤمن الذي يؤتى كتابه بيمينه يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة] استبشارًا وسرورًا؛ إذ ليس في كتابه ما يسوؤه، ولعل هذا -والله أعلم- يكون بعد تذكير الله للعبد المؤمن بذنوبه، وسترها عليه، ثم مغفرتها له، فصار كتابه ليس فيه إلا ما يسره، لذلك قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة] والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد.

حرر في يوم الجمعة السابع عشر من شهر محرم من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٢٤):

كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل]، **وقوله سبحانه:** ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الجاثية: ١٦] **إلى قوله:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية].

ففي الأولى قال: (أَكۡثَرَ)، وفي الثانية: قال: (فِيمَا كَانُوا)، ومعلوم أن (ما) من أسماء العموم؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ كلًّا من الآيتَين على ظاهرها، ولا إشكالَ فيهما؛ فإنَّ حكم الله بين بني إسرائيل يومَ القيامة عامٌّ في كل ما اختلفوا فيه، وأما

إخبارهم في الدنيا بما اختلفوا فيه فإنَّما يكون في أكثر ما اختلفوا فيه، لا في كله.

فعُلِمَ الفرقُ بين الحكمُ في الآخرة والإخبارِ في الدنيا. والله أعلم.

***

السؤال (١٢٥):

كيف نجمعُ بين قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد]، **وقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]؟

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: فإنَّ اعتقادَ التعارض بين الآيتين توهّمٌ منشؤُهُ أنَّه لا يجتمعُ الوجلُ بذكر الله -وهو الخوفُ منه سبحانه- والطمأنينة لذكره.

والصواب: أنه لا مُنافاةَ بين الخوف من الله والطمأنينة إليه؛ فإن الخائف من الله يفرّ منه إليه، وإذا ذَكر عظمته وعزته وشدة بطشه؛ ذَكر رحمته ولطفه بعباده، وعفوَهُ ومغفرتَهُ، فحينئذٍ يسكنُ إلى ربه، ويحسنُ ظنَّه بربه، ويقوى رجاؤُه لفضله، فيجتمعُ في قلب العبد الخوفُ والرجاء والمحبةُ والإجلال، وبهذا فلا تعارضَ بين الآيتَين بحمد الله، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٢٦):

كيف نجمعُ بين قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٦١] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد أخبرَ الله عن بني إسرائيل ذامًّا لهم بقتل النبيين والرسل بغير حق، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٦١﴾ [البقرة]، وقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة]، والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، وكلُّ هذه الآيات في بني إسرائيل، وهم اليهود المنتسبون إلى شريعة التوراة، وأنبياءُ بني إسرائيل يذكرهم الله تعالى تارةً بصفة النبوة، وتارةً بصفة الرسالة بمعناها العام، فإن الإرسال الشرعي من الله يأتي عامًّا وخاصًّا؛ فالعامُّ يشملُ الأنبياء، فيكونون أنبياء ورسلًا، ويأتي خاصًّا بالرسل بالمعنى الخاص، وهم الذين أُرسلوا إلى كفار مُكذِّبين[(١)]، كقوم نوحٍ وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين، فهؤلاء الرسل لم يُقتل أحد منهم، وإن همَّت أممهم بذلك،كما قال تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥].

وهؤلاء الرسل -أي بالمعنى الخاص- أخبر الله عن نصره لهم إخبارًا مجملًا ومفصَّلا، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟

---

(١) ينظر: النبوات (١/ ٧١٤-٧٢٠).

أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف]، وقال: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء]، وأخبرَ عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب بأنَّ الله نجَّاهم من العذاب الذي عُذِّب به أقوامهم، وهذا النصرُ هو المذكور في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات]، ومن فاته النصرُ في الدنيا، كمن قُتل من رسل بني إسرائيل فنصره مدَّخر له يومَ القيامة، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

وقد يكون نصرُ الرسل في الدنيا نصرًا لأتباعهم بعد موت الرسل أو قتلهم، وقد أوجبَ الله ذلك على نفسه، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وأقسمَ على ذلك فقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]، والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء السادس عشر من شهر جمادى الآخرة من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٢٧):

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، كيف قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، مع أنّ المقام مقام أجر وثواب؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا جاء لسبب، وهو أنَّ الصفا والمروة كان عليهما صنمان: إسافٌ، ونائلة، فتحرَّج المسلمون مِن الطواف بهما، فنفى الله الجناح عمَّن تطوَّف بهما في حجٍّ أو عمرة، كما كان على الكعبة أصنامٌ وطافَ بها النبيُّ ﷺ في عمرة القضاء، فوجودُ الأصنام في الأماكن التي شرعَ الله العبادةَ فيها لا تمنعُ ممَّا شرعَه الله[١].

***

السؤال (١٢٨):

المعروف أنَّ المتأخِرَ في منى أفضلُ مِنَ المتعجل، فكيف قال تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]؟ وهل يؤخذ من قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أن التأخر أفضل؟ وهل قيد ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ راجع للمتأخر أو للمتعجل؟

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلّى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده؛ أما بعد:

فقد قيل في الجواب عن ذلك عدة أجوبة[٢]:

---

(١) ينظر في سبب نزول الآية: صحيح البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٣٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٣٢٢-٣٢٤).

الأول: إنَّه يجوزُ نفيُ الإثم عن الشيء دلالة بذلك على الجواز والإباحة، كقولك: لا حرجَ عليك أن تُصلِّيَ، فنفيُ الإثم والجناح لا يلزم أن يكون عن تقصير أو فيما يتضمنُ التقصيرَ في الطاعة.

وهنا كذلك؛ نفى الإثم عن المُتعجِّل والمُتأخر؛ للتسوية بينهما في الإباحة، وإن كان أحدُهما فاضِلا والآخر أفضل.

والتخييرُ بين أمرين مُتفاضلين جاءَ في الشرع؛ كما خُيِّرَ المسافِرُ بين الصَّومِ والإفطار، وكما خُير الحاج بين الإفراد والتمتع والقِران؛ فتقول: مَنْ أفرَدَ الحجَّ فلا جُناحَ عليه، ومَنْ تمتَّعَ فلا جُنَاحَ عليه، ومن جمع بينهما فلا جناح عليه. وهنا مِثْلُه، فهو كما تقول: لا حرج على الحَاجِّ أنْ يتعجَّل أو يتأخَّر.

أما أيُّهما أفضل؟ فيُؤخذُ من دليلٍ آخرَ، ولا شكَّ أنَّ التأخرَ أفضل من التعجل، والأفضليةُ مستفادةٌ من السنَّة، فهو فعلُ النبيِّ ﷺ، وكذلك مستفادةٌ من المعنى العام، وهو أنَّ التأخرَ يتضمنُ زيادةَ خيرٍ وطاعة؛ من المبيت ورميِ الجمار(١).

وأما قولُه: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فهو قيدٌ للأمرين، فلا يُستفادُ منه تفضيلُ المُتأخِّر على المتعجل.

الثاني: إنَّ نفيَ الإثم عن المتعجل والمتأخر الغاية منه الرَّدُّ على أهل الجاهلية، إذ كانوا يَرَوْنَ أنَّ مَنْ تأخَّرَ أَثِمَ، وبعضهم يرى أن من

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٤١٥)، وتفسير السعدي (ص١٥١).

تعجل أثم، وممن نقل هذا الجواب الآلوسي[١]، وقد ذكره قبله جماعة[٢]، وهذا التخريج -إنْ صَحَّ الخبرُ عنهم- يكون مِثْلَ قوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

الثالث: إنَّ المرادَ بنفي الإثم عن الصنفين: هو التسويةُ بينهما في حصولِ مغفرة الذنوب لكليهما، إذا تحقَّقَ شرطُ التقوى، كما قالَ النبيُّ ﷺ: «**من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه**»[٣]، أي: لا إثمَ عليه.

الرابع: إنَّ نفيَ الإثم عن المُتعجِّل لا إشكالَ فيه؛ لأنَّ الأصلَ إتمامُ أيام منى، لكن في حقِّ المتأخر؛ فهو إما من قبيل المقابلةِ اللفظية، أو أنَّ نفيَ الإثم والحرجِ هنا يتعدى الإباحةَ إلى الندب. واللهُ أعلم. وصلَّى الله وسلَّم على محمد.

حرر في يوم الأحد السابع من شهر ربيع الآخر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) روح المعاني (١/ ٤٨٩).
(٢) ينظر على سبيل المثال: الكشاف (١/ ٤١٥)، وتفسير البيضاوي (١/ ١٣٢)، والنسفي (١/ ١٧٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٨١٩) -واللفظ له-، ومسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

السؤال (١٢٩):

أريدُ تفسيرَ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] **فقد أشكلَ عليَّ كلام المفسرين فيها؟**

الجواب:

الحمدُ لله؛ إنَّ هذه الآية ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] متصلةٌ بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران].

ففي هذه الآيات يخبرُ تعالى عن طائفة من أهل الكتابِ بتواصيهم بالمكر بالمؤمنين، وذلك بإظهار الإيمان في أوَّل النهار بما أنزلَ الله، وإظهارِ الكفر في آخره؛ ليقولوا: جرَّبنا الإيمان به فما وجدناه صالحًا، يفعلون ذلك لعلَّ المؤمنين يرجعون عن دينهم، وهذا من صُوَر كيدهم؛ فعُلِمَ أنَّهم يقصدون التشويشَ على المؤمنين وإضلالهم، ويُوصون بعضهم بألَّا يستجيبوا إلا لمن اتبعَ ملتهم، ولا يطمئنوا إلا لهم، ويُفضوا لهم بأسرارهم، زاعمين أنَّ الدِّين الذي هم عليه هو الحقُّ، فلا يُؤتَى أحدٌ من مخالفيكم مثلَ ما أوتيتم، ولا تبوحون لهم بما يحتجُّون به عليكم عند ربكم.

فتضمنت أقوالُهم تزكية أنفسهم، وأنَّهم على الهُدى، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] بطريق الاعتراض[1]، وهو ما

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٠١)، والدر المصون (٣/ ٢٥٢).

بعث به محمدًا رسولَه ﷺ، وأنَّ الفضلَ بيده تعالى، يؤتيه من يشاءُ، وأنَّه سبحانه واسعُ الفضل والعطاء، وهو العليمُ بمواضع فضله، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران].

ويُشْبه ما ذُكِر في هذه الآيات من مكر اليهودِ بالمؤمنين، وتحذيرِ بعضهم بعضًا أنْ يَطْمئنوا إلى غير أهل مِلَّتهم، فلا يُحدِّثون المؤمنين بما يكون حجةً لهم عليهم؛ يُشْبه ذلك ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة].

***

السؤال (١٣٠):

يستشكلُ بعضُ الناس قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢] الآية، مع ما عُرِفَ من شدة عداوةِ النصارى للمسلمين في هذا العصر بالاحتلال والغزوِ الفكري، والحروبِ الصليبية في الماضي، فما الجوابُ عن ذلك؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ الجواب أن يُقال: لمَّا ذكرَ الله في هذه السورة أحوالَ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وما ارتكبوه من أنواع الكفرِ من نقض المواثيق التي أُخذت عليهم، وكتمانهم لكثير مما في كُتُب الله المنزَّلة عليهم، ودعاويهم الاختصاص بالفضل، وتكذيبهم للرسول ﷺ،

وتركهم الحكمَ بالتوراة والإنجيل، وما وقعَ فيه اليهود والنصارى من التنقص لرب العالمين؛ كقول اليهود: يدُ الله مغلولة، وقولِ النصارى: المسيحُ ابن الله، وقتلِ اليهود لرسل الله، وتكذيبهم لهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾ [المائدة]، وما أحلَّ باليهود من اللعن والغضب، ومسخهم قردةً وخنازير، وجعل منهم مُشركين ومنافقين، وما ذكر تعالى من غلو النصارى وضلالهم، وترك التناهي عن المُنكر، وتولِّي كثيرٍ منهم للكافرين، مما يدلُّ على عدم إيمانهم بالنبي وما أنزلَ عليه، وذلك كله من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة] = لما ذكرَ الله هذه الموازنة بين اليهود والنصارى في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ختم الحديث عنهم في الموازنة بينهم في موقفهم من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة] الآيات.

وقد اختلفَ المُفسرون[١] في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾.

فقال بعضهم: المراد طائفةٌ من النصارى آمنوا بالرسول ﷺ، وذرفت أعينهم لما سمعوا القرآن، ثم قيل: إنهم أصحاب النجاشي، وقيل

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٩٩-٢٠٠)، وزاد المسير (٢/ ٤٠٨).

غيرهم، واختارَ ابن جرير(١) أنَّهم طائفةٌ من النصارى آمنوا، كما أخبر الله عنهم دون تعيينٍ.

والقول الثاني: أنَّ المراد بالآية جنسُ النصارى، وأنَّهم أقربُ مودة للمسلمين، وأقلُّ عداوةً من اليهود والمشركين، وأنَّ سببَ ذلك أن منهم قسيسين ورهبانًا أي علماء وعبادًا، وأنَّهم ليسوا أهل استكبارٍ، بخلاف اليهود، وأيضًا فإنَّ النصارى منهم من بادرَ إلى الإيمان، وهم الذين وصفَهم الله بما وصفَهم به في هذه الآيات من المعرفةِ بالحق والتأثر بذلك حالًا ومقالًا.

وهذا القولُ هو الأظهر، أي إنَّ المراد جنسُ النصارى(٢)، فإنَّ اليهود والمشركين لا يظهر في الموازنة بينهم وبين المؤمنين في المودةِ والعداوة وجه، فيُؤخذُ من هذه الآية أنَّ جنس النصارى أقربُ إلى الإيمان، وأقرب إلى مودة المؤمنين، وهذا لا ينفي عداوتَهم للمؤمنين، لكنها ليست كعداوة اليهود والمشركين، وهذا ما يشهدُ به تأريخ اليهودُ والنصارى(٣).

ولكن قد تغيرت حالُ النصارى في العصور المُتأخرة بكفر بعضِهم بدين النصرانية، وبتوليهم لليهود بعدما كان بينهم من العداوة، حتى إنَّ أحد بابوات النصارى برَّأ اليهودَ من دم المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي تعتقدُ النصارى أنَّه قُتلَ وصُلب، وأنَّ اليهود هم الذين قتلوه(٤)، وقد أكذبَ الله

---

(١) (٨/ ٥٩٧).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٠-٢٣٢)، والبحر المحيط (٤/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) ينظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٠٩-١١٠).

(٤) وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح لها جذور تمتد إلى ستينات القرن الماضي. ينظر: إسرائيل حرفت الأناجيل لأحمد عبد الوهاب (ص٢٧)، و«يسوع الناصري الجزء الثاني: من دخول أورشليم إلى القيامة» لبنديكت السادس عشر (ص١٨٠) وما بعدها.

الطائفتين بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء].

فالنصارى اليوم لا يقلّون عن اليهود عداوةً للمؤمنين، كما يشهد بذلك الحروبُ الصليبية في الماضي، والحروبُ والاحتلال المسمى زورًا بالاستعمار في العصر الحاضر.

فالواجبُ على المسلمين الحذرُ من مكر اليهود والنصارى، والحذرُ من موالاتهم؛ لأنَّهم كلُّهم أعداء للمسلمين، وما احتلالُ اليهودِ للمسجد الأقصى وما حوله إلا بمعاونة النصارى وتأييدهم لهم، فنسألُ اللهَ أن ينصرَ المسلمين عليهم، إنَّه نعمَ المولى ونعم النصير.

***

السؤال (١٣١):

إلى أي شيء تُشيرُ الآية في سورة التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]؟ نرجو الإفادةَ بالمصادر حتى العربية.

الجواب:

الحمد لله؛ لما أمرَ الله تعالى بقتال أهلِ الكتاب من اليهود والنصارى وذلك في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة]؛ ذكر بعد ذلك ما يوجب قتالهم، وهو كفرُهم بالله وشِركهم،

ومن ذلك تنقصهم لله بنسبة الولدِ إليه، وهو الأحدُ الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. فاليهودُ قالت: عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابن الله.

وعزير رجلٌ صالح من بني إسرائيل، معظَّمٌ عند اليهود، قِيل من أسباب تعظيمه أنه حفظ التوراة[١]، فغلت اليهود أو بعضُهم فيه، فزعموا أنَّه ابن الله، فذمَّهم الله لذلك وأخبرهم أنَّهم يُضاهئون بهذا القول قولَ المُشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

وكذلك النصارى تنقَّصوا الله حيث قالوا: المسيحُ ابن الله، فشابهوا بذلك اليهود والمشركين. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة]. راجعْ تفسيرَ ابن كثير، الجزء الثاني في تفسير سورةِ التوبة[٢]. وتفسير ابن جرير[٣] وتفسير القرطبي[٤]، والله أعلم.

حرر في يوم السبت السادس من شهر ربيع الآخر من عام واحد وعشرين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٥٥٩-٥٦٠)، والماوردي (٢/ ٣٥٨).
(٢) مراد شيخنا -سدده الله- بالجزء الثاني أي في طبعة دار الفكر (٢/ ٤٢٤) وهو في طبعة طيبة (٤/ ١٢٤).
(٣) (١١/ ٤٠٨).
(٤) (٨/ ١١٦).

السؤال (١٣٢):

ما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس]، **وهل معنى الآية أنَّ الله يرفعُ العذاب إذا حلَّ بأمَّة من الأمم؟**

الجواب:

الحمدُ لله؛ قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس]، يُخبر تعالى أنَّ كلَّ أهل القرى الذين كذَّبوا الرسل فأرسل إليهم العذاب؛ فلما رأوه آمنوا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

فكلُّ أهل القرى الذين آمنوا حينئذٍ لم ينفعهم إيمانهم، بل أُهلكوا، إلا قوم يونس لما آمنوا كشفَ الله عنهم العذاب، وأبقاهم إلى ما شاءَ سبحانه، وذلك لمَّا علمَ الله من صدْقِ إيمانهم.

وقد ذكر المُفسرون أنهم لما رأوا العذاب ضَجُّوا يتضرعون، وفرَّقُوا بين الأمَّهَاتِ وأولادِهَا، والبهائِمِ وأولادِهَا، فرحمهم الله وكشف العذاب عنهم[١]، وفي هذا تحذيرٌ لمشركي قريش وكُلِّ كافر من التمادي في الكفر والإمهال حتى ينزلَ بهم العذاب؛ فإنَّه لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب، سنَّةُ اللهِ في عباده.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٣).

وقولُ السائل: (وهل معنى الآية أنَّ اللهَ يرفعُ العذاب إذا حلَّ بأمَّة من الأمم؟)؛ إن أرادَ بحلول العذاب أن يُحيق العذابُ بالمُكذبين فيُهلكهم؛ فمن أهلكَه الله لا يرجع، كما قالَ تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾ [الأنبياء]، أي: حرامٌ أن يرجعوا.

وإن أرادَ بالحلول اقترابه حتى يراه المُكذِّبون أو المستوجبون له؛ فسنَّة الله ماضيةٌ أنَّه لا يكشفه عن المُكذِّبين؛ لإظهارهم الإيمان وقت رؤيتهم العذاب، وخرجَ قوم يونس عن هذه السُنَّة، فكشفَ الله العذابَ عنهم لِمَا علم من صدق إيمانهم وتضرعِهم، كما تقدم.

وأظهرَ ما قيل في (لولا)؛ أنَّها بمعنى: (هلّا)، كما قُرِئ بذلك، على ما حكاه ابن جرير[1]، فتفيد الاستفهامَ الإنكاري، وهو بمعنى النفي، ولهذا قالَ بعضُهم: إنَّ (لولا) بمعنى (ما) النافية، فالجملةُ خبرية[2].

وأما نصبُ المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨] فقيل: لأنَّه استثناءٌ مُنقطع، وهو ضعيف؛ لأنَّ قومَ يونس من جنس أهلِ القرى، والصواب أنَّه متصلٌ[3]، فإن كان المستثنى منه (قرية)؛ فالنصبُ على أحد الوجهين في المُستثنى بعد النفي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١]، وقد أجمعَ القرَّاء على نصب ﴿قَوْمَ﴾ في الآية[4].

---

(١) (١٢/ ٢٩١).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (١١/ ٣١٨).

(٣) ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٦٩).

(٤) مراد شيخنا في القراءة الثابتة، أما في القراءات الشاذة فقد رُوي الرفع عن الجرمي والكسائي. ينظر: الكشاف (٣/ ١٧٥)، ومختصر شواذ القرآن (ص٦٣).

ولو قيل: المُستثنى منه الضميرُ المنصوب في قوله: ﴿فَنَفَعَهَآ﴾ تعيَّنَ نصبُ المستثنى على كل تقديرٍ، وليس هذا عندي ببعيد، بل لعله الصوابُ؛ لأنَّ مضمونَ الجملة ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ هو متعلَّق الفرقِ بين قوم يونس وسائرِ أهل القرى، واللهُ أعلم.

ونظيرُ هذه الآية في نظمها قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود]، فإنَّها إخبارٌ من الله بأنَّه لم يكن من القرون الهالكة والأممِ التي قصَّ الله خبرهم في هذه السورة لم يكن فيهم أولو بقيةٍ، أي أصحاب فضلٍ وعقل يجعلهم ينهون عن الفساد إلا القليلُ الذين نجَّاهم الله من الأنبياء وأتباعهم؛ فإنَّهم الذين كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، وأعظمُ ذلك الشِّرك بالله، والظلم لعباده.

وعلى هذا؛ فـ(لولا) تُفيد النفي، وقد قالَ بعضُ النحاة[١]: إنَّها بمعنى (ما)، فالتقدير: فما كان من القرون من ينهى عن الفساد إلا الذين نجَّاهم الله، وهم قليلٌ. و(كان) تامةٌ في قوله: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ﴾.

والأظهرُ أنَّ الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ متصلٌ[٢]، و﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ﴾ هو المستثنى منه، وجملة ﴿يَنۡهَوۡنَ﴾ في موضع رفع صفة؛ لأنَّ (أولو) نكرة.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠).
(٢) ينظر: الدر المصون (٦/ ٤٢٤).

وعليه؛ فيجوزُ في المُستثنى الرفع والنصب؛ لأنَّه استثناءٌ من كلام منفي، ولكن لم يُقرأ بالرفع إلا في قراءة شاذةٍ[١]، وما تفيده لولا من التحضيض يفيد أنَّ ذلك كان مطلوبًا من تلك القرون، أي النهيَ عن الفساد، وأنَّ ترك ذلك سببُ هلاكهم، وفي هذا تحذيرٌ من سلوك طريقِ الهالكين، وحثٌّ على الأخذ بسبب النجاة، وذلك بالنهيِ عن الفسادِ في الأرض.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ بيانٌ لسبب إعراضِ الهالكين عن النهي عن الفساد، وهو اتباعُ ما مُتِّعوا به من الشهوات، وتمكُّنَ الإجرامِ فيهم، وهو كفرهم بالله ورسله، وعتوهم عن أمر الله؛ فاستوجبوا بذلك الهلاكَ، كما قالَ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف]، والله أعلم.

***

السؤال (١٣٣):

ما هو الصحيح في تعيين القائل في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ [يوسف: ٢٩]؟

الجواب:

الحمد لله؛ قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ [يوسف: ٢٩] الآية، جملةٌ مُستأنفة داخلةٌ في قول الذي قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن

(١) وهي قراءة ابن مسعود وزيد بن علي. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٢٤٠).

كَيْدِكُنَّ﴾ [يوسف: ٢٨] حين رأى قميصَ يوسف قُدَّ من دبرٍ، وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الذي رأى وقال هو سيدُ المرأة، وهو زوجُها العزيز، وقيل: إنَّه الشاهد[١]، والصوابُ -والله أعلم- هو ما ذهبَ إليه الجمهورُ[٢]، وذلك لأمور:

١. أنَّ شهادةَ الشاهد تضمَّنت الحكمَ بدليله، وليس للشاهد في مثل هذا الإلزام؛ لأنَّه لم يُنصَّب حاكمًا.

٢. أنَّ حكمَ الشاهد لم يكن على معين من الرجل والمرأة، بل هو معلَّقٌ على قرينة.

٣. أنَّ الذي ثبتَ لديه الصادقُ منهما هو العزيز، فثبتت لديه براءةُ يوسف، وأنَّ ما جرى هو من كيد المرأة.

٤. أنَّ ذا السلطانُ هو العزيز؛ فلذلك أمرَ يوسف بالإعراض، وأمرَ المرأةَ بالاستغفار من ذنبها، واللهُ أعلم.

***

السؤال (١٣٤):

هذا سؤال مبنيٌّ على مناقشة دائرة بين السَّائل وأحد طلبة العلم، طالبُ العلم هذا حشدَ الآيات الَّتي فيها اعتراف المشركين بربوبيَّة الله وأنَّه الخالق الرَّازق المحيي المميت إلى آخر صفات الربوبيَّة

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٢١٣)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٧٥).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٣٥)، وابن كثير (٤/ ٣٨٤).

ستة عشر صفة، ثمَّ ذكر ما ورد عن بعض السَّلف مِن أنَّهم يُقرُّون بذلك، وإنَّما كان شركهم بعبادة غير الله.

ثمَّ قرَّر: أنَّ المشركين قد جمعوا بين الاعتقاد -يعني إقرارهم بما ذُكر- والعمل، وذلك أنَّهم يعبدون الله ويعبدون غيره معه، لذلك سمَّاهم الله مؤمنين، ثمَّ أورد قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف] وأوردَ كلام الطَّبري في تفسيرها[1] وكلام بعض مفسِّري الصَّحابة والتَّابعين، مركِّزًا على قولهم «وعبدوا مع الله غيره» وأغفلَ ما أضافوا إلى ذلك مِن نسبة الولد إلى الله ووصفهم الله بغير صفته، إلى آخره مما ذكره المفسِّرون مما يناقض توحيد العبادة وتوحيد الربوبيَّة.

السُّؤال: هل الإيمان في هذه الآية هو الإيمان الشَّرعي أو هو الإيمان اللغوي فقط، كما قرَّره بعض المفسِّرين ومِن آخرهم صاحب «أضواء البيان»، أسألُ عن ذلك مِن النَّاحية البلاغيَّة ومِن ناحية الدَّلالة: هل الآية جاءت فيما يظهر لكم لإثبات الإيمان لهم أم لشيء آخر؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، أمَّا بعد:

فما ذُكر عن هذا الطَّالب مِن إحصاء ما أقرَّ به المشركون مِن شؤون الربوبيَّة ظاهرٌ وصريحٌ في الكتاب العزيز، ومقرَّرٌ عند أئمة أهل السُّنَّة، وأنَّ هذا الإقرار لا يُصيِّر هؤلاء المشركين مؤمنين، بل ولا مسلمين، وأمَّا

---

(١) (١٣/ ٣٧٢).

زعم الطَّالب أنَّ الله سمَّى المشركين بهذا الإقرار «مؤمنين» فغير صحيح؛ فلم يدخلوا في خطاب مَن سمَّاهم الله «مؤمنين»، ولا في خطاب الذين آمنوا، نعم أدخلَ كثيرٌ مِن العلماء المنافقين في بعض الآيات التي فيها خطاب المؤمنين بالاسم الموصول، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء].

وأمَّا الاستدلال على تسمية الله المشركين «مؤمنين» بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]، فهو خطأ ممَّن قاله؛ فإنَّ الله لم يسمِّهم في هذه الآية «مؤمنين»، لا بالاسم المعرفة، ولا بلفظ النَّكرة، وإنَّما وصفهم بإيمان، وهو الإيمان اللغوي، لا بالإيمان المطلق، الذي هو الإيمان الشَّرعي، كما ذكرَ عن صاحب «أضواء البيان»[1]، وكما ذكر الطَّالب عن السَّلف أنَّهم فسَّروا هذا الإيمان بإقرارهم بربوبيَّة الله[2]، وفي الآية نفسها يُبطل الله اعتبار هذا الإيمان بقوله: ﴿وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾، فجعلَ الشِّرك نعتهم، وشواهدُ هذا في القرآن أكثر مِن أن تحصى، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقوله: ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البينة: ١]، وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، فسمَّاهم الله في هذه الآيات «مشركين» بلفظ المعرفة «المشركين»

---

(١) (٣/ ٨٧-٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٢-٣٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٧-٢٢٠٨).

وصحيحٌ ما قال الطَّالب أن شركهم في العبادة، هذا هو الظَّاهر مِن آيات القرآن، وهو المستقر عند أهل العلم، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وأمَّا إقرارُ المشركين بتوحيد الربوبيَّة: فهذا يُقال في الجملة، والواقع أنَّ منهم مَن يشرك في الربوبيَّة قدرًا مِن الشرك، كمَن يعتقدُ في الكواكب تأثيرًا، كالذين يقولون: «مُطرنا بنوء كذا وكذا»، قال الله في الحديث القدسي: «**فذلكَ كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكبِ**»(١)، ولهذا فمنهم مَن يعبد الكواكب كالصابئة أو بعضهم، ومِن العرب مَن يعبد الشِّعرى(٢)، وهم خزاعة(٣).

وقول السَّائل: هل الآية جاءت فيما يظهر لكم لإثبات الإيمان لهم أم لشيء آخر؟ أقول: ما جاء في الآية مِن ذكر الإيمان إنَّما هو لبيان تناقضهم وفساد عقولهم، ولهذا يقول الله في كلِّ آية فيها ذكر إقرارهم: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون]، والله أعلم.

حرر في يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر من عام واحد وأربعين وأربع مئة وألف.

***

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) واللفظ له، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الشعرى: الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وكان ناس في الجاهلية يعبدونها. غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٣٠).

(٣) ينظر: أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٦٥)، وتفسير الثعلبي (٢٥/ ١٧٤).

السؤال (١٣٥):

قولُ الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾ [الحج]، **ما علاقةُ السمعِ والبصر بذكر الليل والنهار؟**

وما الفرقُ بين الإتيانِ والمجيء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]؟ **جزاكم الله خيرا.**

الجواب:

الحمدُ لله؛ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾ [الحج] الظاهر -والله أعلم- أنَّ اسم الإشارة عائدٌ إلى ما في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج]، والباء في قوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ سببية، وقد دخلَت على المصدر المُؤول، وهو قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾، والمصدرُ المُؤول المعطوف عليه، وهو قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾.

فالمعنى -والله أعلم- أنَّ نصره لمن بُغِيَ عليه، وعفوه ومغفرته؛ راجعٌ إلى كمال قدرته، المدلول عليه بذكر إيلاجِ الليل في النهار وإيلاجِ النهار في الليل، وراجعٌ إلى أنه سميع بصير، فتضمنت الآيةُ ثلاثَ صفات: القدرةُ، والسمع، والبصر، وعلى هذا فذِكْرُ السمعِ والبصر ليس متعلقًا بالليل والنهار.

ويحتمل -والله أعلم- أن يكون مُتعلقًا بذكر الليلِ والنهار، فيُفيد إحاطةَ سمعه وبصره بأعمال العبادِ وأحوالهم، التي ظرفها الليل والنهار، والله أعلم[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ فلا يظهرُ لي في هذا السياق فرقٌ بين الإتيانِ والمجيء، إلا أنَّ المُغايرةَ في اللفظ من مُحسِّنات الكلام، وقد وردَ اللفظان في الخبر عن مجيءِ الله يومَ القيامة في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر]، وقوله سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والفعلان يستعملان متعدِّيَين ولازمين، فتقول: جاءَ فلان، وأتى فلان، أي حضرَ، وتقول: جاءَنا وأتانا، أي زارنا وأتى إلينا.

***

السؤال (١٣٦):

في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [النحل: ٦١]، هل يسوغُ القولُ: إنَّ الأنبياءَ داخلون في هذا العموم؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لا يسوغُ القول بأنَّ الأنبياء والمؤمنين المتقين داخلون في هذا العموم في الآية، وإنما يتناولُ العمومَ من حقَّ عليهم الوعيدُ من الظالمين، وما جرَت سنَّةُ الله بإهلاكه تبعًا لأولئك الظالمين؛ من دوابهم وغيرها من حيوانات الأرض.

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٢٣/ ٢٤٥)، والنسفي (٢/ ٤٥١).

وحاشا أنبياءَ الله وأولياءه أن يشملهم لفظ الدواب، بل الأصلُ في الدواب أنَّها البهائمُ وما أشبهها من الناس؛ وهم الكافرون ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥﴾ [الأنفال]، وقالَ تعالى في الكفار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقد دلَّ القرآنُ على أنَّه كلَّما نزل العذابُ بأمة من أمم الأنبياء؛ أنَّ الله يُنجي أنبياءه ومن معهم من المؤمنين، كما في قصة نوحٍ، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ. نعم؛ وإنْ كان اللهُ لو أرادَ إهلاكهم، لم يملك أحدٌ أن يمنعَ ما أرادَ سبحانه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ١٧]، وكما قالَ سبحانه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٢٨﴾ [الملك].

ونقولُ للسائل: من أين لك هذا السؤال؟! أهو من تفكيرك وما ألقاه الشيطانُ إليك؟ أم قرأته لأحد قالَ به[(١)]؟! نعوذُ بالله من وساوس الشيطان.

***

السؤال (١٣٧):

شيخنا الفاضل: يقول الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ذكر الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لا تقف» قولين: لا تقل،

(١) ذكر الرازي أن هذه الشبهة مما يحتج بها الطاعنون في عصمة الأنبياء وأجاب عنها. ينظر: تفسيره (٢٠/ ٢٢٧)، وتفسير الخازن (٣/ ٨٣).

ولا ترم، وساق لكل منهما آثارًا، ثم قال: ويُزعَم أن معنى «لا تقف»: لا تتبع ما لا تعلم وما لا يعنيك، وناقش القول ورده، ورجح: ولا تقل! ما رأيكم بصنيعه؟ وماذا ترجحون؟ ولم أعرف مستنده في العربية فهلا وضحتموه؟ أحسن الله إليكم.

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده؛ أما بعد: فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ذكر ابن جرير[١] في معنى (ولا تقفُ) ثلاثة أقوال:

الأول: لا تقلْ ما ليس لك به علمٌ؛ فتقول: رأيتُ، ولم ترَ، وسمعتُ، ولم تسمع.

الثاني: لا ترْمِ أحدًا بما ليس لك به علم.

الثالث: ولا تقف، أي: لا تَتّبع. وضعَّف ابن جرير هذا القولَ الأخير؛ إذ صدَّره بقوله: «ويُزعم أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لا تتبعْ ما لا تعلمْ ولا يعنيك»[٢]، ورجَّحَ القولَين الأولين، وقال: «هذان التأويلان مُتقاربا المعنى؛ لأنَّ القولَ بما لا يعلمه القائل يدخلُ فيه شهادةُ الزور، ورميُ الناس بالباطل، وادعاءُ سماعِ ما لم يسمعْه، ورؤيةُ ما لم يره»[٣].

ولعل ترجيحَه لهذين القولين دون الثالث لأنَّهما المرويان عن مُفسِّري السلف: ابن عباس وقتادة ومجاهد، وقد عزاها إليهم بأسانيدها.

---

(١) (١٤/ ٥٩٣).
(٢) (١٤/ ٥٩٥).
(٣) (١٤/ ٥٩٥).

والذي يظهرُ لي أنَّ القولَ الثالث لا يُنافي القولَين الأوَّلين، بل إنَّه مُناسبٌ للفظ الآية؛ فإنَّ (القفو) من القَفا، فيُقال لمن تبعَ غيره: قَفَاه. ومَن ادَّعى عِلم ما لم يعلم، أو رمى غيره بقول أو فعلٍ لم يقعْ؛ فهو متَّبعٌ لدعواه[١].

وقد أضافَ اللهُ الاتباعَ المذموم في أمور معنويةٍ؛ كالظن والهوى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، فيدخلُ في عموم هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ كلُّ كذب؛ كذبٍ على الله أو على رسوله ﷺ، أو على أحدٍ من العباد، بل حتى كذبَ الإنسان على نفسه، كأن يُري الإنسان عينيه ما لم تريا في اليقظةِ أو في المنام، قال ﷺ: «**إن مِن أفرى الفِرى أن يُري عينيه ما لم تر**»[٢]، فيشملُ ذلك القولَ على الله بغير علمٍ، وشهادةَ الزور، وبَهتَ البريء، والقولَ على الله في ذاته وأسمائِه وصفاته بغير علم.

فتبين بذلك أن الآيةَ عامةٌ في كل كذبٍ وباطل. والله أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء الثلاثين من شهر ربيع الآخر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٩)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٥٧-٢٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

السؤال (١٣٨):

ما رأيكم في هذا التفسير لبعض الإخوة: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا﴾ [الإسراء: ٧٦] **من أساليب أهلِ الشر استفزاز أهل الخير ليُخرجوهم من مواقع التواصلِ الاجتماعي؛ كالتويتر، والفيس بوك إلخ.**

الجواب:

الحمد لله؛ الاستفزازُ: الاستخفاف[1]، والاستفزازُ من الأرض هو الحملُ على التحول عن الأرض خوفًا من العدوان، والآيةُ تدلُّ على أنَّ الكفار لم يستفزُّوهم، بل كادوا، وما هاجرَ النبي ﷺ لاستفزاز الكفار له، بل هاجرَ بإذنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولو أخرجوه اضطرارًا لأهلكَهم الله، ولم يلبثوا بعده إلا قليلًا، كما أخبرَ سبحانه: ﴿وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦﴾ [الإسراء].

وحملُ أهْلِ الباطل أهلَ الدعوة والإصلاح على ترك هذا السبيلِ هو نوعٌ من استفزاز أهل الباطلِ لأهل الحق إذا استجابوا لهم وتركُوا ما هم عليه، وما ذكره هذا المفسر إنما هو تشبيهٌ للاستفزاز من الحق لتركه بالاستفزاز من الأرض، وهذا المعنى لعلَّه أُدخلَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾ [الإسراء]، والله أعلم.

***

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٨).

السؤال (١٣٩):

ما رأيُ فضيلتكم في هذه العبارة: قُل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يُطبِّقوا هذا القرآن لا يستطيعون تطبيقَه كاملًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه المقولةُ دعوى لا دليلَ عليها، واللهُ تعالى إنما أخبر عن عجز الإنسِ والجن أن يأتوا بمثلِ القرآن، ولم يُخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن عجز الإنسِ والجن أن يعملوا بهذا القرآن.

ولا ريب أنَّ مجموعَ من آمن من الجنِّ والإنس قد عملوا بكل ما في القرآن من الأوامرِ والنواهي.

نعم؛ الواحدُ من المؤمنين يمكن أن يُقالَ إنَّه عاجز عن العمل بكل ما في القرآن على وجه التمام، ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، فغاية ما يفعله العبدُ من طاعة الله ما كان مستطيعًا له، وهذا ما كلَّفه الله به، ولهذا أمرَ النبيُّ ﷺ بالاقتصاد في العبادة، وقالَ ﷺ: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا، ولا تنفِّروا**»[(١)]، وقال: «**القصدَ القصدَ تَبْلُغوا**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا..**» رواه البخاري[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩) -واللفظ له- ومسلم (١٧٣٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) برقم (٣٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والحاصل: أنَّ هذه العبارة المسؤولُ عنها من خيال من اخترعها، وجعلَ لفظ الآية قالبًا لها مغيرًا لفظها بما يتفقُ مع فكرته الخاطئة، فكان بهذا مُخطئًا لفظًا ومعنى، واللهُ أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء العاشر من شهر رمضان من عام أربع وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٤٠):

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] ﴿عَلَى﴾ في الآية هل هي استعلاءٌ حسِّيٌّ أو معنوي؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه؛ أما بعد:

بل هو استعلاءٌ حسِّيٌّ، ولكن الأولى تركُ الحِسِّي إلى ذاتي، فيُقال: استوى بذاته. وهذا هو محلُّ النزاع بين أهلِ السنَّة والمُبتدعة المُعطِّلة، فإنَّهم لا يُنكرون العلوَّ المعنوي، وهو علوُّ القدْر وعلوُّ القهر، ولكن يُنكرون علوَّ الذات(١).

***

(١) ينظر: شرح الطحاوية لشيخنا (ص١٩٣).

السؤال (١٤١):

لم يذكر الله العم والخال في آية المحارم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وسمعتُ بعضهم يقول: إنَّ الله لم يذكرهما لأنَّهما يصفان لمن عندهم، فأمرت المرأة ألا تُبدي الزينة لهما، مع أنَّ هذا التعليلَ يمكن أن ينطبقَ على أغلب المذكورين؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ لم يذكر اللهُ العمَّ والخال ممن استُثني من النهي عن إبداء النساء زينتهن لهم في آية النورِ مع أنَّهم محارمٌ على الصحيح، فذَكَرهما في آيةِ المُحرَّمات من النساء في قوله: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]، فعلَّل ذلك بعضهم بأنَّ أبناءهما يحلُّ لهم نكاحُ بنات عمِّهم وخالهم، فيمكن للعمِّ والخال أن ينعتوهن لأبنائهم، وهذا تعليلٌ ضعيف عليلٌ؛ لأنَّ ممَّن ذُكر في المستثنين من يمكن أن يقعَ منه ذلك، كالنساء في قوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، أو أبي الزوج في قوله: ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

والأولى أن يُقال: اقتصرَ على من ذكرَ في آية النورِ من المحارم؛ لأنَّهم أكثرُ مُخالطةً للنساء من العم والخال.

والصوابُ ما ذهبَ إليه الجمهور من أنَّ العمَّ والخال من المحارم(١)؛ لتحريم بناتِ الأخ وبنات الأخت، ولما ثبتَ عن النبي ﷺ أنَّه قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أفلح أخي أبي القُعَيس: «**ائذني له؛ فإنه عمك**»(٢)؛ أي: من الرضاع، فالعمُّ من النسب أقوى منه وأولى، والله أعلم.

❊❊❊

---

(١) وحُكي الإجماع على ذلك. ينظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٦)، ومسلم (١٤٤٥).

السؤال (١٤٢):

قوله سبحانه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ۝٤٢﴾ [النمل]، والآية بعدها، ما المقصودُ بذلك؟ ومن قائل ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ القولُ الصحيح أنَّ القائل سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والمقصودُ بالعلم: العلمُ بالله وبدينه، وكمالِ قدرته وعلمه، كما هو قولُ مجاهد[١]، ويشهد لهذا قولُه تعالى في أول القصة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٥﴾ [النمل].

***

السؤال (١٤٣):

احتجَّ بعضُ الجهمية المعاصرون أنَّ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤوِّلٌ في الصفات، حيث قالَ في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: «إلا ملكَه»، فهل هذا صحيحٌ؟ وهل هو تأويلٌ؟ وكيف يُردُّ عليهم؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] في قوله: ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ ثلاثة أقوال:

١- ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾: إلا هو.

٢- إلا ما أُريدَ به وجهه.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٧٩).

٣- إلا ملكه.

ذكر منها ابنُ جرير الأول والثاني، ولم يُسند أيًّا منهما، ولم يُعين القائل[(١)].

وأسند القول الثاني عبدُ بن حُميد عن ابن عباس، وابنُ أبي حاتم[(٢)] عن مجاهد، والبيهقيُّ[(٣)] عن سفيان الثوري، كما في الدر المنثور[(٤)].

وحكى البغوي في تفسيرِه[(٥)] وكذا الماوردي[(٦)] الأقوالَ الثلاثة، وعزا الماوردي القولَ الأول للضحاك.

والقولُ الثالث هو الذي ذكره البخاري في تفسير الآية، واختلفَت نسخُ البخاري في هذا الموضعِ، ففي النسخِ التي بأيدينا: «﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ملكه»[(٧)].

وفي رواية أبي ذر للصحيح التي حقَّقَها الشيخُ عبد القادر شيبة الحمد -جزاه الله خيرا- (٣/ ١٠٠): بلفظ: «يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ملكه» أ.هـ أي مُصدّرًا بصيغة التمريض (يقال).

وقالَ الحافظُ ابن حجر في «الفتح»[(٨)]: وفي رواية النسفي: وقالَ معمر: إلا ملكه، ثم استدركَ الحافظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الموجودَ في كتاب

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١٨/ ٣٥٣).
(٢) برقم (١٧٢١٤).
(٣) شعب الإيمان (٦٤٩٠).
(٤) (٦/ ٤٤٧).
(٥) (٦/ ٢٢٨).
(٦) (٤/ ٢٧٢-٢٧٣).
(٧) (٦/ ١١٢).
(٨) (٨/ ٥٠٥).

«مجازِ القرآن» لمعمر: «﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو، وهو كذلك في النسخة المطبوعة من «مجاز القرآن»[(١)].

وعزا الثعلبيُّ[(٢)] في تفسيره هذا القولَ -أي: إلا ملكه- إلى ابن كيسان، ونقلَ ذلك عن الثعلبي ابنُ تيمية، كما في «مجموع الفتاوى»[(٣)].

إذا تقرَّرَ ذلك فنستنتجُ الأمورَ الآتية:

أولًا: أنَّ القولَ الثاني ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ما أُريدَ به وجهُه، هو المأثورُ عن أكثرِ السلف.

ثانيًا: أنَّ القولَ الأول ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو، هو الذي عليه أكثر المتأخِّرين من المُفسِّرين، وهو يتضمنُ تفسيرَ الوجه بالذات، فمن كان من مُثبتة الوجه والصفات لله، وأرادَ أن الآيةَ تدلُّ على إثبات البقاءِ وإثبات الوجه لله، فقد أصابَ؛ فإنَّ الآيةَ تدلُّ على الأمرين معًا، ومن كان من نفاة الصفات، وأراد تفسيرَ الوجه بالذات لصرف الآية عن الدلالة على إثبات الوجه، فقوله من التأويلِ الباطل.

ثالثًا: أنَّ القولَ المأثور عن السلف لا يُنافي قولَ من قال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو؛ فإنَّ السلف يستدلون بالآية على بقائه سبحانه، وعلى بقاءِ ما أُريد به وجهه من الأعمال، وسياقُ الآية يقتضي ما جاءَ عن السلف: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ما أُريدَ به وجهه؛ فسياقُ الآية في تقرير التوحيدِ والنهي عن الشِّرك، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

---

(١) (٢/ ١١٢).
(٢) (٢٠/ ٥٢٤).
(٣) (٢/ ٤٢٨).

رابعًا: أنَّ القولَ الثالث (إلا ملكه) لا يصحُّ الاعتراضُ به على البخاري، ولا ينسبُ البخاريُّ به إلى التأويل:

١- لأنَّه ذكره حاكيًا له.

٢- ولما تقدَّم من اختلاف نسخ الصحيحِ في هذا الموضع، وأنَّ هذا اللفظ (إلا ملكه) إنما وقعَ في رواية النسفي، حكايةً عن معمر أبي عبيدة.

والأشبهُ أن لفظة (إلا ملكه) تحريفٌ من الناسخ؛ لأنَّه خلافُ ما في كتاب أبي عبيدة، كما تقدَّم.

وبهذا ليس لأحد أن يحتجَّ بما وقعَ في هذا الموضع من الصحيح على أنَّ البخاري من أهل التأويل؛ فإنَّ مذهبَ البخاري في الصفات والوجهِ معروفٌ، والله أعلم.

***

السؤال (١٤٤):

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، **هل معناه أنَّ كلَّ أحدٍ من المؤمنين سيُبتلى في دينه، أو هو حكايةٌ عن حال ماضيةٍ؟**

الجواب:

الحمد لله؛ الظاهرُ -والله أعلم- أنَّ الآية لا تدلُّ على أنَّ كلَّ من ادَّعى الإيمانَ أنه سيُبتلى حتمًا، لكنها تدل على أنه حتمًا مُعرَّضٌ للابتلاء، وأنَّ من ظنَّ أنَّه لا يُبتلى بل يتركه الله ولا يبتليه فهو جاهلٌ ضالٌّ؛ لأنَّ اللهَ أكذبَ مَنْ ظنَّ هذا الظن بقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن

يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ٢]، وهذا استفهامُ إنكارٍ يدل على بطلان هذا الحسبان.

والابتلاءُ أنواع، والناس متفاوتون فيه قدرًا ونوعًا، ومن حكمته تعالى في ابتلاء العبادِ كشف حقائقهم: إيمانًا ونفاقًا، أو صبرًا وشكرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد]، وقال سبحانه: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ [العنكبوت].

فمن الناس من يزدادُ بالابتلاء إيمانًا، ومنهم من يزداد كفرًا وضلالًا، ومنهم من يكون الابتلاءُ سبب ردته عن الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج]، وقال في شأن غزوةِ الأحزاب: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [الأحزاب].

ومن الناس من يُعافَى فلا يتعرَّضُ للابتلاء، فلا يحصلُ له مثل ما حصل للذين ابتلوا من خير أو شر، وقد ذكرَ الله جملةً من حِكمه فيما جرى على المؤمنين في غزوة أحد، فقالَ تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ

مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران].

وقد دلَّ الكتابُ والسنَّة على أنَّ الرسلَ وأتباعهم من المؤمنين أكثر تعرضًا للابتلاء وأشدُّ ابتلاءً؛ يدلُّ لذلك ما جاءَ في القرآن من قصص الرسل مع أممِهم، وما جاءَ في السنَّة ممَّا جرى للنبي ﷺ من أذى المُشركين والمنافقين.

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ عن الأنبياء في هذا الشأن، كما في حديث سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثُمَّ الأمْثلُ فالأمثل، فيُبْتلى الرّجُلُ على حَسَبِ دينه**»(١)، الحديث. هذا؛ ونسألُ اللهَ العفوَ والعافية في الدنيا والآخرة.

***

السؤال (١٤٥):

كثيرًا ما يُفسَّر قولُ اللهِ تعالى: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت] **بأنه ظهورُ أثرِ علم اللهِ، فهل هذا صحيحٌ؟**

الجواب:

الحمد لله؛ من أصول الإيمان: الإيمانُ بعلمِ اللهِ القديمِ المحيطِ بكلِّ شيءٍ، بمعنى: أنَّ اللهَ لم يزل عالمًا بكلِّ شيءٍ من الموجودات

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٤)، والترمذي (٢٣٩٨) اللفظ له، وصححه، وصححه ابن حبان (٢٩٠٠-٢٩٠١) ولابن ماجه (٤٠٢٣) نحوه.

والمعدومات، فهو تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [آل عمران].

والآياتُ الدالةُ على هذا الأصلِ كثيرةٌ في كتاب الله، فهو تعالى يعلم كلَّ ما في السماوات وما في الأرض، ما يُسِرّ العبادُ وما يُعلِنون، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [آل عمران].

إذا تقرَّر هذا؛ فيجب أن يُعلمَ أنَّ اللهَ يعلم الأشياءَ على ما هي عليه، فيعلم الموجودَ موجودًا، والمعدومَ الذي لا يوجد يعلمُه كذلك، ويعلم المعدومَ الذي سيوجدُ، يعلم أنَّه معدومٌ سيوجد؛ فإذا وُجد علِمه موجودًا بعد أن كان يعلمُه معدومًا سيوجد، مثل هذه الآية، وهي قولُه تعالى: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأمثالهما.

فهذا العلمُ المترتِّبُ على وجود الصادقين أو الكاذبين، ومَن يتَّبعُ الرسولَ ومَن ينقلب على عقبيه = هو علم هذه الأمور موجودةً متحقَّقة في الواقع، وقد كان اللهُ يعلمُها قبل ذلك لكن يعلمُ أنَّها ستُوجد.

واللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يبتلي العبادَ بأنواعٍ من الابتلاءات؛ لتظهر هذه الحقائق فتكون أمورًا واقعيةً بعد أن كانت مقدَّرة؛ كي يترتَّب الجزاء على هذه الأعمال، فمِن حكمتِه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن رتَّبَ الثوابَ والعقابَ

على ما يُوجد من أعمال العباد، فلا يُعاقبُ أحدًا بمحض مُقتضى علمه، وذلك من كمال عدلِه وكمالِ حكمتِه، وهو الحكيمُ العليمُ، فله الحمدُ والثناءُ الحسنُ، والله أعلمُ[(١)].

حرر في يوم الأحد الثامن عشر من شهر ربيع الثاني من عام خمسة وعشرين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٤٦):

جمهور النحويين وكثيرٌ من المفسرين يفسرون أهون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٢٧] بهين، ورأيت علماءَ أهل السنَّة يقولون: إنَّ أفعلَ التفضيل في الآية على بابه، مثل شيخ الإسلام[(٢)]، بل رأيتُ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (إنَّ تفسيرَ أهون بمعنى هيِّن غلط)، «تفسير الحجرات إلى الحديد» (ص: ٢٥٠). وسمعت بعض طلابِ العلم يقول: إنَّ تفسير أهون بهين له تعلقٌ بالعقيدة؛ من جهة القول بالتفاضل في صفات الله، أرجو شرحَ ذلك؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فمعلومٌ أنَّ جميعَ المؤمنين -بقدرة الله على كل

(١) ينظر: التفسير البسيط (٣/ ٣٧٨)، وأضواء البيان (١/ ١٠٤).
(٢) ينظر: الرد على المنطقيين (ص٣٦٥)، ومسألة حدوث العالم (ص٤٢).

شيء- يعلمون ويؤمنون أنَّه لا تفاوت في قدرته تعالى على كل صغيرٍ وكبير، وقليل وكثير، فقدرتُه كاملة بالنسبة إلى كل شيء، فليس هو أقدرُ على الصغير أو القليل منه على الكبير والكثير؛ لأنَّه تعالى إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، وقال سبحانه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وخلقُه للسماوات والأرض في ستة أيام، وكذا خلقُه ما شاء أطوارًا، راجعٌ إلى اقتضاء الحكمةِ لذلك، لا لقصورٍ في القدرة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] فهو خطابٌ للناس بحسب معقولهم وعادتِهم أنَّ الإعادةَ أهون على الفاعل من الابتداء[1]، ففيه أبلغُ الردِّ على المُنكرين للبعث المقرِّين بالخلق الأول؛ فموجَب عرفهم وإقرارهم أن يُقرُّوا بالإعادة أعظمَ من إقرارهم ببدء الخلق، والذين قالوا: إنَّ أفعل التفضيل في الآية على غير بابه لم ينظروا إلى مراعاةِ المتكلم لمعقول المُخاطبين ولعادتهم، زيادةً في إفحامهم والاحتجاج عليهم، وهذا من قبيل ما في القرآن من الاحتجاج على المخاطَبين بدلالة العقل، وهو كثير، ولا سيما في أدلة التوحيدِ والمعاد، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، أقول: إنَّ الذين قالوا: إنَّ أفعل التفضيل في الآية على

(١) هذا اختيار الفراء، والمبرد، والزجاج. ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٨٣)، والتفسير البسيط (١٨/ ٤٤).

غير بابه، لم ينظروا إلى مراعاة المتكلم لمعقول المُخاطَبين وعادتهم، وفَرُّوا ممَّا يدلُّ عليه أفعل التفضيل في الأصل من تفاوت قدرةِ الله؛ لأنَّهم يؤمنون بكمال قدرته تعالى، وأنَّه لا تفاوت فيها، ولا أعلمُ أنَّ قولهم هذا له تعلقٌ بعقيدة تُخالفُ اعتقادَ أهل السنَّة، والله أعلم.

حرر في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر شعبان من عام ثمانية وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٤٧):

قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة] **إذا فسرَ العذابُ الأدنى في الآية بأنه عذابُ القبر، فما فائدةُ قوله تعالى:** ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة] فسَّرَ بعضُ السلف العذابَ الأدنى بعذاب القبر(١).

وقد استُشكلَ هذا مع قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ بأنَّ عذابَ القبر لا رجعةَ بعده ولا رجوع.

---

(١) وهو قول البراء، ومجاهد في رواية عنه، ونسبه ابن القيم في الروح (١/ ٢٢٠) لابن عباس ولم نجده فيما تيسر لنا من مراجع. ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٣١)، والتفسير البسيط (١٨/ ١٥٦).

والجوابُ عن ذلك أنَّ من فسَّرَ العذاب الأدنى بعذاب القبر أرادَ أنَّه من العذابِ الأدنى قبل عذاب النار، وهو أهونُ من عذاب النار.

وفُسِّرَ العذاب الأدنى بما يُصيبهم من المصائب(١)، وهي عذابٌ مُعجَّل لهم، وهذا هو الذي توعَّدهم الله به لعلهم يرجعون.

فالعذابُ الأدنى اسمٌ لما يكونُ في الدنيا وما يكون في البرزخ، والله إنَّما قال: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾، ولم يقل: ولنُذيقنَّهم العذابَ الأدنى، فالآيةُ من أدلة أهلِ السنَّة على عذاب القبر؛ لأنَّ العذاب الأدنى يعمُّ كلَّ ما يُعذَّب به الكفار قبل دخولِ النار في الدنيا وفي البرزخ، وانظر كتاب الروحِ لابن القيم(٢)، وتفسيرَ ابن كثير(٣)، رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

***

السؤال (١٤٨):

إشارة إلى سورة الأحزاب، الآية رقم (٤٠)، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ما هو الفرقُ بين الرسولِ والنبي؟ لماذا قال: ﴿رَّسُولَ﴾، ولم يقل: (الرسول الأخير)؟

الجواب:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد: الفرقُ المشهور بين النبي والرسول: أنَّ الرسولَ

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٦-٦٢٩).

(٢) قال ابن القيم: «فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: من العذاب الأدنى، ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى فتأمله» الروح (١/ ٢٢٠).

(٣) (٦/ ٣٦٩).

من أُوحيَ إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه، والنبيُّ من أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه[١].

ولكن هذا الفرقُ لا يسلمُ من إشكالٍ، فإنَّ النبيَّ مأمورٌ بالدعوة والتبليغ والحُكْم، ولهذا قالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية: الصوابُ أنَّ الرسول: هو من أُرسلَ إلى قوم كفارٍ مُكذِّبين، والنبيُّ: من أُرسلَ إلى قوم مؤمنين بشريعة رسولٍ قبله، يُعلِّمهم ويحكمُ بينهم، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، فأنبياء بني إسرائيل يَحْكُمون بالتوراة التي أنزلَ الله على موسى[٢].

وأما قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولم يقل: (خاتم المرسلين)؛ فلأنَّ ختمَ الرسالة لا يستلزمُ ختم النبوة، وأما ختم النبوةِ فيستلزمُ ختمَ الرسالة، ولهذا قالَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّه لا نبيَّ بعدي**»[٣]، ولم يقلْ: لا رسول بعدي، فعُلم أنَّه ﷺ لا رسولَ بعده ولا نبي، بل هو ﷺ خاتمُ النبيين والمرسلين عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[٤].

حرر في يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر جمادى الآخر من عام واحد وعشرين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٥٥)، وفتح الباري (١١/ ١١٢).
(٢) ينظر: النبوات (٢/ ٧١٤ - ٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).

السؤال (١٤٩):

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ ما مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين؟

الجواب:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، أما بعدُ: فقد خُتمت الآية الكريمة بهذين الاسمين: «العزيز» و«الغفور» لأنَّهما يقتضيان الخوفَ والرجاء؛ فلعزته يُخاف، ولمغفرته يُرجى، فتضمَّن الاسمان ما يقتضي من العبد الخوف والرجاء؛ فالجمعُ بينهما من قبيل الجمع بين الوعد والوعيد، ولعل تأخير «الغفور» وقع رعايةً للفواصل، وأيضًا: تقديمُ العزيز مناسب لذكر الخشية من العلماء، فلعزتِه يخشاه العالمون به، وهم مع ذلك لا يقنطون، والله أعلم.

حرر في يوم الأحد السابع من شهر رمضان من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٥٠):

لـمَ جاءَ التعبيرُ بـ«أحد» دون «واحد» في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، مع أن واحدًا تُفيدُ الفرْدية، وأحدًا تُفيدُ التكرار؛ لأنَّها معدولةٌ عن واحد -كما قيل- فهي مثلُ قولك: ثلاث ورُباع؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ «الواحد» و«الأحد» من أسماء الله يدلان على إثبات وحدانيته تعالى، وتنزيهه عن الشريك والشبيه، فليس كمثله شيءٌ؛ لا في

ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعالِه، ولا شريكَ له في ربوبيته، ولا إلهيته، ولا في صفاته عَزَّوَجَلَّ.

وقد ورد اسمه «الواحد» في مواضع من القرآنِ، وجاءَ مقرونًا باسمه «القهار» في مواضع، ولم يَرِدْ اسمهُ «الأحد» إلا في سورة الإخلاص؛ ولعل ذلك -والله أعلم- لأن أحدًا أدلُّ على التوحيد، ولهذا يدلُّ بعد النفي على عموم النفي، وتدخل عليه «مِنْ» المؤكدة للعموم، تقول: ما في الدار أحدٌ، أو مِنْ أحد.

فعلى هذا يُقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أبلغُ من «اللهُ واحد».

وسورةُ الإخلاص هي صفة الرحمن[(١)]، وقد أُخلصت لذلك، فلا غرْو أن تختصَّ بهذا الاسم، مع ما في لفْظِهِ من حصول التناسب بين رؤوس الآيات، وبديع الجناسِ مع لفظ ﴿أَحَدُۢ﴾ في آخر السورة.

و«أحد» ليس معدولًا عن «واحد»، فلا يدل على التكرار كما ظنَّه السائل، وإنَّما المعدولُ: «أُحادُ»، كـ «ثُلاثَ» و«رُباعَ»، والله أعلم.

***

(١) ينظر: صحيح البخاري (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم (٨١٣).

القسم السادس عشر: التفسير وإعراب القرآن

السؤال (١٥١):

ذكر كثيرٌ مِنْ أهل العربية والتفسير أنَّ الباء في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ للاستعانة، وقرأْتُ في «مغني اللبيب»[١] أنَّ باء الاستعانة هي الداخلةُ على الآلة؛ كذبحْت بالسكين، فكيف يصحُّ قولُ السمين الحلبي[٢]؟ وهل هو لائقٌ بكتاب الله تعالى؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ من القواعد المقررة في علم النحو: أنَّ الجارَّ والمجرور الذي حرفُ الجرِّ فيه أصليٌّ -لا زائد- لا بدَّ له مِنْ عامِل، وهو ما يُعبَّر عنه بالمُتعلَّق، ومِنْ ذلك في القرآن الجارُّ والمجرور في البسملة.

ولمَّا لم يُذْكر المتعلَّقُ إلا في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وفي قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] على أحد وجوه الإعراب؛ اختلف المفسرون وأهلُ العربية في تقدير المتعلَّق؛ فمنهم من قدره مُتقدِّمًا، ومنهم من قدَّره متأخِّرًا، ورُجِّحَ هذا بأنَّ تأخيرَ العامِل يُفيدُ الحَصْر.

---

(١) (٢/ ١٢٦)، وينظر: الجنى الداني (ص٣٨).

(٢) الدر المصون (١/ ١٤).

واختلفوا في تقدير العامل؛ فمنهم من قدره بفعل يُناسِبُ المقام، مثل: بسم الله أقرأ، أو أكتب، أو آكل، أو أذبح، أو أدخل، أو أخرج، والباء على هذا للاستعانة، ويكون المعنى: أقرأ مستعينًا بالله، أو أكتب أو آكل.

ومنهم من قدَّرَهُ «أَسْتعينُ» في جميع المواضع، و«الباء» على هذا للتَّعْدِية، فإنَّ فِعْلَ الاستعانة يتعدى بنفسه وبالباء[1]، كما قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وقال ﷺ: «**إذا استعنْتَ فاستَعِنْ بالله**»[2].

وعلى كلا التقديرين فإنَّ المقصودَ مِنْ قول القائل «باسم الله» الاستعانَةُ به سبحانه على الأمر المقصود مع ذكر اسمه نُطْقًا، وهذا ما يفيده دخول كلمة «اسم» بين حرف الجر ولفظ «الله».

وقول النحويين إنَّ «باء» الاستعانة هي الداخلةُ على الآلة؛ تقصيرٌ منهم، فإنها -على هذا- تختصُّ بما يَسْتعينُ به المخلوقُ مِنَ الآلات؛ كالقلم، والسكين، فلا تتناول «باءَ» البسملة وما أشبَهَهَا؛ كقول القائل: أجاهد بالله، وأسمع وأبصر بالله؛ أي: بمعونته، وكقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

فينبغي أن يقال في «باء» الاستعانة: هي الداخلةُ على المُستَعانِ به مُطْلقًا؛ مما يستَقِلُّ بالعون؛ وهو الله، أو لا يستَقِلُّ؛ وهو سائرُ ما يُستعانُ به من الأسباب التي قدَّرَها اللهُ وأوجدَهَا.

---

(١) ينظر: المجيد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٢٤)، والدر المصون (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن منده في التوحيد (٢٤٨): «هذا إسناد مشهور، رواه ثقات، وقيس بن الحجاج مصري روى عنه جماعة، ولهذا الحديث طرق عن ابن عباس، وهذا أصحها».

كما أنَّ تفسيرَهُم لباء الاستعانة بالداخلة على الآلة يستلزم محذورًا؛ وهو نسبة الاستعانة إلى الله في أفعاله، كما قالوا في مثل قوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقة] ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة].

ولهذا آثر جمالُ الدِّين ابنُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنْ تُسمى هذه (الباء) باءَ السببية، وقد صرَّحَ بالحامل له على ذلك وهو تنزيهُ الله تعالى عن إضافة الاستعانة إليه في أفعاله عَزَّوَجَلَّ، قال: «النحويون يُعَبِّرون عن هذه «الباء» بباء الاستعانة، وآثرت على ذلك التعبير: بالسَّبَبِيَّة؛ مِنْ أجْلِ الأفعالِ المنسوبَةِ إلى الله تعالى، فإنَّ استعمالَ السببية فيها يجوز، واستعمالَ الاستعانة فيها لا يجوز»(١).

***

السؤال (١٥٢):

المعروفُ عند جمهور المعربين أن «الرحمن» في البسملة صفة للاسم الشريف «الله»، وذهبَ بعضُهم إلى إعرابه بدلًا، فهل في ذلك ملحظٌ شرعي؟

الجواب:

الحمد الله؛ ليس في إعراب (الرحمن) بدلًا مخالفة شرعية، لكن ملحظ مَنْ يعربه كذلك: أنّ العَلَمية في (الرحمن) أغلب عليه من سائر الأسماء الحسنى، فإنَّه لا يكادُ يُطلقُ إلا على الله، خصوصًا مع التعريف بـ(أل)، ولهذا جاءَ ذِكره في القرآن كثيرًا على غير موصوفٍ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ

---

(١) شرح التسهيل (٣/ ١٥٠).

﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الملك: ١٩]، ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ١٨]، ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

لكن إذا ورد (الرحمن) تابعًا للاسم الشريف (الله) كان الأولى إعرابه صفة؛ لأن العلمية في الاسم الشريف (الله) أظهر منها في (الرحمن)، فلا يُحتاج معها إلى ما يُبيِّنها، ولهذا قالَ العلماء: إنَّ الاسمَ الشريف (الله) أعرف المعارف(١).

فترجَّح في الإعراب اعتبارُ (الرحمن) صفةً لا بدلًا(٢)، والله أعلم.

***

السؤال (١٥٣):

ما إعرابُ الكاف في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٠٠]؟

الجواب:

الحمد لله؛ هي مفعولٌ مُطلقٌ أو نائبٌ عن المفعول المطلق؛ أي: ذكرًا كذكركم. والمعنى واضح(٣).

***

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (١/ ٢٢١).
(٢) ورجحه السهيلي ورد على من قال بأنه بدل. ينظر: نتائج الفكر في النحو (ص٤١).
(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٠٣).

السؤال (١٥٤):

ما إعراب الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء]؟

الجواب:

الحمد لله؛ يحتملُ أنَّ الواو هنا للاستئناف أو للحال، وكونها للاستئناف أولى؛ لأنَّه أبعدُ عن التقديرات والإيرادات، وفائدتُها -أي الجملة- التأكيد على ثنائه سبحانه على مَن اتبعَ ملةَ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، واللهُ أعلم[(١)].

***

السؤال (١٥٥):

ما الراجحُ في اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ﴾ [الروم: ٣٤] في سورة الروم، هل هي للتعليل أو للأمرِ المفيدِ للوعيد؟

الجواب:

الحمدُ لله؛ جاء هذا الحرفُ ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ [النحل: ٥٥] في ثلاثة مواضعَ من القرآن، متبوعًا بالأمر بالتمتع تهديدًا، قال تعالى في سورة النحل: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ﴾ [النحل: ٥٥]، وقال تعالى في العنكبوت: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى في سورة الروم: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الروم].

---

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٩٣)، والدر المصون (٤/ ٩٨).

واللام في ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ الأظهرُ أنَّها للعاقبة[1]، فعاقبةُ شِركهم هو الكفرُ بما أنعمَ الله به عليهم، ففي الآياتِ الثلاث جاءَ هذا الحرف ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ تعقيبًا على وصفِهم بالشِّرك بعدما أنعمَ الله عليهم بكشف الضرِّ والنجاة إلى البر، وإذاقتِهم من رحمته، فتدبَّر. والله أعلم.

حرر في يوم الثلاثاء السادس من شهر محرم من عام أربعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٥٦):

ما ترجيحكم في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، (من) هنا لابتداء الغاية أم لبيان الجنس؟ وهل يصح القول إن (من) هنا للتبعيض؟

الجواب:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، أما بعد:

فإنَّ مِن المستقر في عقيدة المسلمين أنَّ القرآن كلَّه شفاء لأمراض القلوب أولًا، ثم لأمراض الأبدان، كما يدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤]، ففي الآيتين وصفَ القرآن كلَّه بأنه شفاء، والله يشفي به مَن

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٧٩)، والبغوي (٥/ ٢٤).

يشاء، كما أنَّ القرآن هدى، والله يهدي به مَن يشاء، ومع ذلك فبعضُه أخصُّ بهذا الوصف مِن بعض، كما دلَّت السُّنة على اختصاص الفاتحة بفضل من هذا الوصف، كما في حديث أبي سعيد المتفق عليه في قصة اللديغ، إذْ قالَ ﷺ للرَّاقي: «**وما يدريك أنها رقية**»[(١)]، ولهذا كان من أسماء الفاتحة: الشافية[(٢)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] فأحسن ما قيل في (مِن): إنها بيان للموصول في قوله: مَا هُوَ شِفَآءٌ، وتقدم المبيِّن على المبيَّن جائز عند المحققين من أهل العربية، فتقدير الكلام: وننزل ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من القرآن، والقول بأن (مِن) للتَّبعيض ضعيف؛ لأنَّه خلاف ما دلَّت عليه الآيتان المتقدمتان، وقالَ بعضُ أهل العربية: إنَّ (مِن) في الآية لابتداء الغاية، وله وجه[(٣)]، لكن أولى منه أنَّها للبيان، كما تقدم[(٤)]، والله أعلم، نسأل الله أن يجعل القرآن لنا هدى وشفاء، وأن يشفي به ما في صدورنا.

حرر في يوم الخميس الثامن من جمادى الآخرة من عام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف.

❃❃❃

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦) -واللفظ له-، ومسلم (٢٢٠١).
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٠)، والإتقان (٢/ ٣٥٤).
(٣) ينظر: الدر المصون (٧/ ٤٠٢-٤٠٣)، وإعراب القرآن وبيانه (٥/ ٤٩٤).
(٤) ينظر: التفسير البسيط (١٣/ ٤٥٢)، وزاد المسير (٥/ ٧٩).

السؤال (١٥٧):

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٩١]، **لِمَ لَمْ يقل: (التي) تبعًا للبلدة؟ جزاكم الله خيرًا.**

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على مَن لا نبي بعده؛ أمَّا بعد:

فإنَّ الاسم الموصول «الذي» في موضع نصبٍ، صفةً لـ «رب»، لا «للبلدة»، وهذا هو المناسب للمعنى[(١)]؛ لأنَّ المقصود في السّياق: الإخبارُ عن المعبود، الموصوف بأنَّه ربّ البلدة، وأنَّه حرَّمها، ولدفعِ توهُّم تقييد الربوبيَّة بالبلدة جاءَ الاستطراد في قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾[(٢)]، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ تأكيدًا لقوله: ﴿أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ﴾، وليعطف على معموله: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النمل: ٩٢] أي: وأمرتُ أن أتلو القرآن.

وأيضًا: لو جاءَ الموصول صفة «للبلدة» لاحتيجَ إلى تقدير الفاعل اسمًا ظاهرًا، نحو: البلدة التي حرَّمها الله[(٣)]، وهذا يناسبُ لو كان المقصودُ ابتداءً: الإخبارُ عن تحريم البلدة، وليس كذلك، كما تقدَّم.

وأيضًا ففي جعل الموصول صفة لـ «رب» تذكيرٌ بنعمة الله عليهم بهذا التَّحريم، الذي هو أصل ما أنعم عليهم به مِن الأمن، كما امتنَّ

---

(١) ينظر: الدر المصون (٨/ ٦٤٧).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٧٦)، وتفسير السعدي (ص١٢٦٤).
(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٥٤)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢٤٦).

عليهم بهذا التَّحريم وبهذا الأمن في آيات، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، وهذا يقتضي أن يشكروه بعبادته وحده دون سواه، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش]. والله أعلم.

حرر في يوم الخميس الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٥٨):

أريدُ منكم شرحًا للمعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٨﴾ [الروم].

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد: فإنَّ هذه الآية تضمَّنت ضربَ مثلٍ من الله تعالى، مقصودُه أنه لا يجوز اتخاذُ شريكٍ لله من عبيده وخلقه، ولا يرضى الله عَزَّوَجَلَّ بذلك، كما لا يرضى السيدُ من البشر أن يكون مملوكه شريكًا له، بل اللهُ أولى ألَّا يكون مملوكُه شريكًا له.

فالمعنى أنَّه كما لا يرضى السيد أن يكون أحدٌ من عبيده شريكًا له، بحيث يخافه كما يخافُ الشركاء بعضهم بعضًا، فالله أحقُّ ألَّا يكون أحدٌ من عبيده شريكًا له.

وهذا التشبيهُ من باب قياس الأَولى الذي يعتبر فيه أن يكون المقيسُ أولى بالحكم، وهذا شأنُ الأمثالِ التي يضربها الله في القرآن لتقرير وحدانيتِه، وتنزيهه عن الشركاء، وهو تعالى لا تُضربُ له الأمثال التي فيها مماثلةٌ لخلقه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل].

وما ضربه الله من الأمثال -كما في هذه الآية- ففيه الدلالةُ على أنَّه تعالى أحقُّ بكل كمال، وأحقُّ بالتنزيهِ عن كل نقص، فهذه الأمثال التي ضربها الله لا تقتضي تشبيهه تعالى بخلقه في شيء من خصائصِهم، ولا تسويته بهم، وإنما المقصودُ بها تقريرُ التوحيد وإبطالُ الشرك بدلالة العقل، فإنَّ الأمثالَ أدلةٌ عقلية، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

ونظيرُ المثَل في هذه الآية المثَلان المضروبان في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل]، والله أعلم(١).

حرر في يوم السبت السابع والعشرين من شهر شوال من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر في توضيح هذه الأمثال في الآيتين: إعلام الموقعين (٢/ ٢٨١) وما بعدها.

السؤال (١٥٩):

هل يمكن الاستدلالُ من قول اللهِ تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ [الصافات] على كرويةِ الأرض؟ جزاكم الله خيرًا، وأمدَّ في عمرك على طاعتِه وخدمة دينه.

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه، أما بعد: فإن كون الأرض كُريَّةً هذا أمرٌ متفق عليه بين علماء المسلمين قبل علماء الهيئةِ المُعاصرين من الكافرين الذين يتبجَّحون بما عرفوه من كريَّة الأرض، وما زعموه من دوران الأرض، ويفخرُون على المسلمين بذلك.

وقد حكى شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن غير واحد من العلماء نقْل الإجماع على كريَّة الأرض والأفلاك، كما في «الرسالة العرشية» له[1]. وقد استدلوا على ذلك ببعض الآياتِ والأحاديث، وقد صارَ هذا أمرًا محسوسًا بعد أن كان معلومًا.

ولا يظهرُ لي أنَّ الآيةَ المذكورة في السؤال تدلُّ على المطلوب، وشبهةُ من ظنَّ ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ [الصافات] بناءً على أنَّ (كُلًا) تُفيد العمومَ المُطلق في كل مواردها، وهذا خطأٌ، فقد قالَ علماء الأصول والتفسيرِ واللغة: إنَّ عموم (كلٍّ) في كل مقام بحَسَبِه[2].

---

(١) ينظر: الرسالة العرشية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٦٥٥).

(٢) ينظر: الإحكام للآمدي (٢/ ٢٨٢)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٧١-٢٧٢).

ومعلومٌ أنَّ مُسْتَرِقي السمع يُقْذفون بالشهب الصادرة من الكواكب، فهي تأتيهم من كل جانب من أمامهم، ومن خلفهم، وعن يمينهم، وعن شمالهم، والهدفُ للشهب هو الجني أو الشيطان الذي يقتربُ من السماء؛ لأنَّه الذي يباشر الاستماع والاستراق، لأنَّ الشياطين الذين يريدون استراقَ السمع يركبُ بعضهم بعضًا، فإذا ظَفِر مُسْترق السمع بشيء من كلام الملائكةِ ألقاه إلى من تحته، والآخرُ إلى من بعده، كما جاءَ في صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضَى الله الأمرَ في السماء ضربَت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله**»، إلى قوله: «**فيسمعُها مُسترقُ السمع، ومُسترقُ السمع هكذا، بعضه فوق بعضٍ، فيسمعُ الكلمة، فيُلقيها إلى من تحته، ثم يُلقيها الآخرُ إلى من تحته**»، إلى قوله: «**فربما أدركَ الشهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدركه**».

وأما القولُ بدوران الأرضِ فهو من المُحدثات في هذا العصر، ولم يردْ لدوران الأرض مطلقًا ذِكرٌ في كلام العلماءِ المتقدمين -فيما أعلم- لا تقريرًا ولا نقلًا، وقد أنكرَه علماءُ المسلمين في هذا العصر إلا من كان يغلبُ عليه تقليدُ علماء الغرب وتصديقهم في كل ما يدَّعونه من النظرياتِ الكونية.

وظواهرُ الأدلة من القرآن والسنَّة تمنعُ القولَ بدوران الأرض، ولكن المفتونين بمُجاراة الغرب جعلوه من المُسلَّمات القطعية، وأدخلوه في مناهج التعليم ليغرسوه عقيدةً في قلوب أولاد المسلمين، وهم في ذلك

(١) برقم (٤٨٠٠).

مُقلِّدون؛ إذ لا يستطيعون إثباته بالبرهان، كدعوى الوصولِ إلى القمر، وقد وجدَ من الغربيِّين أنفسَهم من يُنازعُ في الوصول إلى القمر[1]، مع أنَّ هذه النظريات صحَّت أو لم تصح، لا يتعلق بها أيُّ مصلحةٍ للمسلمين، فالعلمُ بها لا ينفعُ، والجهلُ بها لا يضرُّ. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الأول من جمادى الأولى من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦٠):

ما معنى قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ [غافر]، **وهل هي من آياتِ الصفات؟**

الجواب:

الحمدُ لله؛ قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ هو من أدلة عُلوِّه تعالى، كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]، فرفيع بمعنى العلي، فهو سبحانه الرفيع والعليُّ بكل معاني الرفعة والعلو؛ ذاتًا، وقدرًا، وقهرًا.

واقتران (الرفيع) بـ (ذي العرش) ينبه إلى علوِّه تعالى بذاته فوق العرش، فتُشير إلى ما صرَّحت به آياتُ استوائه تعالى على عرشه.

---

(١) للاستزادة ينظر: الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض لابن باز، ورسالة حول الصعود إلى القمر لابن عثيمين.

وذِكرُ الدرجاتِ يرشدُ إلى رفعة القدْر، وذلك بما اتصفَ به سبحانه من صفات الكمال وأفعالِ الربوبية، ومن ذلك إلقاءُ الروح من أمره -وهو الوحي- على من يشاءُ من رسله لينذرَ يوم التلاقِ، و﴿مِنۡ﴾ بيانية، أي بيان للروح.

ويشبهُ هذه الآية قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل]، فتفيد أنَّ الإلقاءَ المذكور في هذه الآية هو من الله بإنزالِ الملائكة به، أو هو إلقاءُ الملائكةِ الوحيَ على الرسول.

وقد جاء ذكر الإلقاء مُسندًا إلى الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾ [المرسلات]، فإلقاءُ الوحي على الرسول يضاف إلى الله؛ لأنَّه الذي أنزله، وأنزلَ به ملائكته، ويُضاف إلى الملائكة؛ لأنَّهم الذين يُباشرون إلقاءه على الرسول بقراءته وتلاوتِه على الرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة]، وقوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ [الصافات].

وممَّا يُشبه هذا قولَه تعالى: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾ [القصص].

وعلى هذا فقد جاءت تلاوةُ القرآن مضافة إلى الملائكة، ومضافة إلى الله؛ لأنَّه الآمر بها، وقد أمرَ الله نبيَّه ﷺ بتلاوة القرآن على الناس، كما في قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝١٠٦﴾ [الإسراء].

ومما تقدَّم يتبينُ أنَّ ردَّ الآيات بعضُها إلى بعض مما يُوضِّحُ المراد بكل آية، وهذا معنى أنَّ القرآن يفسرُ بعضه بعضًا. والله أعلم.

***

السؤال (١٦١):

ورد في أواخر الآية العاشرة من سورة فصلت ذكر لفظ ﴿سَوَآءً﴾، هل بالإمكان تفعل خيرًا وتفيدني بالحالة الإعرابية من الجملة، وسبب كتابتها منصوبة؟

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فصلت] قرأ الجمهور: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على الحال من أيام، وقيل: من ضمير الأرضِ في قوله: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾، والأولُ هو الأصح[١].

وقرأ يعقوب بجر (سواء) صفة لأيام، وقرأ أبو جعفر بالرفع[٢]، على أنَّه خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، أي: هي سواءٌ. والله أعلم.

حرر في يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الآخر من عام خمسة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

(١) ينظر: الدر المصون (٩/ ٥٠٩).
(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٦٦).

السؤال (١٦٢):

ما الراجح في معنى الأزواج في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف]؟

الجواب:

الحمد الله؛ قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف] اختلف المفسرون[(١)] في المراد بالأزواج في الآية، فقيل:

أزواجُ المؤمنين مِن الحور العين. ويُشْكل على هذا أنَّه لا يناسبُه الأمرُ بالدُّخول، فإنَّ الحورَ مقيماتٌ في الجنَّة، ينتظرن أزواجَهُنَّ مِنَ المؤمنين.

وقيل: المراد ﴿أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾: نُظَراؤُكم في الإيمان والعمل الصالح. ويُشْكل على هذا أنَّ الخِطاب في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ لجميع المؤمنين، فلا يناسِبُهُ عطفُ الأزواج بمعنى النُّظَراء؛ لأنه يَصِيرُ مِنْ عطف الشيء على نفسه.

وقيل: ﴿أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾: قُرناؤُكم مِنْ زوجاتٍ وأولادٍ وأصحاب. وهذا أقرب من الذي قبله.

وقيل: ﴿أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾؛ أي: زوجاتُكم مِنَ المؤمنات. وهذا داخلٌ في الذي قبله، وهو أخَصّ، وهو أظهر من حيث العادة في مثل هذا التركيب، فمِنَ المعتاد توجيهُ الخطاب إلى الرِّجال وعطفُ زوجاتِهم عليهم، فتكون كقوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٥/ ٢٨٣)، والقرطبي (١٦/ ١١١).

وعلى هذا فتكون (الأزواج) هنا نظيرَ (الأزواج) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]. والله أعلم.

حرر في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الأول من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦٣):

ما الراجحُ في تفسير «الكتاب» في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق]؟ وما المرادُ بالعندية في الآية؟

الجواب:

الحمد لله؛ الراجحُ أنَّ الكتاب في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ أنه اللوح المحفوظ(١).

وكثيرًا ما يقرنُ الله بين العلم والكتاب في القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج]، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] إلى أن قال: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٤)، والماوردي (٥/ ٣٤١).

والعندية في الآية عندية مكان ومِلْك، فهي تشبه العندية في قوله ﷺ: «**لما قضى الله الخلقَ كتبَ في كتابه -فهو عنده فوق العرش-: إنَّ رحمتي غلبت غضبي**»(١)، والله أعلم.

***

السؤال (١٦٤):

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق]، **ما معنى التسبيح بحمد الله؟ جزاكم الله خيرا.**

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد، قالَ كثيرٌ من المفسرين: المرادُ بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب: صلاة الفجر وصلاة العصر؛ لأنَّ الصلاة مشتملةٌ على التسبيح والتحميد(٢)، والآيةُ تشملُ التسبيحَ في الصلاة وخارجَ الصلاة، فيكون المراد التسبيح مطلقًا في هذين الوقتين قبل طلوعِ الشمس وقبل غروبها(٣)، وأعظمُ ذلك وأفضله: صلاة الفجر وصلاة العصر، كما قالَ ﷺ: «**فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) -واللفظ له-، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٦٧)، والمحرر الوجيز (٨/ ٥٧).

(٣) هو قول عطاء الخرساني وأبي الأحوص ينظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٥٦)، والقرطبي (١٧/ ٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤) -واللفظ له-، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والتسبيحُ أن تقول: سبحانَ الله وبحمده، أو: سبحان الله والحمد لله، وفي الصلاة: سبحانَ ربي العظيم في الركوع، وسبحانَ ربي الأعلى في السجود.

ومعنى تسبيح الله: تنزيهُه عن النقائص، ومعنى حمده؛ أي: الثناءُ عليه بأنَّه المُستحقُّ للحمد كله؛ لأنَّه الموصوفُ بجميع المحامدِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والله أعلم.

حرر في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر صفر من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦٥):

ما معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن]، وهل يُفهمُ من الآية أنَّ الجنِّيَّ يقعُ على الإنسية؟

الجواب:

الحمد لله؛ لمَّا كان الخطابُ في سورة الرحمن للإنسِ والجن، وقد جمعَ بينهما في ضمير الخطابِ في أكثر من واحد وثلاثين آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] ناسبَ -والله أعلم- عند ذكر سلامةِ بكارة الحورِ من طمث الإنس ناسبَ ذكرُ سلامتهن من طمث الجنِّ، والطمْثُ يُطلقُ على دم الحيضِ، فيُقال: طمِثت المرأة؛ أي حاضَت، وعلى دم البكارةِ، فيُقال: طمِث الرجل البكر؛ أي افتضَّها، ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن][1].

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٥٢٤).

وقد استُدلَّ بهذه الآية على أن الجِنيَّ قد يُجامعُ الإنسيةَ، كالمُصابة بمسٍّ أو صرع من الجن، وهذا خلافُ الأصل شرعًا وقدرًا في نساء بني آدم، فإنَّهن خُلقن لرجالهم، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] الآية، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

ولكن جِماعُ الجِنِّ للإنسية واقعٌ، إما بدافع العشقِ، أو على وجه العدوان، ويكون مثل ذلك بين الرجلِ والجنية، وكلُّ ذلك من الاستمتاع المُحرَّم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون]؛ لأنَّ الجِنِّيةَ لا تكون زوجًا للرجل من بني آدم، ولا الجِنِّي زوجًا للإنسية، على الصحيح.

واختلفَ العلماءُ في التزاوج بين الجنِّ والإنس، بأن يتزوجَ الرجلُ من الإنس جنية أو الجِنِّي إنسية، والصوابُ الذي عليه جمهورُ العلماء هو تحريمُ ذلك(١)، وأظهرُ ما استدلوا به على ذلك أنَّ الله امتنَّ على بني آدم بأنْ خلقَ لهم أزواجًا من أنفسهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢]، والاقتصارُ في الامتنان على ما خلقه لهم من أنفسهم يدلُّ على أنَّه لم يخلق لهم أزواجًا من غير أنفسهم، ومقامُ الامتنان يقتضي ذكر ما هو أوسعُ لو كان، كما ذكرَ هذا

(١) ينظر: آكام المرجان (ص١٠٥) وما بعدها، (ص١١١-١١٥)، والأشباه والنظائر للسيوطي (ص٢٥٦).

المعنى في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، فكانت الآيةُ دليلًا على عدم الزيادةِ على أربع نسوة(١).

ولا ريبَ أنَّ هذا موجَب الحكمة -أعني قصرَ الزواج على ما هو من الجنس- لما في ذلك من حصول السكنِ والمودة والرحمةِ، كما ذكرَ الله، ولما بين الجن والإنس في الخِلقة والخُلُق من التنافر، ولما يترتبُ على التزاوج بين الجنِّ والإنسِ من المفاسد.

***

السؤال (١٦٦):

ما معنى قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر]؟ وهل المقصودُ من ذلك الإنزالُ المعنوي أو الحسي؟ أريد شرحًا وافيًا، جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمدُ لله؛ هذه الآيةُ على ظاهرها، وهو أنَّ اللهَ لو أنزلَ هذا القرآن المُنزَّل على محمد ﷺ، لو أنزله على جبل بأنْ ألقَاه إليه كيف شاء سبحانه، أي بواسطة ملكٍ أو بغير واسطة؛ لخشعَ الجبلُ، وتصدَّعَ من خشية الله؛ لما تضمَّنه هذا القرآن من ذكرِ الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشدةِ بطشه وأخذه للظالمين، وفي هذا دلالةٌ على عظمة هذا القرآن.

(١) ينظر: أضواء البيان (٣/ ٣٨٦-٣٨٨).

وفي ضرب المثلِ بالجبل تعريضٌ بأهل القلوب القاسيةِ التي لا تتأثرُ بمواعظ القرآن، ولا تستجيبُ لداعيه، كما قالَ تعالى في قلوب اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، بخلاف أهل القلوب اللينة الذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم]، وقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال]، والله أعلم.

***

السؤال (١٦٧):

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]؟ جزيتم خيرا.

الجواب:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد: فقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، هذا نهيٌ من الله لعباده المؤمنين عن استبقاء أزواجِهم من الكافرات في عصمتهم زوجاتٍ لهم، بل عليهم أن يفارقوهن؛ لأنَّه لا يحلُّ للمؤمن نكاحُ الكافرة ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ولا استدامةً، كما في هذه الآية: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

والعِصَمُ جمْعُ عِصْمَة، والمراد بالعِصمة هنا: عقد النكاح[١]، وسُمِّي عقدُ النِّكاح عِصْمَةً؛ لأنه يُدْخِلُ المرأةَ في ولاية الرَّجل وحمايته حتى تكونَ في عصْمَةٍ ومَنَعَةٍ ممَّنْ يَتعدَّى عليها.

فإطلاق (العصمة) على عقد النكاح مِنْ إطلاق المُسَبَّبِ (وهو الحماية والمنَعة) على السَّبَب (وهو عقد النكاح).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾؛ أي: فارقوهن، فلا يبْقَيْنَ تحت ولايتكم وعِنَايتكم، وخُصَّ مِنْ ذلك المحصناتُ مِنَ الكتابيات، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥]، والله أعلم.

حرر في يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام ستة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦٨):

أحسن الله إليكم: أشكل علي معنى الباء في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار]، فالفعل (غرَّ) متعدٍّ، فلم عدي بالباء؟ ولم أجد فيما راجعت من كتب التفسير ما يفيدني. فتح الله علينا وعليكم من الفضل والعلم.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد: فالذي يظهرُ لي -والله أعلم- أن تكونَ الباءُ في

(١) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١٢٨٦).

قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ بمعنى (عَن)[(١)]، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان]،أي: فاسأل عنه خبيرًا، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾: ما الذي غرَّك عن ربك؟ أي: ما الذي خدَعك فصرفك عن ربك، فكفرَت به وكذبت بوعده، وهو الذي خلقَك فسوَّاك فعدلك؟

وقد بيَّنَ سبحانه أنَّ الذي غرَّ الإنسانَ هو الشيطانُ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر].

ويحتمل -والله أعلم- أن تكون الباءُ بمعنى (مِن)؛ فقد ذكرَ بعض أهل العربية أنَّ الباء تأتي بمعنى (مِن)، وذكروه في بعض الآياتِ، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، أي: منها[(٢)]، ولعلَّ هذه الآية المسؤول عنها من هذا القبيل؛ فيكونُ المعنى: أيُّ شيء غرَّك من ربك -أيها الإنسان- أكَرمُه وإنعامه؟ أم حِلمه وسِتره؟ كما يشعرُ به ذكر اسمه تعالى الكريم؛ فمن القبيح في العقل والدين أن يكون الإحسانُ سببًا للكفران بالجحد والإشراك.

فتبين مما تقدَّم أن الفعل (غرَّ) يتعدى إلى المفعول بنفسه، وإلى المعمول الذي بعده بالباء بمعنى (عن)، أو بمعنى (مِن)، وقد جاء في الشعرِ تعديتُه بمِن، كقول الكِنديِّ:

أغَـرّكِ منِّـي أنّ حُبّـكِ قاتِلـي
وَأنّكِ مهما تأمُري القَلبَ يَفْعَلِ[(٣)]

(١) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١٢/ ٣٦٧).
(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص٣٠١).
(٣) ديوان امرئ القيس الكندي (ص١٣).

والله أعلم. وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد.

حرر في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر محرم من عام سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف.

***

السؤال (١٦٩):

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى]؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد: أي: لا علمَ لك بالحق، فعلَّمك ما لم تكن تعلمْ، وشرحَ صدرك بالعلم ووفَّقك للعمل به[١].

***

تمت مراجعة هذه المجموعة من الفتاوى في التفسير وعلومه في يوم السبت التاسع والعشرين من شهر الله المحرم من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف، والحمد لله رب العالمين.

***

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٠-٦٤١).

قائمة المراجع

(أ)

١. **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، جماعة من المحققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢. **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، عبد السلام بن عبد القادر، حققه: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، طبعة مجمع الملك فهد.

٤. **اجتماع الجيوش الإسلامية**، ابن قيم الجوزية، حققه: زايد بن أحمد النشيري، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٥. **الأحاديث المختارة**، الضياء المقدسي، حققه: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

٦. **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي، حققه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.

٧. **أحكام القرآن**، الكيا الهراسي، حققه: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨. **أحكام القرآن**، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٩. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، محمد بن إسحاق الفاكهي، حققه: د. عبد الملك عبد الله الدهيش، مكتبة الأسدي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ.

١٠. **الاختيارات الفقهية لابن تيمية**، علي بن محمد البعلي، حققه: أحمد بن محمد الخليل، دار العاصمة، الرياض.

١١. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، ابن مفلح الحنبلي، دار عالم الكتب.

١٢. **الأذكار**، يحي بن شرف النووي، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٤هـ.

١٣. **إرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد**، عبد الرحمن البراك، أعده: عبد الله السحيم، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٤. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٥. **أسباب نزول القرآن**، علي بن أحمد الواحدي، حققه: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٦. **إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية**، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٧. **اسم الله الأعظم: شرحه وفوائده ومجرباته**، عبد الفتاح السيد الطوخي، المكتبة الثقافية، بيروت.

١٨. **الأسماء والصفات**، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٩. **الأشباه والنظائر**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

٢١. **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس، حققه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢. **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار اليمامة وابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

٢٣. **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٢٤. **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٢٥. **إعلام الموقعين**، ابن قيم الجوزية، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

٢٧. **آكام المرجان في أحكام الجان**، محمد بن عبد الله الشبلي، حققه: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر.

٢٨. **الأم**، محمد بن إدريس الشافعي، حققه: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩. **الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف**، أحمد العواشية، جامعة أم القرى، رسالة أكاديمية في عام ١٤٠٣هـ.

٣٠. **الإيضاح في علوم البلاغة**، جلال الدين القزويني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣١. **الإيمان**، ابن تيمية، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

(ب)

٣٢. **البدء والتاريخ**، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٣. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، حققه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

٣٤. **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، حققه: عليّ العمران، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.

٣٥. **البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم**، أحمد بن عبد الله آل عبد الكريم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ.

٣٦. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

٣٧. **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٣٨. **البيان في عدّ آي القرآن**، أبو عمرو الداني، حققه: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(ت)

٣٩. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، حققه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٠. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، حققه: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥هـ.

٤١. **تأويل مختلف الحديث**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه: محمد محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٢. **تأويل مشكل القرآن**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣. **التبيان في آداب حملة القرآن**، يحيى بن شرف النووي، حققه: محمد الحجار، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٤٤. **التبيان في إعراب القرآن**، عبد الله العكبري، حققه: علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي.

٤٥. **التبيان في أيمان القرآن**، ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الله البطاطي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٤٦. **تتمة الأعلام للزركلي**، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٧. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤٨. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، أبو الحجاج المِزِّي، حققه: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

٤٩. **التدمرية**، ابن تيمية، حققه: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

٥٠. **التسعينية**، ابن تيمية، حققه: د. محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥١. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، ابن حجر، حققه: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٢. **التفسير البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥٣. **تفسير البغوي= معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٥٤. **تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، عبد الله بن عمر البيضاوي، حققه: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٥. **تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٥٦. **تفسير الجلالين= المفصل في تفسير القرآن الكريم**، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، حققه: د فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٥٧. **تفسير الخازن= لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد الخازن، حققه: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٨. **التفسير الرازي= مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٥٩. **تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حققه: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي.

٦٠. **تفسير السمعاني**، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، حققه: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦١. **تفسير الطبري= جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري، حققه: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر

للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، وطبعة محمود وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية.

٦٢. **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، حققه: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٦٣. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ومؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، وطبعة دار الفكر.

٦٤. **تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، حققه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ.

٦٥. **تفسير الماوردي= النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، حققه: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٦. **تفسير النسفي= مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد النسفي، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٧. **تكملة معجم المؤلفين**، محمد خير بن رمضان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٨. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، حققه: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٦٩. **التنوير شرح الجامع الصغير**، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، حققه: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٧٠. **التوحيد وإثبات صفات الرب**، ابن خزيمة، حققه: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

٧١. **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته**، محمد بن إسحاق ابن مَنْدَه، حققه: د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٢. **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**، عبد الرحمن البراك، أعده: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.

٧٣. **توضيح مقدمة التفسير**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

٧٤. **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو الداني، حققه: د. خلف حمود سالم الشغدلي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

(ج)

٧٥. **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ.

٧٦. **جامع المسائل**، ابن تيمية، حققه: محمد عزير شمس وعلي العمران وعبد الرحمن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ.

٧٧. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد بن أحمد النشيري، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.

٧٨. **الجنى الداني في حروف المعاني**، حسن بن قاسم المرادي، حققه: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧٩. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، حققه: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٨٠. **جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**، ابن تيمية، حققه أبو عمر الندوي، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(ح)

٨١. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد النشيري، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

٨٢. **حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي= نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، جلال الدين السيوطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، طبعة ١٤٢٨هـ.

٨٣. **حاشية الصاوي على الجلالين**، المطبعة الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ.

٨٤. **الحجة للقراء السبعة**، أبو علي الفارسي، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(خ)

٨٥. **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(د)

٨٦. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، حققه: د أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٨٧. **الدر المنثور**، السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٨٨. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، حققه: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٨٩. **دلائل الخيرات**، محمد سليمان الجزولي، حققه: أحمد رضوان، طبعه محمود محمد الدرة.

٩٠. **ديوان أبي الطيب المتنبي**، حققه: عبد الوهاب عزَّام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٩١. **ديوان امرئ القيس**، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.

٩٢. **ديوان حسان بن ثابت**، حققه: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، طبعة ٢٠٠٦م.

(ر)

٩٣. **الرحبية بشرح المارديني وحاشية البقري**، حققه: د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ.

٩٤. **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٩٥. **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل، حققه: دغش العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩٦. **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، حققه: عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩٧. **الردود**، بكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٩٨. **الرسالة**، الشافعي، حققه: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

٩٩. **الروح**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

١٠٠. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الألوسي، حققه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠١. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، ابن حبان البستي، حققه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، الطبعة الثالثة، ١٣٧٤هـ.

١٠٢. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ.

(ز)

١٠٣. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، حققه: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

١٠٥. **الزهد**، عبد الله بن المبارك، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٠٦. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(س)

١٠٧. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠٨. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٠٩. **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١١٠. **سنن الترمذي**، أبو عيسى الترمذي، حققه: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١١١. **سنن الدارقطني**، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١١٢. **السنن الكبرى**، البيهقي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١١٣. **السنن الكبرى**، النسائي، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١١٤. **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي، حققه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١١٥. **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١١٦. **السيرة النبوية**، ابن هشام، حققه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

(ش)

١١٧. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن مخلوف، حققه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١١٨. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة = السنة**، هبة الله بن الحسن اللالكائي، حققه: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ.

١١٩. **شرح ألفية ابن مالك**، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ.

١٢٠. **شرح تسهيل الفوائد**، جمال الدين ابن مالك، حققه: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٢١. **شرح العقيدة التدمرية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٤١هـ.

١٢٢. **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، حققه: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ.

١٢٣. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

١٢٤. **شرح العمدة**، ابن تيمية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ.

١٢٥. **شرح الكافية البديعية**، صفي الدين الحلّي، حققه: د. نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٢٦. **شعب الايمان**، البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢٧. **شِعر دعبل بن علي الخزاعي**، حققه: د عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٢٨. **شواذ القراءات**، محمد بن أبي نصر الكرماني، حققه: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت.

(ص)

١٢٩. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٠. **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق ابن خزيمة، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

١٣١. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، وطبعة عبد القادر شيبة الحمد برواية أبي ذر.

١٣٢. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة دار الطباعة العامرة، تركيا، عام النشر: ١٣٣٤هـ.

(ض)

١٣٣. **ضعيف أبي داود -الأم-**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(ع)

١٣٤. **العجاب في بيان الأسباب**، ابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣٥. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، أحمد بن علي بهاء الدين السبكي، حققه: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(غ)

١٣٦. **غريب القرآن**، ابن قتيبة الدينوري، حققه: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة ١٣٩٨هـ.

١٣٧. **الغريبين في القرآن والحديث**، أحمد بن محمد الهروي، حققه: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(ف)

١٣٨. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمعها وترتيبها: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

١٣٩. **فتاوى نور على الدرب**، محمد بن صالح العثيمين، إصدار مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٤٠. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

١٤١. **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، شمس الدين السخاوي، حققه: د. عبد الكريم الخضير ود. محمد الفهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٤٢. **الفتوحات الربَّانية على الأذكار النواوية**، محمد بن علَّان الصديقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٣. **الفرائد الحسان في عد آي القرآن**، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤٤. **الفروع وتصحيح الفروع**، ابن مفلح والمرداوي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٤٥. **الفصل للوصل المدرج في النقل**، الخطيب البغدادي، حققه: محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(ق)

١٤٦. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٤٧. **قتلى القرآن**، أبو إسحاق الثعلبي، حققه: د. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، طبعة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٤٨. **قطب الإرشاد**، فقير الله بن عبد الرحمن الحنفي النقشبندي، دار الكتب العلمية.

(ك)

١٤٩. **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، المنتجب الهمذاني، حققه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٥٠. **الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(ل)

١٥١. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(م)

١٥٢. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، حققه: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٥٣. **مجاز القرآن**، معمر بن المثنى، حققه: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة ١٣٧١هـ.

١٥٤. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه: عبد الله الدرويش، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

١٥٥. **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي وتكملة السبكي والمطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

١٥٦. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، حققه: عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٥٧. **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، أعدَّه: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن- دار الثريا، طبعة ١٤١٣هـ.

١٥٨. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، ابن باز، أعدَّه: د. محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٥٩. **المجيد في إعراب القرآن المجيد**، إبراهيم بن محمد السَّفَاقُسِي، حققه: حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٦٠. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، حققه: علي الندي ناصف ود. عبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٦١. **المحرر الوجيز**، ابن عطية الأندلسي، حققه: الرحالي الفاروق وغيره، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

١٦٢. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.

١٦٣. **مختصر الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٦٤. **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

١٦٥. **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

١٦٦. **مراتب الإجماع**، ابن حزم، حققه: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٦٧. **مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني**، حققه: طارق بن عوض الله بن محمد، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٦٨. **المسائل الحلبيات**، أبو علي الفارسيّ، حققه: د. حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٦٩. **مسألة حدوث العالم**، ابن تيمية، حققه: يوسف بن محمد الأزبكي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٧٠. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، حققه: مقبل الوادعي، دار الحرمين، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٧١. **المستصفى من علم الأصول**، أبو حامد الغزالي، حققه: د. حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة النبوية للطباعة.

١٧٢. **مسند أحمد بن حنبل**، حققه: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧٣. **مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

١٧٤. **مسند الدارمي = سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حققه: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧٥. **المصنف**، أبو بكر بن أبي شيبة، حققه: محمد عوامة، شركة دار القبلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٧٦. **معاني القرآن**، يحيى بن زياد الفراء، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

١٧٧. **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج، حققه: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٧٨. **المعجم الكبير**، الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٧٩. **المغني**، ابن قدامة المقدسي، حققه: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتّاح الحلو، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٨٠. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام، حققه: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويتي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨١. **مفتاح العلوم**، يوسف بن محمد السكاكي، حققه: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٨٢. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، حققه: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٨٣. **مقدمة ابن خلدون**، حققه: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٨٤. **مقدمة في أصول التفسير**، ابن تيمية، حققه: د. عدنان زرزور، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٨٥. **المكتفى في الوقف والابتدا**، أبو عمرو الداني، حققه: د. يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٨٦. **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا**، أحمد بن عبد الكريم الأشموني، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

١٨٧. **منازل الأئمة الأربعة**، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي، حققه: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨٨. **مناقب الشافعي**، أبو بكر البيهقي، حققه: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

١٨٩. **منهاج السنة**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٩٠. **مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح (مطبوع مع شروح التلخيص)**، أحمد بن محمّد بن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩١. **الموطأ**، مالك بن أنس، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

(ن)

١٩٢. **النبوات**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩٣. **نتائج الفكر في النَّحو**، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

١٩٤. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ابن الجوزي، حققه: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٩٥. **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، حققه: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

١٩٦. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن أبي الفيض الكتاني، حققه: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.

١٩٧. **نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: أحمد القفيلي، دار النصيحة، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ.

١٩٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، حققه: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

١٩٩. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، حققه: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

(هـ)

٢٠٠. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين السيوطي، حققه: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

(و)

٢٠١. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(ي)

٢٠٢. **يسوع الناصري الجزء الثاني: من دخول أورشليم إلى القيامة**، بنديكت السادس عشر، ترجمه: نبيل الخوري، المطبعة البولسية، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

❊❊❊

الفهرس التفصيلي

- **مقدمة التحقيق** ٥
- **مقدمة المؤلف** ٨
- **القسم الأول: نزول القرآن وجمعه وترتيبه** ١١

– توجيه أثر ابن عباس في نزول القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة ١١

– حكم من يقول بسقوط كلمات من القرآن ويؤوله حسب هواه ١٣

– هل البسملة آية من الفاتحة؟ ١٥

– لماذا أُثبتت البسملة آية من الفاتحة مع صحة صلاة من لم يقرأها ١٧

– الحكمة مِن امتزاج الموضوعات المختلفة في السورة الواحدة ٢٠

– التنكيس في قراءة السورِ ٢٣

– ابتكار قصة لحفظ ترتيب سور القرآن ٢٤

- **القسم الثاني: فضائل القرآن** ٢٨

– هل القرآن شفاء لمرض القلوب والأبدان معًا ٢٨

– المفاضلة بين القراءات القرآنية ٣٠

– هل يصح القول بأنَّ القرآنَ ناسخٌ للكتب السماويةِ السابقة؟ ٣٢

– هل يصح تفضيل التعبدِ بالصلاة على النبي على التعبد بتلاوة القرآنِ؟ ٣٣

– قراءة الفاتحة على روح الميِّت ٣٩

– ختم الدعاء بقراءة الفاتحة على النبي والصحابة ٤١

- المداومة على قراءة سورة البقرة يوميًا بنيّة الشّفاء ٤٢
- الدعوة إلى قراءة سورةِ الأنعام بسبب رؤيا ٤٤
- هل ورد أن قراءة سورة الواقعة تجلبُ الرزق؟ ٤٥
- قراءة سور مخصوصة بنية الزواج ٤٦
- هل يشرع للمنفرد قراءة السور التي ورد استحباب قراءتها يوم الجمعة للإمام؟ ٤٧
- قراءة سورة الضحى لمن ضاع منه شيء ٤٨
- تكرار قراءة سورة الإخلاص ٥٠

● القسم الثالث: الوقف والابتداء في بعض آيات القرآن ٥٣

- أسئلة في بعض مواضع الوقف والابتداء لبعض القُرَّاء ٥٣
- الوقف على ﴿ٱلسَّمَوَٰتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ ٥٧
- هل يجوزُ أن يقفَ القارئ على ﴿إِذًا﴾ من قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ ٦١

● القسم الرابع: أحكام المصحف ٦٢

- وضع علامة على المصحف ليعرف الحافظ أخطاءه ٦٢
- تقبيل المصحف ٦٣
- تمكين الطفل من مس المصحف من غير طهارة ٦٤
- قراءة القرآن من الجوال بدون طهارة ٦٤
- وضع المصحف في الجوال والدخول به إلى دورات المياه ٦٦
- هل للحائضِ أن تقرأ القرآن من الجوال؟ ٦٧
- هل حملُ «التَّفسير الميسَّر» والقراءة فيه يُشترط له الطَّهارة؟ ٦٨

- بيع المصاحف القديمة والمخطوطة بمبالغ كبيرة ٦٩
- المصاحف الملونة تبعًا لموضوع الآيات ٧٠
- وقف المصحف عن الميت والقراءة فيه بنية نفع الميت ٧١
- كتابة القرآن بخطوط غير عربية ٧٣
● **القسم الخامس: آداب قراءة القرآن** ٧٤
- إعادة الاستعاذة بعد رد السلام ٧٤
- هل الأفضل قراءة القرآن أم سماع الواعظ بعد الأذان ٧٤
- الاشتغال بتدبُّر وتكرار بعض الآيات عن ختم القرآن في رمضان ٧٦
- رواية آيات القرآن بالمعنى مضافة إلى الله قولًا وكلامًا ٧٧
- هز الرأس عند تلاوة القرآن ٧٩
- هل يجوزُ للجنب إمرارُ القرآن على قلبه دون لسانه؟ ٨٠
- الجمع بين نية التلاوة والدعاء عند قراءة آيات متضمنة لأدعية ٨١
- قراءة من يبدل الذال زايًا والثاء سينًا ٨٢
- محاكاة أصوات القراء وقراءتهم بكلام ليس من القرآن ٨٣
- تصنُّع البكاء عند تلاوة القرآن بما يشبه العويل ٨٤
- هل يجوزُ عند ختم القرآن أن أشركَ بالثَّواب والديَّ؟ ٨٥
● **القسم السادس: أحكام استماع القرآن** ٨٦
- مشاركة النّساء في برنامج يبثُّ في الإذاعة لتصحيح التّلاوة ٨٦
- قراءةُ المرأة القرآن على الرجل الأجنبيِّ ٨٧
- بث أصحاب التسجيلات للتلاوات القرآنية في محلاتهم بصوتٍ مرتفع ٨٨
- تشغيل المذياع أو القناة بالقرآن عند الخروج من المنزل أو عند النوم ٨٩
- وصف التلاوة والآيات بأنها عطرة ٩٠

- ما حكم قول: «سبحانه» أو «سبحان الله» عند سماع الآيات التي فيها أسماء الله ٩١

● **القسم السابع: طرائق في تعليم القرآن مختلفة الأحكام ٩٢**

- الرد على اقتراح قراءة القرآن في المدارس على سبيل الانتقاء ٩٢
- تعليم القرآن بطريقة القاعدة النورانية ٩٤
- هل يجوزُ تقطيعُ كلماتِ القرآن في تدريس القاعدة النورانية ٩٧
- الخرائط الذهنية في حفظ القرآن ٩٧
- تأليف قصة لحفظ مواضع السجدات ١٠٢
- حكم الجوائز لمن يختم قراءة القرآن في رمضان ١٠٤
- سرد القرآن في يوم واحد ١٠٥
- اختبارُ حفظ الطلابِ للقرآن بطريقة الكتابة ١٠٨

● **القسم الثامن: أحكام تعليم القرآن ١٠٩**

- حكمُ أخذ مُعلِّم تحفيظِ القرآن راتبًا ١٠٩
- هل ترك المعلم تعليم القرآن لعدم الأجرة يخل بإخلاصه؟ ١١٠
- أخذ معلم القرآن الهدايا من الطلَّاب ١١١

● **القسم التاسع: أحكام تعظيم القرآن ١١٣**

- تعليقُ اللوحات التي تحمل آياتٍ قرآنية في غرفة المجلس ١١٣
- تعليق الآيات والأذكار على الجدران للزينة ١١٤
- الاحتفال بصنع الحلوى ووضع الشموع بعدد الأجزاء المحفوظة من القرآن ١١٥

- **القسم العاشر: إشكالات تتعلق بقصص وأمثال القرآن ١١٦**
- كيف استطاع إبليس أن يُوسوس لآدم وحواء وقد أُمِرَ بالهبوط من الجنة؟ ١١٦
- كيف وسوسَ إبليسُ لآدمَ وزوجِه في الجنة، والله حرَّمَ عليه دخولها؟ ١١٧
- توجيه سجود الملائكة وإخوة يوسف لآدم ويوسف عليهما السلام ١١٨
- الحكمة من عدم ذكر عاقبة قوم إبراهيم ١٢٠
- هل كانت رسالة موسى -عليه السلام- إلى فرعون وحده أو إليه وإلى بني إسرائيل؟ ١٢٢
- كتابة قصص القرآن وصياغتها بقوالب أدبية ١٢٣
- الفائدة الإعجازيَّة في ضرب المثل بالماء والنَّار لمن يحبط صدقته بالرياء ١٢٦
- **القسم الحادي عشر: مسائل متفرقة فيما يجوز وما لا يجوز استعماله في القرآن ١٢٧**
- الراجحُ في وجود المجازِ في القرآن وفي اللغة ١٢٧
- بلاغة القرآن في الأقوال المحكية ١٢٨
- تسمية القرآن نثرًا ١٣٤
- التسمي بـ «أسيرة القرآن» ١٣٦
- التخاطب بالقرآن ١٣٦
- اشتقاق القرآن من «قرَن» ١٣٨
- ما الذي يجوز من الاقتباس وما لا يجوز منه؟ ١٤٠
- هل في عبارة: «فَمَنْ شَهِدَ منكمُ الودَّ فَلْيَصُمْه» إشكال؟ ١٤١
- تشبيه الأديب حسابه في مواقع التواصل بأنه: «جنات ونهر» ١٤٢

- استعمال كلمات وردت على ألسنة المشركين والكفار ١٤٣
- إسناد أفعال الأساليب البلاغيةِ إلى الله ١٤٤
- إطلاق «التعبير القرآني» على آياتِ القرآن ١٤٦
- إسناد الأفعال إلى القرآن ١٤٧
- إطلاق مصطلح «لزوم ما لا يلزم» على آيات القرآن ١٥٠
- عبارة: «الشيء بالشيء يذكر» عند تفسير بعض الآيات ١٥١
- هل يصحُّ أنْ يُقال عن شيء في القرآن: إنَّه غير مراد لله؟ ١٥٣
- أسلوب المساواة في القرآن ١٥٦
- تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ ١٥٧
- إطلاق مصطلح «الاستطراد» على بعض ما ورد في القرآن ١٥٨
- آيات ادُّعِيَ أنَّ فيها مبالغة بديعية ١٥٩
- مصطلح «صيغة مبالغة» في صفات الله ١٦٠
- إطلاق عبارة: الموسيقى، والنغم، والإيقاع، والقافية في القرآن ١٦١
- أفعل التفضيل في القرآن واللغة ١٦٢
- تكلم الله بصيغة الجمعِ في القرآن ١٦٤
- توجيه صيغة الجمع مثل: «إنَّا» و«نحن» في القرآن ١٦٥
- الفرق بين (نزّل) و (أنزل) ١٦٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ والرد على المعتزلة ١٦٨
- حكمة جمع الظلمات وإفرادِ النور ١٦٩

● **القسم الثاني عشر: قواعد في التفسير** ١٧١

- تفسير ألفاظ القرآن بمعانٍ اصطلاحيةٍ حادثة ١٧١

- تفسير الآية بخلاف ظاهرها ١٧٣
- شرحُ أثر ابن عباس: «التفسيرُ على أربعة أوجه» ١٧٥
● **القسم الثالث عشر: مناهج المفسرين** ١٧٧
- ماذا يصنع من عنده كتاب: «صفوة التفاسير»؟ ١٧٧
- قراءةُ تفاسير فيها اعتزاليات وأقوال بدعية ١٧٨
- تفسير آيات الصفات دائمًا بالتضمن ١٧٨
- الترحم على الزمخشري والإفادة من كتابه الكشّاف ١٧٩
- هل ينصح الطالب المبتدئ بكتاب «في ظلال القرآن»؟ ١٨٢
- تفسير محمد راتب النابلسي ١٨٣
● **القسم الرابع عشر: تعليقات على كلام بعض المفسرين** ١٨٥
- التعليق على كلام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ ١٨٥
- توضيح عبارة ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ ١٨٦
- معنى قول ابن كثير عن الأرض: أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ١٨٧
- تفسير ابن عاشور للسماوات السبع بأنها الكواكب السيَّارة ١٨٩
- الرد على الأبياري في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ ١٩٣
- توضيح ما جاء في «المختصر في التفسير» عن كمال الإيمان في تفسير سورة الفاتحة ١٩٧
● **القسم الخامس عشر: إيضاح إشكالات ودحض شبهات** ٢٠٠
- تشبيه الوحي بصلصلة الجرس مع ثبوت النهي عنه ٢٠٠
- الرد على ملحد يرتل كلامًا يزعم أنه يُضاهي القرآن ٢٠١

- الجمع بين وصف القرآن بأنه رحمة وموت بعض الصالحين عند سماعه ٢٠٣
- الهداية العامة والخاصة في القرآن ٢٠٨
- ليس في القرآن مدح لحظوظ الدنيا ٢٠٩
- الجمعُ بين الآيات التي تحض على تزكية النفسِ والآيات التي تنهى عن ذلك ٢١١
- الجمع بين الأمر بالسعي إلى جمعة في القرآن والنهي عنه في السنة ٢١٢
- كيف يقول المؤمن ﴿هَاؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩﴾ مع ما فيه من الذنوب ٢١٣
- حكم الله بين بني إسرائيل يوم القيامة وفي الدنيا ٢١٥
- الجمع بين آية الرعد والأنفال في الاطمئنان بذكره والوجل منه تعالى ٢١٦
- الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ ٢١٧
- نفي الجناح في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ مع أنَّ المقام مقام أجر ٢١٩
- دفع إشكال في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ٢١٩
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ٢٢٢
- الجمع بين عداوة النصارى في الواقع وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ ٢٢٣
- إلى أي شيء تُشيرُ آية ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ٢٢٦
- ما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾ ٢٢٨
- الصحيح في تعيين القائل في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ ٢٣١
- تفسير آية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ ٢٣٢

- مناسبة ختم الآية بصفتي السمع البصر في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾ ٢٣٦
- هل الأنبياءُ داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم﴾ ٢٣٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ ٢٣٨
- تشبيه الاستفزاز من الحق لتركه بالاستفزاز من الأرض في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا﴾ ٢٤١
- دعوى عدم إمكانية العمل بالقرآن ٢٤٢
- معنى «على» في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ ٢٤٣
- سبب عدم ذكر الأعمام مع المحارم في آية النور ٢٤٤
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢﴾ ٢٤٥
- قول البخاري: ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾: إلا ملكه ٢٤٥
- هل كلُّ من ادَّعى الإيمان سيُبتلى حتمًا ٢٤٨
- تفسير قول اللهِ تعالى: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ ٢٥٠
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ ٢٥٢
- توجيه في تفسير العذاب الأدنى بعذاب القبر في آية السجدة ٢٥٤
- الفرق بين الرسول والنبي في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ٢٥٥
- ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين ٢٥٧
- لِمَ جاءَ التعبيرُ بـ «أحد» دون «واحد» في سورة الإخلاص ٢٥٧

● **القسم السادس عشر: تفسير وإعراب القرآن** **٢٥٩**

- (الباء) في بسم الله الرحمن الرحيم ٢٥٩

- الفرق بين إعراب الرحمن في البسملة وغيرها من الآيات ٢٦١
- إعرابُ الكاف في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ ٢٦٢
- إعراب الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ ٢٦٣
- معنى اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ﴾ ٢٦٣
- إعراب (من) في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ٢٦٤
- تأملات بلاغية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ ٢٦٦
- تفسير لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ٢٦٧
- الاستدلالُ من قول اللهِ تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨﴾ على كرية الأرض ٢٦٩
- معنى قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ ٢٧١
- إعراب: ﴿سَوَآءٗ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ ٢٧٣
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ ٢٧٤
- تفسير (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾ ٢٧٥
- معنى التسبيح بحمد الله ٢٧٦
- معنى قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ ٢٧٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ ٢٧٩
- معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ ٢٨٠
- معنى الباء في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ ٢٨١
- معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ ٢٨٣

الفهرس الإجمالي

- مقدمة التحقيق ٥
- مقدمة المؤلف ٨
- القسم الأول: نزول القرآن وجمعه وترتيبه ١١
- القسم الثاني: فضائل القرآن ٢٨
- القسم الثالث: الوقف والابتداء في بعض آيات القرآن ٥٣
- القسم الرابع: أحكام المصحف ٦٢
- القسم الخامس: آداب قراءة القرآن ٧٤
- القسم السادس: أحكام استماع القرآن ٨٦
- القسم السابع: طرائق في تعليم القرآن مختلفة الأحكام ٩٢
- القسم الثامن: أحكام تعليم القرآن ١٠٩
- القسم التاسع: أحكام تعظيم القرآن ١١٣
- القسم العاشر: إشكالات تتعلق بقصص وأمثال القرآن ١١٦
- القسم الحادي عشر: مسائل متفرقة فيما يجوز وما لا يجوز استعماله في القرآن ١٢٧
- القسم الثاني عشر: قواعد في التفسير ١٧١

- القسم الثالث عشر: مناهج المفسرين ١٧٧
- القسم الرابع عشر: تعليقات على كلام بعض المفسرين ١٨٥
- القسم الخامس عشر: إيضاح إشكالات ودحض شبهات ٢٠٠
- القسم السادس عشر: التفسير وإعراب القرآن ٢٥٩
- قائمة المراجع ٢٨٤
- الفهرس التفصيلي ٣٠٦
- الفهرس الإجمالي ٣١٦

***

للاطلاع على قائمة حديثة
لمؤلفات الشيخ ومتجر الكتب:
امسح الرمز

ISBN 978-603-91628-3-4
9 786039 162834